سلسلة المذاهب والمناهج والآراء التربوية

في

القرآن والسنة النبوية

المنهج التربوي

في

المذهب الحنبلي

إعداد

رحمة محمد أبو كيلة

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٢١٢

أ . ر

أبو كيلة ، رحمة.

سلسلة المذاهب والمناهج والآراء التربوية في القرآن والسنة النبوية:

التراث التربوي في المذهب الحنبلي/ رحمة محمد أبو كيلة .- ط. دسوق :

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

٢٢٦ص؛ ١٧ × ٢٤سم

تدمك : 977-308-213-X

١. التربية الإسلامية - الفقه الحنبلي

أ - العنوان

رقم الإيداع : ١٩٤٧.

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

هاتف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-

٠٠٢٠١٠٩٧٥٦٤٧٥٧

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com

elelm_aleman2016@hotmail.com

2022

☜ الفهرس ☞

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم ... ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ [سورة العلق: الآية ١-٤]

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد من القائل «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أوعلم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له»

أما بعد ،،

يفنى الإنسان ويبقى ما أدخره من خير وصلاح، وما ينفع الله به بعده، ذكرى طيبة ودعوة صالحة، وبجهود العلماء، وما يخلفونه من علم يبقى العلم، وينتقل من جيل إلى جيل.

ومن العلماء الاثبات الذين كان لهم جهود طيبة، وأثار خالدة، لا يمحوها الزمان، ولا تبليها السنون، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فجزاه الله عما خلفه من أثار خالدة خير الجزاء.

وفي هذا الكتاب تبرز مكانة الإمام أحمد بن حنبل بوصفه أحد الأئمة الأربعة، والذي كان مربيًا ناجحًا،استطاع أن يجذب إلى حلقته بالمسجد كثيرة من طلاب العلم؛لأسلوبه المميز وغزارة علمه، بلغ عددهم ما يربو على خمسة آلاف طالب، وحيث إنه لم يعرف عنه إلا أنه عالم دين فقط، ولم يكشف أحد عن الجوانب التربوية في فكره حتى الآن، لأن الكشف عن تلك الجوانب يساعد في تأصيل مناهج التعليم ويساهم في مساعدة العاملين في المناهج وواضعي الخطط التربوية بالاستفادة منها في تطوير مناهج التعليم بما يتناسب وحاجات مجتمعنا الإسلامي كما يفيد العاملين في مجال التعليم بتعديل أساليبهم التربوية في مجالات التعليم المختلفة.

حرص الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله - على طاعة والدته منذ الصغر والعمل على تحقيق رغبتها فقد امتنع عن بعض رحلاته لطلب العلم بسبب شعوره بعدم رغبة والدته.

اشتهر عصر الإمام أحمد بن حنبل بما يسمى النهضة العلمية (الإنفجار المعرفي) فقد اهتم خلفاء بني العباس بالعلم ونشره وانشأوا الدور المخصصة للعلم والترجمة مثل «بيت الحكمة في بغداد»

يرى الإمام أحمد بن حنبل أن على طالب العلم ان يبدأ تعليمه بالقرآن الكريم كاملا فإذا لم يستطع فيتعلم بعضه.

كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. ينادي بإلزامية التعليم، لأن العلم نور، وهو الذي يهدي إلى طريق الحق والصواب.

يرى الإمام أحمد أن على المسئولين عن التعليم عامة والمعلمين بخاصة، الاهتمام بمادتي الإملاء والخط فيهما الركيزتان الأساسيتان لنجاح الطالب في تعليمه. كان عليه الصلاة والسلام المعلم الأول حيث كان يعلم أصحابه أمور دينهم، والقائل: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(أخرجه ابن ماجه ص٧٩)

يلاحظ المهتمون بالتربية أن معظم الذين كتبوا فيها ووضعوا النظريات التربوية هم علماء غربيون. وكثير من الكتاب المسلمين يقتبسون من آرائهم ونظرياتهم ويعملون على تطبيقها والدعوة إلى ذلك رغم أن تراثنا الإسلامي الخالد «القرآن الكريم - السنة النبوية - وما كتبه العلماء المسلمون» في القرون الماضية مليء بالأساليب التربوية التي استخدمها العلماء المسلمون في التعليم في المدارس والجامعات الإسلامية والتي تخرج منها كثير من العلماء المسلمين الذين كان لهم دور كبير في نهضة الأمة الإسلامية وخصوصًا في عصر إزدهار الدولة الإسلامية في العصر العباسي. دليل على نجاح تلك الأساليب التربوية وتحقيق أهدافها حيث تخرج منها أعدادا من علماء الأمة المشهورين من أمثال الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم.

ومن الأدلة على نجاح الأساليب التربوية التي كان علماء المسلمون يستخدمونها في التعليم بالمدارس والجامعات الإسلامية دور هذه المدارس وأنها كانت من العوامل التي ساهمت في النهضة في أوروبا حيث انتقلت الحضارة الإسلامية إليها من عدة منافذ ومنها الأندلس.

فالمتتبع للتاريخ الإسلامي يجده مليء بسير العظماء والمصلحين الذين لعبوا دورًا بارزًا في صناعة التاريخ وخدمة الإسلام والدفاع عنه فسجل لهم التاريخ ذلك الجهد بحروف من ذهب. وهؤلاء العلماء والمصلحون هم الذين قامت على كواهلهم النهضة الإسلامية الشاملة التي عمت جميع البلدان التي فتحها المسلمون. فالمسلمون لم يكتفوا بنشر الإسلام وتعاليمه فقط وإنما اهتموا بنشر حضارتهم الإسلامية. فبجانب اهتمامهم بإنشاء المساجد اهتموا أيضًا بإنشاء المدارس التعليم أبناء البلاد التي فتحوها - حيث يعتبر التعليم نواة النهضة وأساسها في أي بلد ومن أمثلة ذلك إهتمام المسلمين بنشر التعليم والحضارة الإسلامية في أسبانيا بعد أن فتحوها وأنشأوا بها المساجد والتي من أشهرها جامع قرطبة - الذي لا يزال إلى يومنا هذا علامة بارزة على تفوق المسلمين في المجال المعماري - ثم اهتموا بإنشاء الجامعات في الأندلس

ومنها: جامعة قرطبة واشبيلية التي أصبحت موردة لطلاب العلم من شتى دول أوروبا. فكان من نتائج إهتمام المسلمين بالتعليم بروز عدد كبير من العلماء المسلمين الذين نبغوا في مجالات الحياة المختلفة في الشريعة الإسلامية والطب والهندسة والرياضيات والفيزياء والكيمياء.

وممن اشتهر من علماء المسلمين في الفقه الإسلامي الأئمة الأربعة وهم : الإمام أبو حنيفة والإمام مالك بن أنس والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل الذين بذلوا جهودًا مشكورة في الفقه الإسلامي. فأصبحت لهم مذاهب معروفة. كما أنهم اهتموا بالتعليم فكانت لهم حلقات في المساجد يتهافت إليها طلاب العلم.

فمثلا الإمام أحمدبن حنبل، كانت له حلقة في جامع بغداد يصل عدد الطلاب فيها إلى خمسة آلاف طالبا وكان الذين يكتبون منهم خمسمائة[١] وقد قال الشافعي في الإمام أحمد بن حنبل: «أنت أعلم بالأخبار الصحاح منا فإذا كان خبر صحيح فأعلمني، حتى أذهب اليه كوفيا كان أو مصريا أو شاميا »[٢] وقال الشافعي أيضا في الإمام أحمد بن حنبل«أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقراء، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة » .

وقد ابتلي الإمام أحمد بن حنبل في خلافة المأمون والمعتصم والواثق حينما أقنع المعتزلة هؤلاء الخلفاء بالقول بخلق القرآن ولكن الإمام أحمد لم يقل يخلق القرآن فتحمل في سبيل ذلك السجن والضرب والأذى. يقول (ابن سعد،١٣٧٧): «وقد كان امتحن - الإمام أحمد بن حنبل– وضرب بالسياط أمر بضربه أبو اسحاق أمير المؤمنين، على أن يقول القرآن مخلوق فأبى أن يقول، وقد كان حبس قبل ذلك فثبت على قوله، ولم يجبهم إلى شيء، ثم دعي ليخرج إلى الخليفة المتوكل على الله، ثم أعطي مالا فأبى أن يقبل ذلك المال »

للإمام أحمد بن حنبل كتب جليلة تتضمن كثيرة من الأفكار التربوية إضافة إلى جهوده المخلصة في علوم الدين من فقه وحديث وغيرهما. تتضمن كتب الإمام أحمد بن حنبل كثير من الفكر التربوي .

إن هذا الكتاب يتناول الحديث عن فكر تربوي لإمام جليل في علمه، كبير في قدره أسهم في مجالات متعددة من صروح العلم والمعرفة، إنه الإمام الزاهد أحمد بن حنبل، أحد أئمة الفقه الأربعة، والذي عاش حياته في خدمة كتاب الله وسنة رسوله الكريم -ﷺ- ونذر نفسه للدفاع عن عقيدة التوحيد، ومواجهة البدع والضلالات، فقارع فكر المعتزلة، وتحدى زيغهم انتصارا لعقيدة الإسلام اللاحبة القويمة، وتمسك بالعقيدة الإسلامية، وأثر اتباع

---

[١]- محمد أبو زهرة: ابن حنبل (حياته وعصره، آراؤه وفقهه)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧، ص٣٩

[٢]- المرجع السابق، ص٨٤

الكتاب والسنة والعمل بهما، وسعى إلى الحفاظ عليهما من تحريف أهل العقائد والمذاهب الباطلة.

أبدع الإمام أحمدفي نتاجه الفكري، فتنوعت تصانيفه لتنوع ثقافته مما أثرى فكر الأمة التربوي، وأسهم في مجالات متعددة في التربية الإسلامية فأعطى نتاجًا متنوعة في مجال التعليم الإسلامي، وفي التربية السلوكية.

فالإمام أحمد علم من أعلام الفكر التربوي الإسلامي تميز بفكره المعتمد على الأصول الصحيحة، فاتجهت هذه الدراسة اتجاهًا تربويًا لتؤصل فكر الأمة التربوي وتطرح الفكر التربوي التغريبي الذي هو سهم يطعن الأمة الإسلامية.

إن الفكر التربوي للإمام أحمد يمثل الإتجاه العام لفكرأهل السنة والجماعة. ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب، وخاصة والأمة العربية والإسلامية تعيش واقعة فكرية متردية نتيجة التلاقح الفكري بين الشرق والغرب من غير ضابط عقدي أو معيار شرعي، وكذلك نتيجة التغريب في معظم جوانب الحركة الفكرية للعالم الإسلامي وجاء هذا الكتاب ليكشف جانبًا مهمًا من تراث علماء الأمة الاسلامية ومنه، ما تركه الإمام الجليل أحمد بن حنبل، حيث أثرى الفكر التربوي وأمل قضاياه.

ونظرًا للمكانة الكبيرة التي حظي بها الإمام أحمد بن حنبل بصفته أحد الأئمة الأربعة المشهورين في الفقه، وحيث لم يعرف عنه إلا أنه عالم دين فقط وبعد الإطلاع على كتبه وبعض الكتب التي كتبت عنه تولدت لدينا الرغبة في إبراز بعض الأفكار التربوية التي تضمنتها تلك الكتب من خلال حياة الإمام أحمد بن حنبل ومعاملاته.

كان أحمد بن حنبل واحدًا من أئمة الهدى الذين ازدانت بهم القرون الهجرية الأولى يلوذ بهم الناس حين تدلهمّ بهم الطرق، وتتشعب بهم السبل، فلا يجدون إلا يدًا حانية، ونورًا هاديًا يأخذهم إلى جادة الطريق، ويلقي بهم إلى بر النجاة. ينظر الناس إليهم فيجدون دينهم فيهم وخلقهم وآدابهم ماثلة بين أيديهم، وسنة نبيهم حية ناطقة، كان النبي ﷺ لا يزال حيًا بين ظهرانيهم، وأصحابه المهديين يعيشون بينهم، فيطمئنون إلى سلامة المنهج، وصدق التطبيق وكانت حلقاتهم في ساحات المسجد منازل للوحي ومجامع للأفئدة، وملجأ للعقول، يتحلق حولهم تلاميذهم ومن يرغب في سماع تفسير آية أو بيان حديث، أو طلب فتوى، ينزلهم الناس من أنفسهم المحل الأسمى، ويقتدون بهديهم كمن يطلب النجاة لنفسه من خطرداهم ويستقبلونهم بالبشروالترحاب أينما حلوا كما يُستقبل القادة والفاتحون.

لا شك أنه واحد من حراس العقيدة، ومن أئمة الهدى، فقد نصح للحكام ولاذ به الناس حين كثرت الفتنة، وامتلك شجاعة في الرأي محمودة، ودونت له كتب التاريخ صفحات من المجد لا تمحوها الأيام، ولعل أبرزما يجعله ضمن قائمة المجددين في الإسلام أنه أحيا ما كان السلف الصالح عليه من الشجاعة في الحق، وقد أثبتت مواقفه وسيرته أنه

أخذ نفسه طوال حياته على التمسك بالقرآن والسنة النبوية، وما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ فكان إمام أهل السلف لم يخشَ في الله لومة لائم، وقد ورث عنه أتباع مذهبه من بعده هذه المواقف.

الإمام أحمد بن حنبل هو آخر الأئمة الأربعة العظماء، والذي ذهب بمساهمته وراء الفقه العادل، على الرغم من أنه كان واحدا من أعظم الفقهاء وعلماء الحديث في عصره وربما كان أعظم إرث له في شجاعته في شرح المعتقدات التقليدية من الإسلام كما كانت منقولة عن النبي محمد ﷺ في مواجهة الاضطهاد والسجن على يد السلطة السياسية، ولهذا السبب كان تراث الإمام أحمد هو أكثر بكثير من مجرد إنشاء المذهب الحنبلي، بل يشمل أيضا الحفاظ على المعتقدات الإسلامية الأساسية ضد القمع السياسي.

الإمام أحمد بن حنبل هو أحد علماء الإسلام البارزين ولقب بشيخ الإسلام وهو من العلماء البارزين في العلوم الإسلامية، كان إماماً في الفقه والحديث.

على الرغم من أن اسم أحمد كان على مدار تاريخ الإسلام بأكمله أحد أكثر الأسماء شيوعاً في الثقافة الإسلامية وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي، عندما يتم ذكره بمفرده في أي عمل علمي من الحديث أو الفقه فلا حرج في أن يكون المرجع لأحمد بن حنبل، كان أحمد مؤسس المدرسة الفكرية الرابعة، لكن الترتيب يتم فقط على أساس التسلسل الزمني ولد بن حنبل عام ١٦٤هـ الموافق ٧٨١م، أي أن ولادته حدثت بعد وفاة أبي حنيفة بـ ١٤سنة، وقبل وفاة مالك بـ ١٥سنة، لكن الاثنين لم يلتقيا، كان بن حنبل من تلاميذ الشافعي وكان يحترمه ويقدره تقديراً كبيراً.

عُرف بين العلماء باسم "الشاب التقي"، وكان في شيخوخته العالم البارع الذي يتحمل العذاب والمشقة بسبب معتقداته.

وفي هذا الكتاب نحاول استخلاص الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل من بعض كتب الإمام أحمد بن حنبل أو بعض الكتب التي كتبت عن الإمام أحمد بن حنبل وبيان مدى الاستفادة منها في عصرنا الحاضر.

الفصل الأول

سيرة الإمام أحمد

- نشأة الإمام أحمد وولادته
- نسبه
- أخلاق وصفات الإمام أحمد
- زوجات الإمام أحمد وأولاده
- السلوك الاجتماعي للإمام أحمد
- سعيه في طلب العلم
- رحلاته العلمية
- منهج الإمام أحمد العلمي
- المؤسسات التربوية التي تعلم فيها الإمام أحمد
- اللغات التي تعلمها الإمام أحمد
- شيوخ الإمام أحمد
- تلاميذه
- رأي علماء الإسلام في بن حنبل
- حفظه وسعة علمه
- ثبات الإمام أحمد رغم المحنة (محنة خلق القرآن)
- مؤلّفات أحمد بن حنبل وتصانيفه
- مع المحبرة إلى المقبرة
- دراساته الخاصة
- عصره
- عبادةُ الإمام أحمد
- وفاء الإمام أحمد لشيوخه
- وفاة الإمام أحمد
- والدة الإمام أحمد (منهاج في التربية)

الفصل الأول

سيرة الإمام أحمد[٣]

✍ نشأة الإمام أحمدوولادته ونسبه

فإن الإمامة في الدين؛ إنما تنال بالصبر واليقين، كما قال رب العالمين: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون ﴾[سورة السجدة: الآية ٢٤] ألا وإن من علماء الأمة الربانيين الذين أخذوا بحظ وافر من ميراث خاتم النبيين ﷺ واجتمعت قلوب المؤمنين على الإقرار بإمامته في الدين: من قال عنه الإمام الشافعي - رحمه الله -: "خرجت من بغداد، فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى منه". إنه العالم بحقٍّ، والعامل بصدقٍ: أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله.

الإمام أحمد، هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، إمام الأئمة، وعالم الأمة وكانت قبيلته شيبان تتميز بكثرة القادة والعلماء والأدباء والشعراء، قال ابن الأثير "ليس في العرب أعز دارًا، ولا أمنع جارًا، ولا أكثر خلقًا من شيبان" فالإمام أحمد عربي أصيل ينتمي إلى هذه القبيلة، وهي قبيلةٌ ربعيةٌ عدنانيةٌ، تلتقي مع النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان.

قدمت أمه بغداد وهي حامل به، فولدته سنةَ ١٦٤هـ/ ٧٨٠م ونشأ بِهَا، وسمع شيوخها ثم رحل إِلَى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة وسمع من خلق كثير.

وجمع حفظ الحديث والفقه والزهد والورع، وكانت مخايل النجابة تبين عَلَيْهِ من زمن الصغر، وَكَانَ أشياخه يعظمونه.

نشأ أحمد بن حنبل يتيمًا، وكسائر أترابه تعلم القرآن في صغره، وتلاه تلاوة جيدة وحفظه عن ظهر قلب، وعندما تجاوز الخامسة عشرة من عمره بدأ يطلب العلم، وأول من طلب العلم عليه هو الإمام أبو يوسف القاضي، والإمام أبو يوسف - كما هو معلوم - من

---

[٣]- جمعان أحمدصالح الدبسي: الفكر التربوي عند الإمام أحمدبن حنبل جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤١٥هـ، ص٤٥-٩١.
ختام محمد عوض القرعان: الفكر التربوي عند الإمام أحمدبن حنبل، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك الأردن،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٩٢م، ص١٠-١٧
عطاء الرحمن عبد الباطن، أحمدبن حنبل وأفكاره في التربية والتعليم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التربية:الإدارة التربوية.

أئمة الرأي مع كونه محدِّثًا، ولكن مع مرور الوقت وجد الإمام أحمد أنه يرتاح لطلب الحديث أكثر فتحوَّل إلى مجالس الحديث، وأعجبه هذا النهج واتفق مع صلاحه وورعه وتقواه، وأخذ يجول ويرحل في سبيل الحديث حتى ذهب إلى الشامات والسواحل والمغرب والجزائر ومكة والمدينة والحجاز واليمن والعراق وفارس وخراسان والجبال والأطراف والثغور، وهذا فقط في مرحلته الأولى من حياته.

ولقد التقى الشافعي في أول رحلة من رحلاته الحجازية في الحرم، وأُعجِبَ به وظلَّ الإمام أحمد أربعين سنة ما يبيت ليلة إلا ويدعو فيها للشافعي. وقد حيل بين أحمد ومالك بن أنس فلم يوفَّق للقائه، وكان يقول: "لقد حُرِمتُ لقاء مالك، فعوَّضني الله ﷻ عنه سفيان بن عيينة

قال الإمام الذهبي - رحمه الله -: في كتابه: "هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد"، ثمَّ قال: "الذهلي الشيباني المروزي، ثمَّ البغدادي أحد الأئمة الأعلام هكذا ساق نسبه ولده عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب في تأريخه وغيره، ويلتقي نسبه بنسب النبي -ﷺ- في نزار بن معدِّ بن عدنان.

واشتهر أبو عبد الله بابن حنبل مع أن حنبل جده وليس أباه؛ لأن جده هذا كان معروفاً مشهوراً، وعمل والياً على سرخس من أعمال خراسان في العهد الأموي وناصر الدعوة العباسية عند ظهورها على حين كان والده مجاهداً، ومات في ريعان شبابه فعرف بابن حنبل نسبة إلى جده.

فكان محمد والد أبي عبد الله من أجناد مرو مات شابَّاً وله نحو ثلاثين سنة، وقيل أنَّ أمَّه تحوَّلت من مرو وهي حاملٌ به رحمها الله.

وقد نشأ يتيماً في حجر أمِّه، ونقل صالحٌ عن أبيه أنَّه قال: ثقبت أمي أذني، فكانت تصيِّر فيهما لؤلؤتين، فلمَّا ترعرعت نزعتهما، فكانت عندها، ثمَّ دفعتها إليَّ، فبعتهما بنحو ثلاثين درهماً.

وُلد أحمد بن حنبل في (ربيع الأول ١٦٤هـ، نوفمبر ٧٨٠م)، وشاء الله ألا يرى الوالد رضيعه؛ فقد توفي قبل مولده، فقامت أمّه برعايته وتنشئته، وحرصت على تربيته كأحسن ما تكون التربية، وعلى تعليمه فروع الثقافة التي كانت سائدة، فحفظ القرآن الكريم، وانكبّ على طلب الحديث في نهم وحب، يسرع الخطى إلى شيخه قبل أن يسفر الصباح؛ حتى يكون أول من يلقاه من تلاميذه، حتى إذا شبّ عن الطوق انتقل إلى حلقة "أبي يوسف" تلميذ أبي حنيفة وأول من اعتلى منصب قاضي القضاة، وكانت حلقته آية في السمو والرقي يؤمها طلاب العلم والعلماء والقضاة على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم، وقد لزم أحمد بن حنبل حلقة أبي يوسف أربع سنوات، كتب ما سمعه فيها ما يملأ ثلاثة صناديق، كما لزم حلقة "هشيم بن

بشير السلمي" شيخ المحدثين في بغداد، ولا يسمع بعالم ينزل بغداد إلا أقبل عليه وتتلمذ له فسمع من "نعيم بن حماد"، و"عبد الرحمن بن مهدي"، و"عمير بن عبد الله بن خالد".

هوأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني، أحد الأئمة الأعلام. كنيته: أبوعبد الله

✍ نسبه

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني.

✍ أخلاقه وصفاته

أخلاقه وصفاته

- **الورع والزهد**

لقد كان الإمام أحمد- رحمه الله - مثالاً يحتذى به في الزهد والورع فقد حدَّث الرمادي قال: سمعت عبد الرزاق، وذكر أحمد بن حنبل، فدمعت عيناه، فقال: بلغني أن نفقته نفدت فأخذت بيده، فأقمته خلف الباب، وما معنا أحد، فقلت له: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير إذا بعنا الغلة، أشغلناها في شيء، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها وأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ شيء، فقال لي: يا أبا بكر، لو قبلت من أحد شيئاً، قبلت منك.

- وقال عبد الرزاق: ما رأيت أحدا أفقه ولا أورع من أحمدبن حنبل.
- وقال عبد الله: قلت لأبي: بلغني أن عبد الرزاق عرض عليك دنانير؟ قال نعم وأعطاني يزيد بن هارون خمس مئة درهم – أظن - فلم أقبل، وأعطى يحيى بن معين وأبا مسلم، فأخذا منه.

كان أحمد بن حنبل ورعاً زاهداً، فقد كان كثير التعبد في محراب العلم ومحراب الصلاة، دائم الصوم حتى في أيام المحنة، إذ كان يُجلد بالسياط وهو صائم تطوعاً تبتلاً وكانت صلاته في اليوم ثلاثمئة ركعة، فلما أوذي في المحنة ونزل به من الضرب والجلد ما نزل وبقيت آثار الجلد تؤلمه إلى أن مات، لم يستطع أن يحافظ على الركعات الثلاثمئة فأنزلها إلى مئة وخمسين ركعة في اليوم، وكانت له ختمة في كل سبع ليال.

وكان ابن حنبل يتمثل الموت دائماً، وكان إذا ذكر الموت خنقته العبرة، ويردف قائلاً: «الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب»، كما كان شديد التعلق برسول الإسلام محمد، ولم يكن هذا التعلق بالحب والاهتمام بالحديث النبوي وحسب، وإنما بما يقع تحت يده من آثار النبي محمد، فقد قال ابنه عبد الله: «رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ

فيضعها على فمه ويقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغمسها في الماء ثم يشربه يستشفي به، ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في حُب الماء، ثم شرب فيها ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسح به يديه ووجهه».

قال صالح بن أحمد: دخلتُ على أبي في أيام الخليفة الواثق، والله يعلم في أي حالة نحن وخرج لصلاة العصر، وكان له جِلد يجلس عليه قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلي، فإذا تحته كتاب فيه: بلغني يا أبا عبدالله ما أنت فيه وعن الضيق وما عليك من الدَّين وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدَيْ فلان؛ لتقضي بها دَينك، وتوسع بها على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، إنما هو شيءٌ ورثته من أبي، فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت له: يا أبت، ما هذا الكتاب؟ فاحمرَّ وجهه، وقال: رفعتُه منك، ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتابك إليَّ ونحن في عافية، فأما الدَّين فإنه لرجل لا يرهقنا وأما عيالنا فهم بنعمة الله والحمد لله، فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فقال ويحك لو أن أبا عبدالله قبل هذا الشيء ورمى مثلًا في دجلة، كان مأجورًا؛ لأن هذا الرجل لا يُعرف له معروف، فلما كان بعد حين، ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فرد عليه الجواب بمثل ما رد، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت

(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ صـ ٣٤٤: ٣٤٣).

قال محمد بن موسى بن حماد الزيدي: حمل إلى الحسن بن عبد العزيز الحروي من ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبلثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار فقال: يا أبا عبد الله، هذه ميراث حلال، فخُذْها فاستعن بها على عائلتك، فقال: لا حاجة لي فيها أنا في كفاية، فردها ولم يقبل منها شيئًا؛ (صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ صـ ٣٤٤).

وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرت الموت، هان عليَّ كلُّ أمر الدنيا، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، ما أعدل بالفقر شيئًا ولو وجدت السبيل، لخرجتُ حتى لا يكون لي ذِكر.

وقال: أريد أن أكون في شِعب بمكة حتى لا أعرف، قد بُليت بالشهرة، إني أتمنى الموت صباحًا ومساءً؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ ٢١٦: ٢١٥).

قال المروذي: قلت لأحمد: كيف أصبحتَ؟ قال: كيف أصبح مَن ربُّه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنَّة، والملَكان يطلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملَك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة؟!

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٢٢٧).

وقال المروذي: قال لي أحمد: ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي احتجم، وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت.

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٢١٤).

قال إسحاق بن راهويه: لما خرج أحمدإلى عبدالرزاق، انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الجمالين إلى أن وافى صنعاء، وعرض عليه أصحابه المواساة، فلم يأخذ.

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٢١٤).

قال أبو داود السجستاني: كانت مجالسُ أحمد بن حنبل مجالسَ الآخرة، لا يُذكر فيها شيء من أمرالدنيا، ما رأيتُ أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.

(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢: صـ ٣٤٠).

كان الإمام أحمدلا يصلِّي خلف عمه إسحاق بن حنبل ولا خلف بَنِيه، ولا يكلِّمهم أيضًا لأنهم أخذوا جائزة السلطان؛ (البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ صـ ٣٤٢)

مكث مرةً ثلاثة أيام لا يجد ما يأكله، حتى بعث إلى بعض أصحابه، فاستقرض منه دقيقًا، فعرَف أهله حاجته إلى الطعام، فعجلوا وعجنوا وخبزوا له سريعًا، فقال: ما هذه العجلة؟! كيف خبزتم سريعًا؟! فقالوا: وجدنا تنُّورَ بيت صالح مسجورًا فخبزنا لك فيه، فقال ارفعوا، ولم يأكل، وأمر بسدِّ بابه إلى دارصالح؛ لأن صالحًا أخذ جائزة المتوكل على الله.

(البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠: صـ ٣٤٢).

قال البيهقي: وقد كان الخليفة يبعث لمائدته شيئًا كثيرًا، وكان أحمد لا يتناول من طعامه شيئًا؛ (البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ صـ ٣٤٢).

قال البيهقي: بعث الخليفة المأمون مرةً ذهبًا؛ ليقسم على أصحاب الحديث، فما بقي منهم أحد إلا أخذ، إلا أحمد بن حنبلفإنه أبى؛ (البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠: صـ ٣٤٢).

قال سليمان الشاذكوني: رهن أحمد سطلًا (وعاء) عند رجل، فأخذ منه شيئًا يتقوَّته فجاء فأعطاه فَكاكه، فأخرج إليه سطلين، فقال: انظر أيهما سطلك فخذه، قال: لا أدري، أنت في حِلٍّ منه ومما أعطيتك، ولم يأخذ شيئًا، قال الرجل: واللهِ إنه لسَطله، وإنما أردت أن أمتحنه فيه.

(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ صـ ٣٤٨: ٣٤٧)

قال أحمد بن منصور الرمادي: سمعتُ عبدالرزاق - وذكر أحمد- فدمعت عينه وقال: قدم وبلغني أن نفقته نفِدت، فأخذتُ عشَرة دنانير، وعرضتها عليه، فتبسم، وقال: يا أبا بكر، لو قبلتُ شيئًا من الناس، قبلتُ منك، ولم يقبل مني شيئًا.

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٢٢٩).

- **غزارة العلم**

ذاع علم أحمد بن حنبل واشتهروهو حي يرزق، بل إن علمه بالحديث والأثر ذاع وهو لا يزال شاباً يتلقى العلم ويأخذ عن الشيوخ، وقد قال فيه أحمد بن سعيد الرازي وهو شاب: «ما رأيت أسْودَ الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعلم بفقهه من أحمد بن

حنبل»، وقال له شيخه الشافعي: «أنت أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان الخبر صحيحاً فأعلمني حتى أذهب إليه كوفياً كان أو مصرياً أو شامياً»، ورُوي عن الإمام الشافعي أيضاً أنه قال: «ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي»، وقال معاصره علي بن المديني: «ليس فينا أحفظ من أبي عبد الله بن حنبل»، وقال أيضاً: «أعرف أبا عبد الله منذ خمسين سنة وهو يزداد خيراً».

وينبغي الذكر أن أحمد بن حنبل كان يعرف اللغة الفارسية ويتكلم بها أحياناً، فقد رُوي أنه قدِم عليه من خراسان ابنُ خالته ونزل عنده، ولما قدَّم له الطعام كان ابن حنبل يسأله عن خراسان وأهلها وما بقي من ذوي أحمدبها، وربما استعجم القول على الضيف فيكلمه أحمد بالفارسية.

- **قوة الحفظ**

كان أحمد بن حنبل يمتاز بقوة الحافظة، وقد تضافرت الأخبار في ذلك يؤيد بعضها بعضاً، قال ابن حنبل: «كنت أذاكر وكيعاً بحديث الثوري، فكان إذا صلى العشاء خرج من المسجد إلى منزله، فكنت أذاكره، فربما ذكر تسعة أحاديث أو العشرة فأحفظها، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث: أملِ علينا، فأمليها عليهم فيكتبونها». كما شهد معاصروه بقوة حفظه وضبطه، فقد قيل لمعاصره أبي زرعة: «من رأيت من المشايخ والمحدثين أحفظ؟» قال: «أحمد بن حنبل». وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبا زرعة يقول: «كان أحمد بن حنبل يحفظ ألفَ ألفِ حديث»، فقيل له: «وما يدريك؟»، قال: «ذاكرتُه فأخذتُ عليه الأبواب».

- **الصبر**

اتصف أحمد بن حنبل بالصبروالجَلَد وقوة الاحتمال، وهذه هي أبرزصفاته، وهي التي أذاعت ذكره ونشرت خبره، وقد كانت هذه الصفة المزاج الذي اختص به الإمام أحمد فجمع بها بين الفقر والجود والعفة وعزة النفس والإباء، وبين العفو واحتمال الأذى، وهي التي جعلته يحتمل ما يحتمل في طلب العلم، غير وانٍ ولا راضٍ بالقليل منه، يجوب الأقطار ويقطع الفيافي والقفار، راكباً إن أسعفته الحال، وماشياً إن ضاقت النفقة، ولما صار له شأن وتصدى للدرس والإفتاء نزل به البلاء الأكبر والمحنة العظمى، فكانت تلك الصفة هي عهدته، وبها كانت أهبته فقد صبر وصابر الذين أنزلوا به الأذى، حتى ملوا الأذى ولم يهن ولم يستكن، ولم يستخذلهم ولم يجبهم إلى قولهم.

ومن الأخبار التي تدل على قوة جنانه وثباته أنه دخل على الخليفة في أيام المحنة بعد أن هولوا عليه لينطق بما ينجيه ويرضيهم، وكانوا قد ضربوا عنق رجلين في حضرتهولكنه في وسط ذلك المنظر المروع، وقع نظره على بعض أصحاب الشافعي

فسـألـه: «وأي شـيء تحفظ عن الشافعي في المسح على الخفين؟»، فأثار ذلك دهشة الحاضرين، وراعهم ذلك الجنان الثابت، حتى قال خصمه أحمد بن أبي دؤاد متعجباً «انظروا لرجل هو ذا يُقدم به لضرب عنقه فيناظر في الفقه».

- **التواضع**

كان أحمد بن حنبل متواضعاً متطامناً لعامة الناس، مقيلاً لعثراتهم، وقد حكى عنه تلميذه المروزي فقال:«لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلاً إليهم مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده لا يتصدر، ويقعد حيث انتهى به المجلس».

- **الهيبة**

كان أحمد بن حنبل مهيباً من غير خوف، وموضعاً للإجلال والاحترام من غير رهبة وكانت له هيبة حتى في نفس أساتذته، فقد كان بعض أساتذته يمزح مع بعض تلاميذه غيرعالم بمكان أحمد من المجلس، فلما علم بمكانه لامهم إذ لم ينبهوه على وجوده حتى لا يمزح وهو في حضرته. وكانت الشرطة تهابه أيضاً، أما هيبة تلاميذه له فأعظم من ذلك فقد قال فيه أحد تلاميذه: «كنا نهاب أن نرد أحمد في الشيء أو نحاجه في شيء من الأشياء» وقال أحد معاصريه الذين تتلمذوا له: «دخلت على إسحاق بن إبراهيم، وفلان وفلان من السلاطين، فما رأيت أهيب من أحمد بن حنبل، صرت إليه أكلمه في شيء فوقعت علي الرعدة حين رأيته من هيبته»، وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: «جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي فما هبت أحداً منهم ما هبت أحمدبن حنبل».

اتصف أحمد ﵁ بصفات كانت هي السبب في هذه الشهرة التي اكتسبها، وفي ذلك العلم الغزير الذي خلفه من بعده.

- أول هذه الصفات الحافظة القوية الواعية، وهي صفة عامة المحدثين، وأهل الإمامة منهم بشكل خاص. ولقد شهد بقوة حفظه وضبطه معاصروه حتى عدَّ أحفظهم.
- والصفة الثانية، وهي أبرز صفات أحمد ﵁ وهي التي أذاعت ذكره صفة الصبر والجلد وقوة الاحتمال، وهي مجموعة من السجايا الكريمة، أساسها قوة الإرادة وصدق الهيمة وبعد الهمة. وهذه الصفة هي التي جعلته يحتمل ما يحتمل في طلب العلم، غير وانٍ ولا راضٍ بالقليل منه. ولقد كانت صفة الصبر التي أمتاز بها الإمام أحمد من نوع الصبر الجميل، فقد نزل به الأذى فما أنّ، وما ضج

بالشكوى. وكان فيه صاحب الجنان الثابت الذي لا يطيش ولا يذهب. ومما يروى دليلاً على ذلك أنه أدخل على الخليفة في أيام المحنة، وقد هولوا عليه لينطق بما ينجيه ويرضيهم، وقد ضرب عنق رجلين في حضرته، ولكنه في وسط ذلك المنظور المروع، وقع نظره أيضاً على بعض أصحاب الشافعي، فسأله: وأي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح على الخفين، فأثار ذلك دهشة الحاضرين وراعهم ذلك الجنان الثابت الذي ربط الله على قلب صاحبه، حتى لقد قال خصمه أحمدبن أبي داؤد متعجباً: "انظروا لرجل هو ذا يقدم لضرب عنقه، فيناظر في الفقه".

- وكان أحمد ﷺ كثير العفو عمن يسيء إليه، أغلظ له رجل الكلام وتركه مغضباً ثم عاد إليه نادم، وقال له المعتذر: يا أبا عبد الله! إن الذي كان مني على غير تعمد، فأنا أحب أن تجعلني في حل، فقال أحمدرضي الله عنه: "ما زالت قدماي من مكانها حتى جعلتك في حل". وقد عفا عن كل من أساء إليه، أو تسبب في عقوبته ومحنته.
- أما الصفة الثالثة من صفات الإمام أحمد التي أمتاز بها فهي النزاهة بأدق معانيها ولقد دفعته عفة النفس أو نزاهتها أن يترك بعض الحلال، وأن يمتنع عن قبول عطاء الخلفاء، مع تصريحه لبعض أولاده بأنه حلال يصح الحج منه، وأنه يتركه تنزيهاً للنفس، لا تحريماً. وبهذا التضييق الذي سلكه في شأن نفسه، كان لا يأكل إلا من كسب يده، أو من غلة عقار ورثه، ويلقى في سبيل ذلك العناء الشديد والحرمان من كثير من طيبات الحياة، ولهذا كان زاهداً، ولكنه زهد، ليس أساسه رغبة الرغبة عن طيبات الحياة، بل أساسه طلب الحلال، ولكن لا يطلبه من مال فيه شبهة، بل من مال يناله من غير أن تصاب النفس في نزاهتها أو عزتها، ومن غير أن يلجأ في ذلك إلى أحد من العباد. وقد كان يضطر في بعض الأحيان أن يؤجر نفسه للحمل في الطريق، وهو إمام المسلمين- يومئذ - وقد ابتلي في أيام المتوكل بالإقبال والصلات والجوائز، كما ابتلي في أيام المعتصم بالتعذيب والصرم والقسوة، وكان في كليهما صابراً عفيفاً نزيهاً، وكانت الأولى أشد عليه من الأخرى، وقد ثبت على عفافه وزهده وعزوفه عن أموال السلطان وله في ذلك أخبار غريبة. ويروى أن وزير المتوكل كتب له: "إن أمير المؤمنين قد وجه إليك جائزة، ويأمرك بالخروج إليه، فالله الله أن تستعفي أو ترد المال، فيتسع القول لمن يبغضك" فيضطر أحمد ليبدد ظلمات السعاية إلى القبول ولكنه لا يمسه، ويأمر ولده صالحاً أن يأخذه ثم يوزعه في اليوم التالي على أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من أهل التجمل والحاجة، وكأنه يرى أنهم أولى بمال المسلمين منه، وقد

حرموا عطاءهم. وقد استفاد أحمد من هذا الزهد والتوكل على الله قوة روحية وصلة عميقة بالله، وإنابة إليه، استحق بها النصر، وتغلب على نزوات النفس وشهواتها.

- والصفة الرابعة من صفات الإمام أحمد هي الإخلاص. والإخلاص في طلب الحقيقة ينقي النفس من أدران الغرض، فتستنير البصيرة، ويستقيم الإدراك ويشرق القلب بنور المعرفة وهداية الحق. ولهذا كان أحمد يتجنب الرياء ويبالغ في الابتعاد عنه، وكان يؤثر أن لا يسمع به أحد فكان يقول: "أريد النزول بمكة ألقي نفسي في شعب من تلك الشعاب حتى لا أعرف". ولهذا المعنى الجليل الذي سيطر على نفسه فجعلها خالصة لربه كان يستقل ما يقوم به من عبادات ولا يستكثر ما وقع له من محنة، فكان لا يذكرها ويستر آثارها، وكان بعيداً عن الزهو والافتخار، متواضعاً لله متطامناً للناس، ولا يفتخر في شيء، قال يحيى بن معين: "ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، صحبته خمسين سنة، ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير".
- وقد وضع الله له القبول في قلوب العباد، وطار ذكره في الآفاق، ودعا له المسلمون وتقربوا بحبه إلى الله، وهو يخاف على نفسه من الاستدراج، قال المروزي: "قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك! قال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، بأي شيء هذا؟ ". وقد كان كثير من غير المسلمين يجلّونه ويخضعون له، ويعتقدون فيه الصلاح ويتبركون بزيارته، قال المروزي: "أدخلت نصرانياً على أبي عبد الله يعالجه فقال: يا أبا عبد الله: إني أشتهي أن أراك منذ سنين، ما بقاؤك صلاح الإسلام وحده بل للخلق جميعاً، وليس من أصحابنا أحد إلا رضي بك".
- أما الصفة الخامسة التي امتاز بها الإمام أحمد، وجعلت لدروسه وكلامه موقع من نفوس سامعيه لا تزول، فهي الهيبة. فقد كان مهيباً وقوراً، وكان الناس مدفوعين إلى إجلاله وتهييبه شأن " من تواضع لله رفعه الله" يقول أحد معاصريه: "دخلت على إسحاق بن إبراهيم، وفلان وفلان من السلاطين، فما رأيت أهيب من أحمد بن حنبل صرت إليه، أكلمه في شيء، فوقعت علي الرعدة حين رأيته من هيبته".

- **عفوه وتسامحه**

ومن أخلاقه العظيمة: عفوه وتسامحه حتى مع أشد خصومه ممن عذبه، فمن ذلك أنه قال: كل من ذكرني ففي حِلٍّ إلا مُبْتَدِعًا، وقد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حِلٍّ ورأيت الله يقول: ﴿ .... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور: الآية ٢٢] وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مِسْطَحٍ، قال أبو عبدالله: وما ينفعك أن يُعذب أخاك المسلم بسببك؟ ولتعف، وتصفح فيغفر الله لك كما وعدك، وكان يقول لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز قال عبدالوهاب الورَّاق: ما بلغنا أن جمعًا في الجاهلية، ولا الإسلام مثله - يعني من شهد الجنازة -، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحرز على الصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف - يعني مليون - وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع.

صفته الشكلية

كان أحمد بن حنبل يوصف بالحُسن، قال أحمد بن العباس بن الوليد النحوي: سمعت أبي يقول: رأيت أحمد بن حنبل رجلاً حسن الوجه، ربعة من الرجال، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني، في لحيته شعرات سود، ورأيت ثيابه غلاظاً إلا أنها بيضاء، ورأيته مُعتمَّاً وعليه إزار. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: خضب أبي رأسه ولحيته بالحناء وهو ابن ثلاث وستين سنة. وكانت تعلوه سكينة ووقار وخشية، وكان نظيفاً في ملبسه، أنيقاً في هيئته في نطاق الحِفاظ على زهده، وقد وصفه تلميذه عبد الملك بن عبد الحميد الميموني بقوله: «ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوباً وشدة بياض من أحمد بن حنبل(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ صـ ٣٤٠).

قال ابن منظور: وكان رجلاً حسن الوجه، ربعة من الرجال، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني، في لحيته شعرات سود، وكانت ثيابه غلاظاً إلا أنها بيض، وكان يعتم وعليه إزار. وقيل: كان شيخاً مخضوباً، طوالاً، أسمر شديد السمرة. (مختصر تاريخ دمشق ٣٩٧/١)

✍ **الإمام أحمديرفض تولية القضاء:**

قال الشافعي لأحمد بن حنبل: إن أمير المؤمنين – يعني محمدًا – سألني أن ألتمس له قاضيًا لليمن، وأنت تحب الخروج إلى عبدالرزاق، فقد نلت حاجتك، وتقضي بالحق.

فقال للشافعي: يا أبا عبدالله، إن سمعتُ هذا منك ثانيةً، لم ترني عندك. وكان لأحمد بن حنبلثلاثين سنةً، أوسبعًا وعشرين؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ٢٢٤).

✍ زوجات الإمام أحمدوأولاده:

لم يتزوج أحمد إلا بعد سن الأربعين، تزوج أولًا بامرأة تسمى عباسة بنت الفضل فلم يولد له منها سوى صالح، وعاشت معه عشرين سنة، ثم توفيت، ثم تزوج بعدها ريحانة، فما ولَدَتْ له سوى عبد الله، وعاشت معه سبع سنوات، ولما توفيت أم عبد الله اشترى أحمد جارية تسمى حُسْن، فولدت له أمَّ عليٍّ زينبَ، والحسن والحسين توأمًا، وماتا بالقرب من ولادتهما، ثم ولدت الحسن ومحمدًا، فعاشا نحوالأربعين يومًا، ثم ولدت بعدهما سعيدًا قبل موت الإمام أحمد بخمسين يومًا، فكبِرَ سعيد وتفقه، ومات قبل أخيه عبد الله.

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ٣٣٣: ٣٣٢)

✍ السلوك الاجتماعي للإمام أحمد:

كان الإمام أحمد بن حنبل مقتديًا برسول الله - ﷺ - في سلوكه ومعاشرته الناس. فخالطهم وعاشرهم في حدود مرضاة الله. وكان يشارك مجتمعه في أفراحه وأحزانه ويجيب دعوة داعيه، ويقبل الهدية ويقابلها بالحسني، ويعود المريض، ويحضر الجنائز.

وفي حضوره للجنازة يتبع سلوك خاص، فيتقدم أمام الجنازة أو يكون قريبة منها أما معاملته للميت فيقبل جبهته وفعل ذلك مع عمه عبد الله عند وفاته.

وعند وصول الجنازة إلى المقبرة كان يخلع نعليه متبع ما قاله الرسول - ﷺ- عندما رأى رجلا يمشي بين المقابر في نعليه «يا صاحب السبتيتين ألقهما ".

شارك الإمام أحمد في جهاد الأعداء، ورابط في ثغور المسلمين، فقدم نفسه الله ولأمته فمغزى في طرسوس. ويقول عنها: " رأيت العلم بها يموت".

✍ سعيه في طلب العلم

كان بين يدي أحمد بن حنبل علمان من علوم الشريعة الإسلامية عليه أن يختار أحدهما فهو إما أن يختار مسلك الفقهاء، وإما أن يختار أن يكون راوياً من رواة الحديث وحافظاً من حفاظه، فقد ابتدأت الطريقتان تتميزان في عصره، وابتدأ العلمان ينفصلان ولقد كان في العراق المنزعان، فقد كان في بغداد فقه العراق، كما كان فيها المحدثون الحفاظ.

أختار أحمد بن حنبل في صدر حياته رجال الحديث ومسلكهم، فاتجه إليهم أول اتجاهه ويظهر أنه قبل أن يتجه إلى المحدثين راد طريق الفقهاء الذين جمعوا بين الرأي والحديث، فقد رُوي أن أول تلقيه كان على القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، ولكنه مال بعد ذلك إلى المحدثين الذين انصرفوا بجملتهم للحديث، فقد قال: «أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف» ولكنه لم يدم في الأخذ عنه، فقد انصرف إلى المحدثين انصرافاً لم يقطعه عن الإطلاع على ما أنتجته عقول الفقهاء العراقيين من فتاوى وأقضية وتخريج، بل إنه قد اطلع عليها، ولكن همته لم تكن إليها.

- **في بغداد**

طلب أحمد بن حنبل الحديث في فجر شبابه، وكان المحدثون في كل بقاع الأراضي الإسلامية، وكان لا بد للإمام أحمد أن يأخذ عن كل علماء الحديث في العراق والشام والحجاز وتهامة، ولعله أول محدث قد جمع الأحاديث في كل الأقاليم ودوَّنها، وإن مسنده لشاهد على ذلك، فهو قد جمع الحديث الحجازي والشامي والبصري والكوفي جمعاً متناسباً. وقد بدأ اتجاه ابن حنبل إلى الحديث من سنة ١٧٩هـ، واستمر مقيماً ببغداد يأخذ من شيوخ الحديث فيها ويكتب كل ما يسمع حتى سنة ١٨٦هـ، أي أنه استمر بطلب حديث البغداديين نحو سبع سنين أو أكثر، ثم ابتدأ في هذه السنة رحلته إلى البصرة، وفي العام التالي رحل إلى الحجاز، ثم توالت رحلاته بعد ذلك إلى البصرة والحجاز واليمن وتهامة وغيرها في طلب الحديث.

لازم أحمد بن حنبل منذ أن بلغ السادسة عشرة من عمره سنة ١٧٩هـ إماماً من أئمة الحديث، وهو هُشَيم بن بشير بن أبي حازم الواسطي (المتوفى سنة ١٨٣هـ)، واستمر يلازمه نحو أربع سنوات، فلم يتركه حتى بلغ العشرين من عمره، وقد رُوي عن ابن حنبل خبرُ تلك الملازمة ومدتها، فقد قال: «كتبت عن هشيم سنة تسع وسبعين، ولزمناه إلى سنة ثمانين وإحدى وثمانين، واثنتين وثمانين، وثلاث، ومات في سنة ثلاث وثمانين، كتبنا عنه كتاب الحج نحواً من ألف حديث، وبعض التفسير، وكتاب القضاء وكتباً صغاراً»، فسأله ابنه صالح بعد ذلك القول: «يكون ثلاثة آلاف؟»، قال: «أكثر».

ولم تكن تلك الملازمة تامة، أي أنه لم ينقطع له انقطاعاً تاماً ولم يتصل بغيره مدة أربع سنوات، بل كان يتلقى عن غيره أحياناً، ويحضر بعض مجالس سواه، إذ يُروى أنه سمع من عمير بن عبد الله بن خالد سنة ١٨٢هـ قبل موت هشيم، كما سمع في هذه الأثناء من عبد الرحمن بن مهدي، فقد رُوي أنه قال: «قدم علينا عبد الرحمن بن مهدي سنة ثمانين وقد خضب، وهو ابن خمس وأربعين سنة، وكنت أراه في المسجد الجامع»، كما كان يستمع إلى أبي بكر بن عباس ويروي عنه. وبعد موت الشيخ هشيم بن بشير، أخذ أحمد بن حنبل يتلقى الحديث حيثما وجده، ومكث ببغداد نحو ثلاث سنوات يأخذ من شيوخها بجد ودأب ومن غير أن يخص أحداً بفضل ملازمة دون غيره كما كان شأنه مع شيخه هشيم، إذ كان قد بلغ العشرين عاماً أو قاربها عند موت هشيم، فسار في طلب الحديث في دأب وجد وعزم، وأمه تشجعه وترشده وتدعوه إلى الرفق بنفسه إن وجدت منه إرهاقاً لنفسه، وقد قال هو في ذلك: «كنت ربما أردت البكور في الحديث، فتأخذ أمي بثيابي حتى يؤذِّن الناس أوحتى يصبحوا».

- **رحلته في طلب الحديث**

بدأ أحمد بن حنبل رحلاته سنة ١٨٦هـ ليتلقى الحديث عن الرجال، فرحل إلى العراق وإلى الحجاز وإلى تهامة وإلى اليمن، وكان يود أن يرحل إلى الري ليستمع إلى جرير بن عبد الحميد، ولم يكن قد رآه قبل في بغداد، ولكن أقعده عن الرحلة إليه عظيمُ النفقة عليه في هذا السبيل. وتوالت رحلاته ليتلقى عن رجال الحديث شفاهاً، ويكتب عن أفواههم ما يقولون، فرحل إلى البصرة خمس مرات، كان يقيم فيها أحياناً ستة أشهر يتلقى عن بعض الشيوخ، وأحياناً دون ذلك وأحياناً أكثر، على حسب مقدار تلقيه من الشيخ الذي رحل إليه.

ورحل إلى الحجاز وتهامة خمس مرات، أولاها سنة ١٨٧هـ، والتقى في هذه الرحلة بالإمام الشافعي في مكة المكرمة، وأخذ مع حديث أبي عيينة الذي كان مقصده إليه فقهَ الشافعي وأصوله وبيانه لناسخ القرآن ومنسوخه، وكان لقاؤه بالشافعي بعد ذلك في بغداد عندما جاء الشافعي إليها ومعه فقهه وأصوله محررة مقررة، وكان ابن حنبل قد نضج، حتى كان الشافعي يعول عليه في معرفة صحة الأحاديث أحياناً ويقول له: «إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به أذهب إليه حجازياً أو شامياً أو عراقياً أو يمنياً». وقد ذكر ابن كثير تفصيل رحلات حجه فقال: «أول حجة حجها في سنة سبع وثمانين ومئة، ثم سنة إحدى وتسعين، ثم سنة ست وتسعين، وجاور في سنة سبع وتسعين، ثم حج سنة ثمان وتسعين وجاور إلى سنة تسع وتسعين»، كما قال ابن حنبل: «حججت خمس حجج، منها ثلاث راجلاً، وأنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهماً، وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماشٍ، فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق، حتى وقفت على الطريق».

كما رحل أحمد بن حنبل إلى الكوفة، ولقي المشقة في هذه الرحلة مع قربها من بغداد لأن مقامه في الكوفة لم يكن ليناً رقيقاً، فقد رُوي عنه أنه قال: «خرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لَبِنة فحممت، فرجعت إلى أمي ولم أكن استأذنتها»، وقال: «لو كان عندي تسعون درهماً كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري، وخرج بعض أصحابنا، ولم يمكنِّي الخروج لأنه لم يكن عندي شيء».

وكان أحمد بن حنبل قد رسم لنفسه أن يذهب إلى الحج سنة ١٩٨هـ، وبعد الحج والمجاورة يذهب إلى عبد الرزاق بن همام بصنعاء اليمن، وقد كاشف بهذه النية رفيقه وصاحبه يحيى بن معين، وقد توافقت رغبتهما في ذلك، فدخلا مكة، وبينما هما يطوفان طواف القدوم إذا عبد الرزاق يطوف، فرآه ابن معين وكان يعرفه، فسلم عليه وقال له: «هذا أحمد بن حنبل أخوك»، فقال: «حيَّاه الله وثبَّته، فإنه يبلغني عنه كلُّ جميل» قال: «نجيء إليك غداً إن شاء الله حتى نسمع ونكتب»، فلما انصرف قال أحمد معترضاً: «لِمَ أخذت على الشيخ موعداً؟» قال: «لنسمع منه، قد أربحك الله مسيرة شهر

ورجوع شهر والنفقة»، فقال أحمد: «ما كان الله يراني وقد نويت نية أن أفسدها بما تقول نمضي فنسمع منه»، ثم مضى بعد الحج حتى سمع منه بصنعاء.

سافرابن حنبل إلى صنعاء، ونالـه العيش الخشن والمركب الصعب، إذ انقطعت بـه النفقة في الطريق، فأكرى نفسه من بعض الحمالين إلى أن وافى صنعاء، ولما وصل إلى صنعاء حاول الشيخ عبد الرزاق أن يعينه، فقال له: «يا أبا عبد الله، خذ هذا الشيء فانتفع به، فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب»، ومد إليه بدنانير، فقال أحمد: «أنا بخير» ومكث على هذه المشقة سنتين استهان بهما لأنه سمع أحاديث ما كان يعلمها من قبل.

وقد استمر أحمد على الرحلة في طلب العلم حتى بعد أن اكتملت رجولته ونضج علمه وقد استمر جِده في طلب الحديث وروايته حتى بعد أن بلغ مبلغ الإمامة، فقد رآه رجل من معاصريه والمحبرة في يده يكتب ويستمع، فقال له: «يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين»، فقال: «مع المحبرة إلى المقبرة»، وكان يقول: «أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر».

- **رحلته إلى ما وراء النهر**

قال شمس الدين السفاريني الحنبلي في كتابه (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب) «ذكر في حياة الحيوان عن سيدنا الإمام أحمد: أنه بلغه أن رجلا من وراء النهرمعه أحاديث ثلاثية فرحل الإمام أحمد رضي الله عنه إليه فوجد شيخا يطعم كلبا فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم اشتغل الشيخ بإطعام الكلب، فوجد الإمام أحمدفي نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ الشيخ من طعمة الكلب التفت إلى الإمام أحمد، وقال له كأنك وجدت في نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك؟ قال نعم. قال: حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة" وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدني هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه فقال الإمام هذا الحديث يكفيني، ثم رجع.»

- **جلوسه للتحديث والفتوى**

بعد أن طلب أحمد بن حنبل الحديث من رجاله واستمع إليهم وكتب عنهم ما استمع وطوَّف في الأقاليم الإسلامية يطلب الحديث، جلس للتحديث والفتيا، ويُروى إنه لم ينصب نفسه للتحديث والفتوى إلا بعد أن بلغ الأربعين، فقد قال ابن الجوزي: «إلا أن الإمام أحمد رضي الله عنه لم يتصدر للحديث والفتوى، ولم يُنصب نفسه لهما حتى تم له أربعون سنة»، ورُوي أن بعض معاصريه جاء يطلب إليه الحديث سنة ٢٠٣هـ (أي كان عمره ٣٩عاماً) فأبى أن يحدثه، فذهب إلى عبد الرزاق بن همام باليمن ثم عاد إلى بغداد سنة ٢٠٤هـ فوجد أحمد بن حنبل قد حدث واستوى الناس عليه.

ويظهر أن أحمد بن حنبل لم يجلس للدرس والإفتاء إلا بعد أن قصده الناس للسؤال عن الحديث والفقه، فاضطر لأن يجلس لإجابتهم في المسجد، وكانت حياته بعد ذلك تنمّي هذه الشهرة وتقوِّيها، فلقد عاين الناسُ فضله، ووجدوا تعففه عما عند الولاة والأمراء ومراعاته لحرمة المسلمين، ثم نزلت المحنة التي صهرت نفسه، وبينت مقدار جَلَده وصبره، وتوالت النوازل، فزاده ذلك علواً ورفعة، وزادت مكانته عند الناس. وإذا كان ابن حنبل قد ذاع ذكره في الآفاق الإسلامية قبل أن يجلس للدرس والإفتاء، فلا بد أن يكون الازدحام على درسه شديداً ولقد ذكر بعض الرواة أن عدة من كانوا يستمعون إلى درسه نحو خمسة آلاف، وأنه كان يكتب منهم نحو خمسمئة، ويدل ذلك على عِظم مكانة أحمد بن حنبلعند البغداديين، وإن كثرة هؤلاء الذين كانوا يحضرون درسه في المسجد كانت سبباً في كثرة رواة فقهه وحديثه، ولم يكن كل الذين يحضرون الدرس راغبين في علم ابن حنبل، بل منهم من كان يتيمن به ويريد أن يتعظ به وينظر إلى هديه وخلقه وأدبه، فقد رُوي عن بعض معاصريه أنه قال: «اختلفت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل اثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبت منه حديثاً واحداً وإنما كنت أميل إلى هديه وأخلاقه وآدابه».

- **صفة درسه**

كان للإمام أحمد مجلسان للدرس والتحديث: أحدهما في منزله يُحدِّث فيه خاصةَ تلاميذه وأولاده، والثاني في المسجد يَحضر إليه العامة والتلاميذ، وقد كان وقت درسه في المسجد بعد العصر، أي قبل عتمة الليل وبعد وهج النهار، وقد كان يسود مجلسَه الوقارُ والسكينةُ مع تواضع واطمئنان نفسي، وكان في كل مجالسه لا يمزح ولا يلهو، وكان مخالطوه لا يمزحون في حضرته، بل إن شيوخه كانوا لا يمزحون في حضرته، فقد رُوي عن خلف بن سالم أنه قال: كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح يزيد مع مستمعيه فتنحنح أحمد بن حنبل، فضرب بيده على جبينه وقال: «ألا أعلمتموني أن أحمد هنا حتى لا أمزح؟»، وقد تجنب ابن حنبل المزاح لأنه كان يرى أن رواية السُّنة عبادة، ولا مزاح في وقت العبادة.

وكان أحمد بن حنبل لا يُلقي درسه من غير طلب، بل يسأل عن الأحاديث المروية في موضوع فيستحضر الكتب التي دوَّن فيها تلك الأحاديث، كما كان إذا قال حديثاً نبوياً لا يقوله إلا من كتاب حرصاً على جودة النقل، وإبعاداً لمظنة الخطأ ما أمكن، وفي الأحوال النادرة جداً كان يقول الحديث من غير رجوع إلى كتاب، فقد قال ولده عبد الله: «ما رأيت أبي حدث من حفظه من غير كتاب إلا بأقل من مئة حديث».

وقد وصف المروذي صاحب أحمد بن حنبل مجلسه **فقال:** لم أرَ الفقيرَ في مجلس أعزَّ منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلاً إليهم، مقصِّراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حِلم ولم

يكن بالعجول بل كان كثير التواضع، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس مجلسه بعد العصر لا يتكلم حتى يسأل أحمد بن حنبل

كانت دروس أحمد بن حنبل من حيث موضوعها على قسمين: أحدهما رواية الحديث ونقله، وهذه يمليها على تلاميذه من كتاب ولا يعتمد على حفظه إلا نادراً، وثانيهما فتاويه الفقهية التي كان يضطر إلى استنباطها، وهذه لا يسمح لتلاميذه أن يدونوها، ولا يسمح لهم أن ينقلوها عنه، إذ إنه ما كان يستجيز التدوين إلا للأحاديث النبوية، وكان أبغض الأشياء إليه أن يرى كتاباً قد دونت فيه فتوى له، فقد بلغه أن بعض تلاميذه روى عنه مسائل ونشرها خراسان فقال: «اشهدوا أني رجعت عن ذلك كله»، وجاء إليه رجل خراساني يكتب، فنظر في كتاب من بينها فوقع نظره فوجد كلامه، فغضب ورمى الكتاب من يديه. ولم يكن ذلك بالنسبة لآرائه هو فقط، بل بالنسبة لفقه غيره، فقد كان يَكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريغ والرأي، ويحب التمسك بالأثر، وقد رُوي عنه أنه قال لعثمان بن سعيد «لا تنظر في كتب أبي عُبيد ولا فيما وضع إسحاق ولا سفيان ولا الشافعي ولا مالك وعليك بالأصل.

✍ **رحلاته العلمية**

رحلاته في طلب العلم كانت الرحلة في طلب العلم وسماع الحديث من سمات طالبي العلم في هذه الفترة، وكان كبار الفقهاء وشيوخ المحدثين موزعين في أنحاء العالم الإسلامي، لا يختص بهم قطر أو إقليم؛ ولذا كان الطلاب النابهون يقومون بالترحال إليهم لا يعوقهم عن ذلك قلّة المال أو بُعد المكان. بدأ أحمد بن حنبل رحلته الميمونة في طلب الحديث سنة (١٨٦هـ، ٨٠٢م) وهو في الثانية والعشرين من عمره، واتجه إلى البصرة والكوفة والرقّة واليمن، والحجاز، والتقى بعدد من كبار علماء الأمة وفقهائها العظام، من أمثال: يحيى بن سعيد القطان، وأبي داود الطيالسي، ووكيع بن الجراح، وأبي معاوية الضرير، وسفيان بن عيينة والشافعي الذي لازمه ابن حنبل وأخذ عنه الفقه والأصول وكان يقول عنه الإمام الشافعي: "ما رأيت أحدًا أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي". وكان شغف ابن حنبل بطلب الحديث يجعله يستطيب كل صعب، ويستهين بكل مشقة، لم تمنعه إمامته وعلوّ قدره من الاستمرار في طلبه العلم، ولا يجد حرجًا في أن يقعد مقعد التلميذ بعد أن شهد له شيوخه أو أقرانه بالحفظ والإتقان، يراه بعض معاصريه والمحبرة في يده يسمع ويكتب، فيقول له: "يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين "، فيكون جواب الإمام: "مع المحبرة إلى المقبرة".

ابتدأ الإمام أحمد- رحمه الله - رحلاته العلمية في السنة السادسة والثمانين بعد المائة فرحل المراحل البعيدة وركب المركب الصعب واحتمل خشونة العيش فرحل إلى الكوفة

والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة ورحل إلى الحجاز خمس مرات أولها سنة ١٨٧هـ، والتقى في هذه الرحلة بالشافعي - رحمه الله - كما التقى به في بغداد.

وكان - رحمه الله - يستعذب المشقة في طلب الحديث؛ لأن تحصيل العلم بصعوبة يكون أشد تمكناً وأكثر حفظاً، كما أنه يخلص نيته في سبيل الله مستمراً في دأبه لطلب الحديث حتى بلغ درجة الإمامة، ولما سئل في ذلك قال: "مع المحبرة إلى المقبرة"، وقال "أنا طالب للعلم إلى أن أدخل للقبر".

طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد.

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله، يقول: طلبت الحديث سنة تسع وسبعين، فسمعت بموت حماد بن زيد، وأنا في مجلس هشيم.

وقال الإمام أحمد: "وخرجت إلى سفيان سنة سبع فقدمنا، وقد مات الفضيل بن عياض وحججت خمس حجج، منها ثلاث راجلاً، أنفقت في إحداها ثلاثين درهما، وقدم ابن المبارك في سنة تسع وسبعين، وفيها أول سماعي من هشيم، فذهبت إلى مجلس ابن المبارك، فقالوا: قد خرج إلى طرسوس، وكتبت عن هشيم أكثر من ثلاثة آلاف، ولو كان عندي خمسون درهماً لخرجت إلى جرير إلى الري". فسمع الإمام أحمد من إبراهيم بن سعد قليلاً، ومن هشيم بن بشير فأكثر.

✍ منهج الإمام أحمدالعلمي

اشتُهِرَ الإمام أحمد أنه محدِّث أكثر من أن يشتهر أنه فقيه، مع أنه كان إمامًا في كليهما ومن شدة ورعه ما كان يأخذ من القياس إلا الواضح وعند الضرورة فقط، وكان لا يكتب إلا القرآن والحديث، من هنا عُرِفَ فقه الإمام أحمد بأنه الفقه بالمأثور؛ فكان لا يفتي في مسألة إلا إن وجد لها من أفتى بها من قبل، صحابيًا كان أو تابعيًّا أو إمامًا. وإذا وجد للصحابة قولين أو أكثر، اختار واحدًا من هذه الأقوال، وقد لا يترجَّح عنده قول صحابي على الآخر، فيكون للإمام أحمد في هذه المسألة قولان.

وهكذا فقد تميز فقهه أنه في العبادات لا يخرج عن الأثر قيد شعرة، فليس من المعقول عنده أن يعبد أحدٌ ربه بالقياس أو بالرأي؛ إذ قال رسول الله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» وقال في الحج: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ».

وكان الإمام أحمد شديد الورع فيما يتعلق بالعبادات التي يعتبرها حق لله على عباده وهذا الحق لا يجوز مطلقًا أن يتساهل أو يتهاون فيه. أما في المعاملات فيتميز فقهه بالسهولة والمرونة والصلاح لكل بيئة وعصر، فقد تمسَّك أحمد بنصوص الشرع التي غلب عليها التيسير لا التعسير. مثال ذلك: "الأصل في العقود عنده الإباحة ما لم يعارضها نص" بينما عند بعض الأئمة الأصل في العقود الحظر ما لم يرد على إباحتها نص.

وكـان شـديد الـورع في الفتـاوى، وكـان ينهى تلامذتـه أن يكتبـوا عنـه الأحاديـث، فـإذا رأى أحدًا يكتب عنـه الفتـاوى نهـاه، وقـال لـه: "لعلـي أطلـع فيمـا بعد علـى مـا لـم أطلـع عليـه من المعلوم فأغيِّر فتواي، فأين أجدك لأخبرك؟!".

وقال الإمام أحمد: إذا روينـا عن رسـول الله ﷺ في الحـلال والحـرام والسنن والأحكـام تشددنا فـي الأسـانيد، وإذا روينـا عن النبـي ﷺ فـي فضـائل الأعمـال ومـا لا يضـع حكمـا ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد.

ولما علم الله تعالى صدق نيته وقصده، قيَّض لـه تلامذة من بعده يكتبـون فتاويـه، وقد كتبـوا عنـه أكثـر مـن سـتين ألـف مسـألة. ولقد أخذ بمبدأ الاستصـحاب، كمـا أخذ بالأحاديـث المرسلة.

✍ المؤسسات التربوية التي تعلم فيها الإمام أحمد:

تنوعت الأمـاكن العلميـة التـي تلقي الإمـام أحمد فيهـا دروسـه، فـالتحق بالكتـاب عنـدما شـرع فـي تعليمـه الأولـي، فقد ذكر أبـو عفيـف عنـه بقولـه « كـان فـي الكتـاب معنـا وهـو غلـيم نعرف فضله بعدها انتقل إلى الديوان ليمرن علـى التحرير والكتابـة، يقول الإمـام أحمد«كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم أختلفت إلى الديوان، وأنا ابن أربع عشرة سنة.

واصـل الإمـام أحمـد تعليمـه العـالي فـي المسجد، فكـان يحضـر المجـالس التعليميـة التـي يعقدها كبار الشيوخ وأئمـة الفقه والحديث فـي عصـره من أمثـال أبـي يوسـف الذي تلقى عليـه العلم في مقتبل عمره، أيضـا جلس فـي حلقـة الإمـام الشـافعي فـي بغداد بجـامع المنصـور عنـدما تنقل الإمـام الشـافعي فـي بـلاد الإسـلام يفتـي النـاس، وينشـر العلم. وتنوعت أمـاكن تعليمـه مـع تعدد رحلاته في طلب العلم بين البصرة والكوفة والحجاز وواسط واليمن والشام.

✍ اللغات التي تعلمها الإمام أحمد:

أتقن الإمـام أحمد اللغـة العربيـة، فقد أعطـاه الإمـام الشـافعي إمامـة فيهـا، والإمـام أحمد يشـهد لنفسـه فـي تمكنـه منهـا فعبـر عـن ذلـك بقولـه: «كتبـت مـن العربيـة أكثـر ممـا كتـب أبـو عمرو بن العـلاء» فكـأن الإمـام أحمد من متخصصـي اللغـة لدرجـة أنـه فـاق علمـاء اللغـة فـي عصره في إتقانها والكتابة فيها.

لم يتوان الإمام أحمد في تعلم لغة أخرى بجانب لغة القرآن، كما فعل بعض الصحابة بطلب من الرسول ﷺ فتحدث الإمام بالفارسية فعندما قدم علـى الإمـام ابن خالتـه، سـأله الإمـام عمن بقـي من أهلـه فـي خراسـان، فكـان الكـلام يسـتعجم علـى ابن خالتـه أحيانـا، فكلمـه الإمـام أحمد بالفارسية.

✍ شيوخ الإمام أحمد

هشيم، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وجرير بن عبد الحميد، ويحيى القطان والوليد بن مسلم، وإسماعيل بن علية، وعلي بن هاشم بن البريد، ومعتمر بن سليمان، وعمر بن محمد ابن أخت الثوري، ويحيى بن سليم الطائفي، وغندر، وبشر بن المفضل، وزياد البكائي وأبو بكر بن عياش، وأبو خالد الأحمر، وعباد بن عباد المهلبي، وعباد بن العوام وعبد العزيز بن عبد الصمد العمي، وعمر بن عبيد الطنافسي، والمطلب بن زياد، ويحيى بن أبي زائدة والقاضي أبو يوسف، ووكيع، وابن نمير، وعبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، والشافعي، وغيرهم.

أبو يوسف (١٨٢ هـ) أول ما تتلمذ، على يد الإمام أبي يوسف صاحب أبي حنيفة النعمان، ومن كبار المذهب الحنفي الذي يقف على رأس أئمة الرأي، وكانت حلقته آية في السمو والرقي، يؤمها طلاب العلم والعلماء والقضاة على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم، وقد لزم أحمد بن حنبل حلقة أبي يوسف أربع سنوات، وكتب ما سمعه فيها ما يملأ ثلاثة صناديق، أول ما كتب الحديث اختلفت الى أبي يوسف وكان أميل للمحدثين من أبي حنيفة النعمان وهو أول من كتبت الحديث عنه .

ثم استهواه أكثر طلب الحديث، فتحوَّل إلى مجالس الحديث، وأعجبه هذا النهج وانكبّ على طلب الحديث في نهم وحب، وقد لزم حلقة هشيم بن بشير السلمي شيخ المحدثين في بغداد وكان يسرع الخطى إلى شيخه قبل أن يسفر الصباح؛ حتى يكون أول من يلقاه من تلاميذه، ولا يسمع بعالم ينزل بغداد إلا أقبل عليه وتتلمذ له، أنا احفظ ما سمعت منه وأول سماعي من هشيم ١٧٩هـ.

بعد ذلك أخذ الإمام أحمد يرتحل في طلب الحديث النبوي حتى ذهب إلى مكة والمدينة والحجاز واليمن والعراق وفارس وخراسان والجبال والأطراف والثغور، والتقى خلال هذا الترحال الشافعي في أول رحلة من رحلاته الحجازية في الحرم، وأُعجِبَ به وأخذ عنه الفقه والأصول، وكان يقول عنه الإمام الشافعي: «ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي»، وقد حيل بين أحمد ومالك بن أنس، فلم يوفَّق للقائه، وكان يقول «لقد حُرِمتُ لقاء مالك، فعوَّضني الله ﷻعنه سفيان بن عيينة

- معتمر بن سليمان (١٨٣هـ) جالسه تسع سنين وكان يكتب ما يقول.
- اسماعيل بن عليه (١٩٣هـ) تكلم انسان في مجلسه فضحك البعض فغضب عليهم قائلا: اتضحكون وعندي أحمد بن حنبل. قال بن حنبل: فاتني حماد بن زيد فأخلف الله علي إسماعيل بن علية (ابن الجوزي).

- وكيع بن الجراح (١٩٦هـ) كان الإمام أحمد دائم المذاكرة له فقال الإمام أحمد لابنه عبد الله: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع فإن شئت تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد وإن شئت بالاسناد حتى أخبرك عن الكلام
- عبد الرحمن بن مهدي (١٩٨هـ) خرج الإمام أحمد ويحي بن معين من مجلس هشيم وقد أدخلا عبد الرحمن إلى المسجد فكتبن عنه
- يحي بن سعيد القطان (١٩٨هـ) كنت مقيما عند يحي بن سعد القطان ثم خرجت إلى أواسط أمير المؤمنين في الحديث لازمه الإمام أحمد سنة (١٨٦هـ) وكان بالبصرة قال الإمام أحمد: ما رأيت بعيني مثل يحي القطان وكان أحمد بن حنبل يقول: ما كتبت الحديث عن مثل يحي بن سعيد وما رأيت أحد أقل خطأ من يحي بن سعيد، قال بن حنبل: انتهى العلم إلى أربعة إلى ابن المبارك ووكيع ويحي القطان وعبد الرحمن وأما المبارك فأجمعهم ووكيع أسردهم ويحي أتقنهم أما عبد الرحمن فجهبذ، ثم قال ما رأيت أحفظ ولا أوعى من وكيع .
- الإمام الشافعي (٢٠٤ هـ) صحبه الإمام أحمد مدة إقامته في بغداد في رحلته الثانية وكان يأخذ الإمام المسائل التي لا دليل له عنده من أقوال الشافعي، رحل أحمد للحجاز والتقى بالشافعي وأخذ منه فقه وأصوله ولما قدم الشافعي بغداد التقى به الإمام أحمد وكان الشافعي يعول عليه في معرفة صحة الحديث وكان الإمام أحمد يجل الشافعي ويقول فيه يروي عن النبي ﷺ أنه قال: أن الله ﷻ يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام رجلا يقيم لها أمر دينه (راوه أبو داود، ٢٨٣هـ) فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الثانية. وقد رشح الشافعي أحمد بن حنبل عند الرشيد لقضاء اليمين فأبى الإمام وقال: جئت إليك لأقتبس منك العلم
- سفيان الثوري كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: أتدرون من الإمام، الإمام سفيان الثوري لا يتعداه أحد في قلبي.
- يزيد بن هارون (٢٠٦هـ) قال خلف بن سالم كنا في مجلس يزيد بن هارون فمزح مع أحد مستميليه فتنحنح أحمد وكان في المجلس، الإمام القدوة شيخ الإسلام وأخذ عنه الإمام أحمدعند سفره إلى أواسط سنة (١٨١هـ) وقال الإمام أحمد كان يزيد حافظًا متقنًا
- عبد الرازق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) أقام الإمام عنده ما يقارب السنتين.
- يحي بن آدم: كان الإمام أحمد قد تلقى عليه القرآن وهو صغير في بغدد العلامة الحافظ صاحب التصانيف.

- سفيان بن عينية: (ذكر التركي، ١٣٩٧هـ) سمع منه الإمام أحمدوهو بالبصرة حين رحل إليها (١٨٦هـ) في طلب الحديث .
- جرير بن عبد الحميد التقى به الإمام أحمدفي الري سنة (١٨٢هـ)

تعلَّم أحمد بن حنبل على يد الإمام الشّافعيّ، وإبراهيم بن سعد أحد العلماء الثّقات وكان قاضي المدينة المنوّرة، وهشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار السّلميّ الواسطيّ، هو أحد الرّواة الثّقات، وروى عنه أصحاب الكتب السّتّة، ويحيى بن سعيد بن القطّان، والحافظ يزيد بن هارون، والإمام والمحدّث سفيان بن عينية، والعالم الحافظ يحيى بن أبي زائدة، وذكر في كتابه المسند أكثر من ٢٨٠ شيخًا له.

ومن شيوخه: هشيم، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وجرير بن عبد الحميد ويحيى القطان، والوليد بن مسلم، وإسماعيل بن علية، وعلي بن هاشم بن البريد، ومعتمر بن سليمان وعمر بن محمد ابن أخت الثوري، ويحيى بن سليم الطائفي، وغند، وبشر بن المفضل، وزياد البكائي، وأبو بكر بن عياش، وأبو خالد الأحمر، وعباد بن عباد المهلبي وعباد بن العوام وعبد العزيز بن عبد الصمد العمي، وعمر بن عبيد الطنافسي، والمطلب بن زياد، ويحيى بن أبي زائدة، والقاضي أبو يوسف، ووكيع، وابن نمير، وعبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون وعبد الرزاق، والشافعي، وغيرهم.

وقد روى أحمد بن حنبل عن كثير من العلماء والأئمة ورواة الحديث، وقد جمعهم ابن الجوزي في كتاب "مناقب الإمام أحمد بن حنبل" في الباب الخامس "في تسمية من لقي من كبار العلماء وروى عنهم" وقد رتبهم على الحروف الأبجدية، ومنهم: إبراهيم بن سعد بن إبراهيم أبو إسحاق الزهري، ومحمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، والمعتمر بن سليمان أبو محمد التيمي، ويحيى بن سعيد أبو سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي أبو سعيد الأزدي ووكيع بن الجراح أبو سفيان الرؤاسي، ويزيد بن هارون أبو خالد الواسطي وعبد الرزاق بن همام، والوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي، وهشيم بن بشير أبو معاوية الواسطي، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد أبو يوسف الزهري، وسفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي، وإسماعيل بن إبان أبو إسحاق الورَّاق الأزدي، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب الحنظلي المعروف بابن راهويه، وبشر بن السري أبو عمرو البصري، وثابت بن الوليد أبو جبلة الزهري، وعبد العزيز بن أبان أبو خالد الأموي، وعمر بن أيوب أبو حفص العبدي، وعلي بن إبراهيم البناني المروزي، وأحمد بن إبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن إسحاق بن عيسى أبو إسحاق الطالقاني.

✍ **تلاميذه**

إنه من الصعوبة بمكان أن يُحصى تلاميذ مدرسة أحمد بن حنبل الذين جلسوا إليه وأخذوا عنه، وكتبوا حديثه وسجلوا فقهه، وارتحلوا إلى حلقته من مختلف بقاع الأراضي الإسلامية، فقد كانت مدرسته في الفقه والحديث واحدة من المدارس الكبرى التي خرَّجت الكثير من العلماء والفقهاء والمحدثين، ومنهم: عبد الملك الميموني، وأبو بكر المروذي ومهنأ بن يحيى الشامي، وأبو بكر الأثرم، والوراق أحمدبن محمد بن هاني، وإبراهيم بن هاني وحرب بن إسماعيل الكرماني، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وبقيّ بن مخلد، وعبد الوهّاب بن عبد الحكم الوراق، وإسحاق بن منصور التميمي المعروف بأبي يعقوب الكوسج، وأبو داوود السجستاني، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وصالح وعبد الله ابنا الإمام أحمد، وعمه إسحاق، وابن عمه حنبل.

ومن كبار تلاميذ أحمد بن حنبل وأصحابه أيضاً: أحمد بن محمد الكحال، وأبو طالب المشكاتي، وإسماعيل الشاليخي، وبشر بن موسى، والحسن بن ثواب، والحسن بن زياد ومثنى بن جامع، وأبو الصقر يحيى، وأبو بكر بن محمد بن الحكم، وكثيرون غيرهم

كان الإمام أحمد شديد الحرص والمحبة للعلم والكتابة ولم يجلس إلى الحديث إلا بعد أن بلغ الأربعين من عمره وكان يحضر دروسه في مسجد بغداد آلاف الطلاب وكان كثير منهم يكتب وكان الإمام أحمد يكره ان أن يكتب احدا عنه خوفا من أن يخطىء في مسأله ثم يراجعها وقد كتبت عنه خطأ فيعمل به وهي خطا ومع ذلك كان كثير من طلابه يكتبون عنه وبلغ عدد طلابه زهاء خمسة الاف طالب كان منهم قرابة خمسمائة يكتبون.

- أبو بكرالمروزي ذكر (الجندي: ١٣٩٠ هـ) يجي في المقدمة من تلاميذه فهو فهو تلميذ الإمام وخادمه لأطول مدة يبعثه في حوائجه فهو من غسله وروى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة توفى ٢٧٥ هـ
- أبو بكرالأثرم تتلمذ لأحمد وتشاغل في مسائل وصنف فيها فأمسى يقول كنت أحفظ الفقه والخلاف فلما صحبت أحمد بن حنبل تركت هذا كله ويقول :" لست أخالف أبا عبد الله إلا في مسألة واحدة" روى عن الإمام أحمد وتفقه عليه ويسأله عن المسائل والعلل، توفى ٢٦١ هـ
- أحمد بن نصر الخزاعي: كان يكبر الإمام أحمد بعشر سنين أحسن الاستفادة من الإمام أحمد وقد قتله الخليفة الواثق حيث سأله عن خلق القرآن فرفض قول الخليفة كم كانت ترفض مدرسة أحمد فقتله الواثق بيده
- اسحق بن منصور التميمي تلقى العلم علي يد الإمام في بغداد ثم انتقل الى نيسابور بعد أن كتب مسائل أحمدولما بلغه أن الإمام رجع عما دونه جمع ما دونه وعاد إلى بغداد فعرضها عليه فأقرها ورجع الى نيسابور حيث مات ودفن

- عبد الملك بن عبد الحميد الميموني : يذكر (الجندي: ١٣٩٠هـ) صحب الإمام أحمد اثنتين وعشرن سنة ولروايته في فقه أحمد مقام كبير وكان يكتب المسائل على الرغم من نهي أحمد وقد جمع منها ستة عشر جزءا منها جزاءن كل واحد منها مائة صفحة
- حرب الكرماني: كان يكتب المسائل بعيدا عن أحمد، ثار الخلاف فيما يرويه
- مهنا بن يحي الشامي: كان أحمد يعرف له منزلته ويكرمه وكان يسال أحمد حتى يضجره وفيه يقول الدار القطني: مهنا ثقة كتب عنه عبدالله بن أحمدبضعة عشر جزءا عن ابيه، لم تكن عند احد غيره قال مهنا: لازمت أبا عبد الله ثلاثا واربعين سنة توفى سنة ٢٤٩ هـ
- ابراهيم بن هاني النيسابوري: هو الذي اختفى عنده الإمام أحمد أيام الواثق ثلاثة أيام وكان من العلماء العباد يقول فيه أحمد" إن كان أحد من الأبدال فإبراهيم بن هاني توفى ٢٦٥ هـ
- إبراهيم بن اسحق الحربي: يمثل الشباب في حلقة أحمد مع البخاري ومسلم وأبي داود جمع مسندا، وكان إماما في جميع العلوم ومنها اللغة والأدب، نقل عن أحمد مسائل حسنة، قال عنه القطني: كان جيله يقيسه بأحمد في زهده ولمه وروعه توفى سنة ٢٨٥هـ، صحب الإمام عشرين سنة.
- بقي بن مخلد: يمثل الحديث والفقه والزهد والتفسير مجتمعة ويمثل محاولى نقل فكر أحمد ومزاحمة المذهب المالكي، كان زاهدا عابدا حمل بقي مذهب الإمام أحمد إلى الأندلس ودرسه في جامع قرطبة فثار عليه علماء المالكية فأغروا به العامة ومنعوه من التدريس فرفع الأمر إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن حاكم الأندلس فقال له: انشرعلمك ونهى خصومه عن التعرض له.

- **تلاميذه من أهل بيته**

  - ابنه صالح كان الناس يكتبون إليه من خراسان ومن المواضع يسأل لهم الإمام عن المسائل توفى ٢٦٦ هـ
  - وابنه عبد الله قال: كل شيء أقول قال: أبي قد سمعته مرتين وثلاثة وأقله مرة توفى٢٩٠ هـ
  - ابن عمه حنبل بن اسحق أبوعلي قال: جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند توفي ٢٧٣ هـ
  - عمه اسحق

- **تلاميذه من النساء**
  - العباسة بنت الفضل، ريحانة بنت أحمد
  - كما أخذ العلم عنه من غير أهل بيته: أم عمر بنت حسان بن زيد الثقفي وخديجة، أم محمد : تروي عن أحمد وعن يزيد بن هارون ويروي عنه عبد الله بن أحمد أنها حدثته ٢٢٦ عن أحمد، أي في حياة أبيه.

✍ رأي علماء الإسلام في بن حنبل

- قال الإمام علي بن المديني: "حقاً أن الله أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق ﷺ وقد أيده بأحمد بن حنبليوم محاكم التفتيش (المحنة)".
- قال الإمام الشافعي عنه: "تركت بغداد ولم أترك ورائي أحدا أكثر فاضلا وأكثر علما وأكثر معرفة من أحمد بن حنبل".
- قال يحيى بن معين: أراد الناس أن نكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله! لسنا أقوياء مثل أحمد ولسنا أقوياء بما يكفي لإتباع طريق أحمد".
- قال الماوردي: قلت لأحمد: كيف حالك هذا الصباح؟ فأجاب: كيف يكون من يطلب ربه أن يقوم بالواجبات ورسوله ﷺ يطالبه بالسنة ويطالب الملكان بإصلاح طرقه ونفسه النفس والأنا، تطالبه بإتباع أهوائها وإبليس (الشيطان) يطالبه بإرتكاب الفاحشة وملاك الموت يراقب وينتظر أن يأخذ روحه وأعوانه يطالبونه بالإنفاق على نفقتهم؟.
- قال عبدالملك الميموني: "إن عيني ما رأيت أحداً أفضل من أحمد بن حنبل ولم أر أحداً من علماء الحديث أكثر احتراماً لحدود الله وسنة نبيه، إذا ثبت (الرواية) أنها صحيحة لم أر أحداً أكثر منه حرصاً على اتباع سنة النبي ﷺ".
- قال قتيبة بن سعيد: **"**فلما مات الثوري ماتت التقوى، ومات الشافعي ماتت السنة، ومات أحمد ظهرت البدعة**"**. (رواه الإمام النووي)

في كتاب الحافظ أبو عبد الله شمس الدّين الذّهبيّ، سير أعلام النّبلاء، وصف ابن حنبل بقوله: هو شيخ الإسلام الحقيقيّ، وزعيم المسلمين في وقته، وسيّد الحديث الشّريف وإثبات الدّين. ذكر الإمام الذّهبيّ الكثير من إشادات العلماء على أحمدبن حنبل، وسيرته تمتد على ١١٣صفحة، في كتاب سير أعلام النّبلاء، وهذا يدلّ على شعبية أحمدبن حنبل وكثرة علمه.

- يقول ابنه عبد الله: سمعت الرّازي يقول: أبوك يحفظ مليون حديث.
- يقول عنه علي بن مديني أحد أكابر شيوخ الحديث: عزّ الله الدّين بأبي بكر يوم حروب الرّدّة، وعزّالله الدّين بأحمد بن حنبل يوم المحنة.
- يقول الإمام الشّافعي: غادرت بغداد ولم أترك خلفي أي شخص أكثر فضلًا وأكثر تعلّمًا، وأكثر اطّلاعًا من أحمد بن حنبل.
- يقول أبوعبيد القاسم بن سلاّم الهروي: ذروة المعرفة موجودة عند أربعة أشخاص، وكان الأكثر دراية من بينهم أحمد بن حنبل.
- قال يحيى بن معين: أرادوا أن أكون مثل أحمد بن حنبل، والله لا يمكن أن أكون مثله أبدًا.
- قال أبو همّام السّكونيّ: لم أرَ أبدًا رجلًا مثل الإمام أحمد.
- قال أبو ثور الكلبيّ: كان أحمد بن حنبل أكثر دراية من سفيان الثّوريّ.
- ذكر الذّهبيّ في كتابه سيرأعلام النّبلاء، أنّ ستّة وستّين طالبًا، قد تعلّموا قوانين إسلاميّة مختلفة مثل الفقه، والحديث، والفتاوى من الإمام أحمد ذكر أيضًا أنّ أكثر من خمسين طالبًا من طلّابه أصبحوا مُفتين.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ، ومسلم بن الحجّاج المعروف بالإمام مسلم، أحد أهمّ علماء الحديث، وأبو داود سليمان بن الأشعث المشهور بأبي داود، وأبو زرعة الرّازي، وابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو القاسم البغوي، وغيرهم.
- قال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء، ويُمسك ما شاء.

(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢: صـ ٣٣٧)

- قال إسحاق بن راهَويه: أحمد حجةٌ بين الله وبين خَلْقه.

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ١٩٦)

- قال عبدالرزاق بن همام: ما رأيتُ أحدًا أفقهَ ولا أورع من أحمد بن حنبل.

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ١٩٥)

- قال يحيى بن آدم: أحمد بن حنبل إمامنا.

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ١٨٩)

- قال عمرٌو الناقد: إذا وافَقني أحمد بن حنبل على حديث، لا أبالي مَن خالفني.

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ١٩٨)

- قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن علي بن المديني وأحمد بن حنبل، أيهما أحفظ؟ فقال: كانا في الحفظ متقاربينِ، وكان أحمد أفقهَ، إذا رأيت من يحب أحمد، فأعلم أنه صاحبُ سُنة؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ١٩٨).
- قال محمد بن يحيى الذُّهلي: جعلتُ أحمد إمامًا فيما بيني وبين الله.
(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ١٩٨)
- قال أبو عمر ابن النحاس وذكر أحمد يومًا فقال: رحمه الله، في الدِّين ما كان أبصرَه وعن الدنيا ما كان أصبَرَه وفي الزهد ما كان أخبَرَهَ وبالصالحين ما كان ألحقَه وبالماضين ما كان أشبهَه عرضت له الدنيا فأباها، والبِدَع فنفاها
(البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٤: صـ ٤٠٧)
- قال بِشر بن الحارث الحافي بعدما ضُرب أحمد بن حنبل: أُدخل أحمد الكِيرَ فخرج ذهبًا أحمر؛ (البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٤: صـ ٤٠٧).
- قال نصرُ بن عليٍّ الجَهْضمي: أحمد أفضلُ أهل زمانه
(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ١٩٧).
- قال علي بن المديني: أحمد أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه؛ لأن سعيدًا كان له نظراء.
- وقال عليُّ بن المديني أيضًا: أعزَّ الله الدِّين بالصِّدِّيق يوم الرِّدة، وبأحمد يوم المحنة؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ ١٩٦).
- وقال علي بن المديني: أمرني سيدي أحمد بن حنبل ألا أحدِّث إلا من كتاب
(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ٢٠٠).
- قال يحيى بن معين أيضًا: كان في أحمد بن حنبل خصالٌ ما رأيتُها في عالم قط، كان محدثًا، وكان حافظًا، وكان عالمًا، وكان ورِعًا، وكان زاهدًا، وكان عاقلًا؛ (البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠: صـ ٣٥٠).
- قال قتيبة: خيرُ أهل زماننا: ابن المبارك، ثم هذا الشاب - يعني: أحمد بن حنبل- وإذا رأيت رجلًا يحب أحمد، فأعلم أنه صاحب سُنة، ولو أدرك عصر الثوري والأوزاعي والليث، لكان هو المقدَّم عليهم، فقيل لقتيبة يضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.
- وقال قتيبة: لولا الثوري لمات الورعُ، ولولا أحمد لأحدَثوا في الدِّين؛ أحمد إمام الدنيا؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١: صـ ١٩٥).
- قال وكيع بن الجراح: ما قدِم الكوفةَ مِثْلُ أحمدبن حنبل
(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢: صـ ٣٣٨).

- قال أبو عاصم النبيل، وقد ذكر طلاب العلم، فقال: ما رأينا في القوم مِثْلَ أحمد بن حنبل؛ (صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢: صـ ٣٣٩).

✍ **حفظه وسعة علمه:**

- قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: حفظت كل شيء سمعته من هشيم وهشيم حي.
- قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.
- قال الذهبي: فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك
- قال ابن أبي حاتم: قال سعيد بن عمرو: يا أبا زرعة، أأنت أحفظ أم أحمد؟ قال: بل أحمد، قلت: كيف علمت؟ قال: وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء أسماء الذين حدثوه، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه، وأنا لا أقدر على هذا.
- وقال يحيى القطان: ما قدم علينا مثل هذين أحمد ويحيى بن معين، وما قدم علي من بغداد أحب إلي من أحمد بن حنبل.
- عن عمرو بن العباس: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، ذكر أصحاب الحديث فقال: أعلمهم بحديث الثوري أحمد بن حنبل، قال: فأقبل أحمد فقال ابن مهدي: من أراد أن ينظر إلى مابين كتفي الثوري، فلينظر إلى هذا.
- وقال قتيبة: خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب - يعني أحمد بن حنبل- وإذا رأيت رجلاً يحب أحمد، فاعلم أنه صاحب سنة.
- قال أبو زرعة الرازي: كان يحفظ ألف ألف حديث "يعني مليون حديث" ولما سُئل أبو زرعة عن ذلك قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.
- قال الذهبي: وهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبدالله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ ذلك. إنه إمام أهل السنة والجماعة، شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ويُكنى بأبي عبدالله.
- وقال إسحاق بن راهوية: أحمد حجة بين الله وخلقه.
- قال الذهبي: كان أحمد عظيم الشأن، رأسًا في الحديث، وفي الفقه، وفي التأله أثنى عليه خلق من خصومه، فما الظن بإخوانه وأقرانه؟ وكان مهيبًا

في ذات الله، حتى قال أبو عبيد: ما هبت أحدًا في مسألة ما هبت أحمد بن حنبل.

- وكان رحمه الله متفققًا زاهدًا في الدنيا، قال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث، والفقه، والورع، والزهد، والصبر، وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيته ذكر الدنيا قط.
- قال أحمد بن سنان: بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم فلم يقبلها.
- قال المروذي: كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرت الموت هان عَلَيَّ كل أمر الدنيا، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل ما أعدل بالفقر شيئًا، ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر وقال: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أُعرف، قد بُليت بالشهرة.
- وكان تقيًّا، ورعًا متواضعًا، قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.
- قال المروذي: قلت لأبي عبدالله: ما أكثر الداعي لك، قال أخاف أن يكون هذا استدراجًا بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طرسوس فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله وكنا نمد المنجنيق، ونرمي عن أبي عبد الله ولقد رمي عنه بحجر والعلج على الحصن متترس بدرقة فذهب برأسه وبالدرقه، قال: فتغير وجه أبي عبد الله وقال: ليته لا يكون استدراجًا، قلت: كلا، ودخل عليه رجل وأثنى عليه وقال: جزاك الله عن الإسلام خيرًا؛ فاغتم وقال: بل جزى الله الإسلام عني خيرًا، من أنا وما أنا؟
- قال صالح بن أحمد: كان أبي إذا دعا له رجل يقول: الأَعمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا.
- وقال المروذي: قلت لأحمد: كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطلبانه بتصحيح العمل ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة.
- قال المروذي: لما ذكر الإمام أحمد أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟ وهذا من تواضعه وإلا فهو إمام في ذلك.

- وكان رحمه الله من الصادعين بالحق والصابرين عليه، وقد ابتُلِيَ في ذلك قال الذهبي: "الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص قال: فالمخلص بلا قوة يعجزعن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخْذَلُ، فمن قام بهما كاملًا فهو صدِّيق، ومن ضعف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب ليس وراء ذلك إيمان فلا قوة إلا بالله.
- قال علي بن المديني: أعز الله الدين برجلين: أبو بكر الصديق في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن.
- لما حصلت فتنة خلق القرآن في عهد المأمون قال صالح: ثم امتحن القوم ووجه بمن امتنع إلى السجن، فأجاب القوم جميعًا إلا أربعة: أبي ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد، ثم أجاب هذان وبقي أبي ومحمد في الحبس أيامًا، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مقيدين زميلين وتوفي محمد بن نوح في الطريق، وصلى عليه الإمام أحمد.
قال عباس الدوري: سمعت أبا جعفر يقول: لما أُخذ أحمد إلى المأمون أُخبرت فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه، قال: يا أبا جعفر تعنيت، قلت: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت فاتق الله ولا تجب وجعل أحمد يبكي ويقول له: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر أعد عَلَيَّ، فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله.
- قال إبراهيم بن عبدالله: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها، قال: يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيدًا، وإن عشت عشت حميدًا، فَقَوِيَ قلبي.
- قال محمد بن إبراهيم: جعلوا يذاكرون أبا عبد الله بالرقةِ في التقية، وما رُوي فيها، فقال: كيف تصنعون بِحَدِيثِ خَبَّابٍ؟ "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ". فأيسنا منه، وقال: لست أبالي بالحبس؛ ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلًا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعض أهل الحبس فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُرِّيَ عنه.

- قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنهورحلنا منها في جوف الليل وفتح لنا بابها إذا رجل قد دخل فقال: البشرى، قد مات الرجل - يعني المأمون قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه، وبقي أحمد محبوسًا بالرقة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، وقد أمر بتعذيبه، وجلده بالسياط حتى أُغمي عليه عدة مرات، قال صالح: ثم خُلِّيَ عنه فصار إلى منزله، وكان مُكْثُهُ في السجن منذ أُخِذَ إلى أن ضرب: ثمانية وعشرين شهرً

لقد أثنى على الإمام أحمد خلق كثير وهذه بعض أقوال بعض من أثنى عليه:فقال الشافعي: رأيت شاباً إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم: صدق. قلت: من هو؟ قال: أحمدبن حنبل.

قال الإمام الشافعي: خرجت من بغداد، فما خلَّفت بها رجلًا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه ولا أتقى من أحمدبن حنبل؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ ١٩٥).

وقال الشافعي أيضًا: يا أبا عبد الله، إذا صح عندكم الحديث، فأخبرونا حتى نرجع إليه أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبرٌ صحيحٌ، فأعلِمْني حتى أذهب إليه؛ كوفيًّا كان أو بصريًّا أو شاميًّا؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ ٢١٣).

وعن وكيع وحفص بن غياث، يقولان: ما قدم الكوفة مثل ذاك الفتى، يعنيان: أحمد بن حنبل.

وقيل: إن أحمد أتى حسيناً الجعفي بكتاب كبير يشفع في أحمد، فقال حسين: يا أبا عبد الله، لا تجعل بيني وبينك منعماً فليس تحمل علي بأحد إلا وأنت أكبر منه.

قال إبراهيم الحربي: "رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ما شاء.

قال أحمد بن سنان قال: "ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيمًا منه لأحمد بن حنبل، ولا رأيته أكرم أحدًا كرامته لأحمد بن حنبل، وكان يقعد إلى جنبه إذا حدثنا، وكان يوقره ولا يمازحه، ومرض أحمد فركب إليه فعاده".

قال عبد الرزاق: "ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل".

قال ابن مهدي: "ما نظرت إليه إلا ذكرت به سفيان الثوري، ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إمامًا في بطن أمه".

وقال أبو عبيد القاسم: انتهى علم الحديث إلى أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأبي بكر بن أبي شيبة وكان أحمد أفقههم فيه.

وقال الذهبي: والمعتدلُ (أي في الجرح) فيهم: أحمد بن حنبل

✍ ثبات الإمام أحمد رحمه الله في المحنة (محنة خلق القرآن)

كان الإمام أحمد على موعد مع المحنة التي تحملها في شجاعة، ورفض الخضوع والتنازل في القول بمسألة عمَّ البلاء بها، وحمل الخليفة المأمون الناس على قبولها قسرًا وقهرًا دون دليل أو بيِّنة.

وتفاصيل تلك المحنة أن المأمون أعلن في سنة (٢١٨هـ/ ٨٣٣م) دعوته إلى القول بأن القرآن مخلوق كغيره من المخلوقات، وحمل الفقهاء على قبولها، ولو اقتضى ذلك تعريضهم للتعذيب، فامتثلوا خوفًا ورهبًا، وامتنع أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح عن القول بما يطلبه الخليفة، فكُبّلا بالحديد، وبُعث بهما إلى بغداد إلى المأمون الذي كان في طرسوس لينظر في أمرهما، غير أنه توفِّي وهما في طريقهما إليه، فأعيدا مكبّلين إلى بغداد.

وفي طريق العودة قضى محمد بن نوح نحبه في مدينة الرقة، بعد أن أوصى رفيقه بقوله: "أنت رجل يُقتدى به، وقد مدَّ الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك؛ فاتقِ الله واثبت لأمر الله".

وكان الإمام أحمد عند حسن الظن، فلم تلن عزيمته، أو يضعف إيمانه أو تهتز ثقته فمكث في المسجد عامين وثلث عام، وهو صامد كالرواسي، وحُمل إلى الخليفة المعتصم الذي واصل سيرة أخيه على حمل الناس على القول بخلق القرآن، واتُّخذت معه في حضرة الخليفة وسائل الترغيب والترهيب، ليظفر المجتمعون منه بكلمة واحدة، تؤيدهم فيما يزعمون، يقولون له: ما تقول في القرآن؟ فيجيب: هو كلام الله. فيقولون له: أمخلوق هو؟ فيجيب: هو كلام الله ولا يزيد على ذلك.

ويبالغ الخليفة في استمالته وترغيبه ليجيبهم إلى مقالتهم، لكنه كان يزداد إصرارًا فلما أيسوا منه علَّقوه من عقبيه، وراحوا يضربونه بالسياط، ولم تأخذهم شفقة وهم يتعاقبون على جلد جسد الإمام الواهن بسياطهم الغليظة حتى أغمي عليه، ثم أُطلق سراحه وعاد إلى بيته، ثم مُنع من الاجتماع بالناس في عهد الخليفة الواثق (٢٢٧- ٢٣٢هـ/ ٨٤١- ٨٤٦م) لا يخرج من بيته إلا للصلاة، حتى إذا ولي المتوكل الخلافة سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م)، فمنع القول بخلق القرآن وردَّ للإمام أحمد اعتباره، فعاد إلى الدرس والتحديث في المسجد.

لمَّا دعا المأمون الناس إلى القول بخلق القرآن، أجابه أكثر العلماء والقضاة مُكْرهين واستمر الإمام أحمد ونفرٌ قليل على حمل راية السنة، والدفاع عن معتقد أهل السنة والجماعة.

قال أبو جعفر الأنباري: لمَّا حُمِلَ الإمام أحمد بن حنبل إلى المأمون أُخْبِرتُ فعبرتُ الفُرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمتُ عليه، فقال: يا أبا جعفر تعنَّيْت؟ فقلتُ: ليس هذا عناء.

وقلتُ له: يا هذا أنت اليوم رأس الناس، والناس يقتدون بكم، فو الله لئن أجبتَ ليُجيبُنَّ بإجابتك خلقٌ كثير من خلقِ الله تعالى، وإنْ أنتَ لم تُجِبْ ليمتنِعُنَّ خلقٌ مِنَ الناس كثير، ومع هذا فإنَّ الرجل إنْ لم يقتلك فإنَّك تموت، ولابدَّ مِنْ الموت، فاتَّقِ الله ولا تُجيبهم إلى شيء.

فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله، ما شاء الله. ثم سار أحمد إلى المأمون فبلغه توعد الخليفة له بالقتل إنْ لم يُجبه إلى القول بخلقِ القرآن.

فتوجه الإمام أحمد بالدعاء إلى الله تعالى أنْ لا يجمع بينه وبين الخليفة، فبينما هو في الطريق قبل وصوله إلى الخليفة إذ جاءه الخبر بموت المأمون، فَرُدَّ الإمام أحمد إلى بغداد وحُبِس، ثم تولَّى الخلافة المعتصم، فامتحن الإمام أحمد.

وكان مِنْ خبر المحنة أنَّ المعتصم لمَّا قصد إحضار الإمام أحمد ازدحم الناس على بابه كيوم العيد، وبُسِطَ بمجلسه بساطاً، ونُصِبَ كرسياً جلس عليه، ثم قال: أحضروا أحمد بن حنبل فأحضروه، فلمَّا وقف بين يديه سَلَّمَ عليه، فقال له: يا أحمد تكلم ولا تَخَفْ، فقال الإمام أحمد: والله لقد دخلتُ عليك وما في قلبي مثقال حبَّةٍ من الفزع، فقال له المعتصم: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله قديم غير مخلوق.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة التوبة: الآية ٦] فقال له: عندك حجة غير هذا؟ فقال: نعم، قول الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَن ﴾ ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآن ﴾[سورة الرحمن: الآية:١– ٢] ، ولم يقل: الرحمن خلق القرآن وقوله تعالى: ﴿ يس ﴾ ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيم ﴾[سورة يس: الآية ٢] ولم يقل: يس والقرآن المخلوق. فقال المعتصم: احبسوه، فحُبِسَ وتفرَّقَ الناس.

فلمَّا كان مِنَ الغد جلس المعتصم مجلسه على كرسيه وقال: هاتوا أحمد بن حنبل فاجتمع الناس، وسُمعت لهم ضجة في بغداد، فلمَّا جيء به وقف بين يديه والسيوف قد جُردت، والرماح قد ركزت، والأتراس قد نُصبت، والسياط قد طرحت، فسأله المعتصم عمَّا يقول في القرآن؟ قال: أقول: غير مخلوق، وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فناظروه بحضرته في مدة ثلاثة أيام، وهو يناظرهم ويظهر عليهم بالحُجج القاطعة، ويقول: أنا رجل عَلِمتُ علماً ولم أعلم فيه بهذا، أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- حتى أقول به. وكلما ناظروه وألزموه القول بخلق القرآن يقول لهم: كيف أقول ما لم يُقل؟ فقال المعتصم قهرنا أحمد.

وكان من المتعصبين عليه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم، وأحمد بن دُوَاد القاضي، وبشر المريسي، وكانوا معتزلة قالوا بخلق القرآن، فقال ابن دُوَاد وبشر للخليفة: اقتله حتى نستريح منه، هذا كافر مُضِل.

فقال: إني عاهدتُ الله ألا أقتله بسيف ولا آمر بقتله بسيف، فقالا له: اضربه بالسياط فقال المعتصم له: وقرابتي من رسول الله -ﷺ- لأضربنَّك بالسياط أو تقول كما أقول، فلم يُرهبه ذلك فقال المعتصم: أحضروا الجلادين، فقال المعتصم لواحد منهم: بكم سوطٍ تقتله؟

قال: بعشرة، قال: خذه إليك، فأُخْرِجَ الإمام أحمدمن أثوابه، وشُدَّ في يديه حبلان جديدان، ولمَّا جيء بالسياط فنظر إليها المعتصم قال: ائتوني بغيرها، ثم قال للجلادين تقدموا فلمَّا ضُرِبَ سوطاً، قال: بسم الله، فلمَّا ضُرِبَ الثاني قال: لا حول ولا قوةً إلاَّ بالله فلمَّا ضُرِبَ الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلمَّا ضُرِبَ الرابع قال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون ﴾[سورة التوبة: الآية ٥١]

وجعل الرجل يتقدَّم إلى الإمام أحمد فيضربه سوطين، فيحرضه المعتصم على التشديد في الضرب، ثم يتنحَّى، ثم يتقدَّم الآخر فيضربه سوطين، فلمَّا ضُرِبَ تسعة عشر سوطاً قام إليه المعتصم فقال له: يا أحمد علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك لشفيق، قال أحمد: فجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه وقال: تريد أنْ تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعضهم يقول: ويلك، الخليفة على رأسك قائم، وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي اقتله وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين: إنه صائم وأنت في الشمس قائم، فقال لي: ويحك يا أحمد ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- حتى أقول به. ثم رجع الخليفة فجلس ثم قال للجلاد: تقدمَّ، وحَرَّضه على إيجاعه بالضرب.

قال الإمام أحمد: فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أُطلِقت عنِّي، فأتوني بسويق فقالوا لي: اشرب وتقيأ، فقلت: لستُ أُفطر، ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فحضرتُ صلاة الظهر، فتقدَّم ابن سماعة فصلى، فلمَّا انفتل من الصلاة قال لي: صليتَ والدمُ يسيل في ثوبك، فقلت له: قد صلَّى عمر -رضي الله عنه- وجرحه يسيل دماً.

ولمَّا ولِّيَ الواثق بعد المعتصم، لم يتعرض للإمام أحمد بن حنبل في شيء إلاَّ أنَّه بعث عليه يقول: لا تساكنِّي بأرضٍ، وقيل: أمره أنْ لا يخرج من بيته، فصار الإمام أحمد يختفي في الأماكن، ثم صار إلى منزله فاختفى فيه عدة أشهر إلى أنْ مات الواثق.

وبعد ذلك تولَّى الخلافة المتوكل بعد الواثق، فقد خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد، وطعن عليهم فيما كانوا يقولونه من خلق القرآن، ونهى عن الجدال والمناظرة في الأداء، وعاقب عليه، وأمر بإظهار الرواية للحديث، فأظهر الله به

السُنَّة، وأمات به البدعة، وكشف عن الخلق تلك الغُمَّة، وأنار به تلك الظُلمة، وأطلق من كان اعتُقِلَ بسبب القول بخلق القرآن، ورفع المحنة عن الناس.

- **اهتمام الخليفة المتوكل بعلاج أحمد:**

لما طالت علة أبي عبدالله، كان المتوكل يبعث بابن ماسويه المتطبب، فيصف له الأدوية، فلا يتعالج، ويدخل ابن ماسويه، فقال: يا أمير المؤمنين، ليست بأحمدعلة، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة، فسكت المتوكل؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ ٢٧١).

✍ **مؤلّفات أحمد بن حنبل وتصانيفه**

لدى الإمام أحمد بن حنبل الكثير جدًّا من المؤلّفات، **وهذان مثالان عليها:**

- المسند: جمع فيه العديد من الأحاديث المستندة إلى قائمة أسماء الرّواة من جيل الصّحابة، يحتوي هذا الكتاب على ٣٠.٠٠٠ حديث.
- كتاب المسائل: هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الفتاوى التي أصدرها الإمام أحمدمن أسئلة ابنه وطلّابه، والكتاب مقسّم بحسب أسماء المسائل على سبيل المثال: مسائل عبد الله، يتضمّن أسئلة عبد الله وأجوبة الإمام أحمد ومسائل أبي داود، ويليه إجابات الإمام أحمدعليها، وهكذا.

ومن مؤلفاته أيضًا كتاب المسند، وهو أكبر دواوين السنة المطهرة، إذ يحوي أربعين ألفًا من أحاديث النبي ﷺ انتقاها الإمام أحمد من بين سبعمائة وخمسين ألف حديث.

وله من الكتب أيضًا كتاب الأشربة، وكتاب الزهد، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب المسائل، وكتاب الصلاة وما يلزم فيها، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب العلل، وكتاب السنن في الفقه وكتاب الفرائض وكتاب المناسك وكتاب الإيمان وكتاب طاعة الرسول وكتاب الرد على الجهمية، والمسنَد؛ (الفهرست لابن النديم صـ ٢٨١).

- **مسند الإمام أحمد**

معنى المسند: هو الكتاب الذي يجمع أحاديث كل صحابي على حدة، سواء كان هذا الحديث صحيحًا أو حسنًا أو ضعيفًا، بصرف النظر عن موضوع الأحاديث.

بدأ الإمام أحمد في تأليف المسند بعد عودته من رحلته لشيخه عبدالرزاق بن همام عالم اليمن عام مائتين من الهجرة، كان الإمام أحمد في السادسة والثلاثين من عمره ويحتوي المسند على نحو من ثلاثين ألف حديث، رواها الإمام أحمد عن مائتين وثلاث وثمانين شيخًا.

وقال: هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفًا، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه، فإن وجدتموه فيه، وإلا فليس بحجة

(سير أعلام النبلاء جـ ١١ صـ ٣٢٩).

✍ مع المحبرة إلى المقبرة

اتجه أحمد ﷺ إلى طلب العلم الذي وجهته أسرته إليه واستقام ذلك التوجيه مع نزوعه الخاص. وبذلك تلاقت ميوله مع الوجهة التي وجه إليها، وكانت بغداد فيها علوم الدين، واللغة والرياضة، والفلسفة، والتصوف إذ كانت حاضرة العالم الإسلامي. فاختار الإمام أحمد في صدر حياته رجال الحديث ومسلكهم فاتجه إليهم أول اتجاهه، ويظهر أنه قبل أن يتجه إلى المحدثين راد طريق الفقهاء الذين جمعوا بين الرأي والحديث، فيروى أن أول تلقيه كان على القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة فقد قال: "أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف". ولكنه مال من بعد إلى المحدثين الذين انصرفوا بجملتهم للحديث وبقي يتلقى الحديث بغداد من سنة ١٧٩ هـ إلى سنة ١٨٦ هـ ولزم عالماً كبيراً من علماء الحديث وآلاثار ببغداد أربع سنوات وهو شيم بن بشير بن أبي حازم الوسطي (المتوفي سنة ١٨٣ هـ). وكانت سنه عند الملازمة حوالي الست عشرة سنة، وكتب الإمام أحمد عنه كتاب الحج وبعضاً من التفسير وكتاب القضاء وكتباً صغاراً.

ولقد استمع أيضاً ملازمته لهشيم إلى عبد الرحمن بن مهدي وأبي بكر بن عباس. وبعد موت هشيم أخذ أحمد يتلقى الحديث حيثما وجده وحيثما كان؛ ومكث ببغداد نحو ثلاث سنوات يأخذ من شيوخها بجد وأدب ونشاط، فقد ذكر عن نفسه " "كنت ربما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمي بثيابي، حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا".

ابتدأ الإمام أحمد رحلاته في سنة ١٨٦ هـ؛ ليتلقى الحديث عن الرجال شفاهاً ويكتب عن أفواههم ما يقولون؛ فرحل إلى البصرة؛ ورحل إلى الحجاز؛ ورحل إلى اليمن؛ ورحل إلى الكوفة؛ وما سمع بعالم إلا رحل إليه، إلا إن حالت المنية دون اللقاء، فلم يستطع الاستماع إلى الإمام مالك، إذ مات الأخير عند ابتدائه في طلب الحديث، ولم يتمكن من الاستماع إلى ابن المبارك إذ أن آخر قدمة له ببغداد كانت في السنة التي اتجه فيها أحمد ﷺ إلى طلب الحديث ولم يظفر بلقائه، كما ضاقت نفقته عن الرحلة إلى الري وقال: "لو كان عندي خمسون درهماً لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد".

وكما رحل الإمام أحمد في سبيل طلب العلم رحل في سبيل الحج، فقد روى لنا أنه حج خمس مرات، ثلاثاً على قدميه واثنتين راكباً.. وفي سنة ١٨٧ هـ التقى في رحلته إلى الحجاز مع الإمام الشافعي، وأخذ عنه الفقه وأصوله، وعلم الناسخ والمنسوخ، ولقي الإمام

الشافعي بعد ذلك ببغداد، وقد حرر الشافعي فقهه، ونضج أحمد ﷺ في الحديث وعلم الرواية، حتى كان الإمام الشافعي يقول له: "إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به". إذن كان الإمام أحمد يحتفي بطلب الحديث وآثار الرسول ﷺ وفتاوى أصحابه كما كان يطلب علم الفقه والاستنباط، وكان معجباً في هذا الباب بمنهج الشافعي الفقهي في القياس والاستنباط واعترف بذكائه الباهر وقوة قياسه حتى قال: "ما رأت عيناي مثله".

ومما يدل على علو همة أحمد في طلب العلم واستطابته المشقة في سبيل ذلك، قصة يرويها ولده صالح، قال: "عزم أبي على الخروج إلى مكة، ورافق يحيى بن معين، قال أبي: نحج ونمضي إلى صنعاء إلى عبد الرزاق، قال: فمضينا حتى دخلنا مكة، فإذا عبد الرزاق في الطواف، وكان يحيى يعرفه، فطفنا ثم جئنا إلى عبد الرزاق، فسلم عليه يحيى وقال: هذا أخوك أحمد بن حنبل، فقال: حياه الله، إنه ليبلغني عنه كل ما أُسَرّ به، ثبته الله على ذلك. ثم قام لينصرف، فقال يحيى: ألا نأخذ عليه الموعد؟ فأبى أحمد وقال: لم أغير النية في رحلتي إليه، ثم سافر إلى اليمن لأجله، وسمع عنه الكتب وأكثر عنه".

واستمر على هذا الجد والطلب حتى بلغ مبلغ الإمامة في الحديث والفقه، قال عبد الله ابن أحمد، سمعت أبا زرعة يقول: "كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له، وما يدريك؟ قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب". وقال أبو عبيدة: "ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة من أحمد" وقال القاسم بن سلام: "انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن حنبل، علي بن المديني أبي بكر بن شيبة ويحيى ابن معين. وأحمد أفقههم " وقال أحمد بن سعيد الرازي: "ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعلم بفقه من أحمد بن حنبل". وقد شهد له الإمام الشافعي بذلك فقال: "خرجت من بغداد، وما خلفت به أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد".

وقد استمر أحمد ﷺ على جده في طلب العلم، حتى بعد أن بلغ مبلغ الإمامة، وكان رحمه الله تعالى يقول: "أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر". وهكذا كان الإمام أحمد يسير على الحكمة المأثورة: "لا يزال الرجل عالماً ما دام يطلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل".

جلس أحمد ﷺ للتدريس والفتيا في المسجد الجامع ببغداد، وقد بلغ الأربعين، فوافق في نشر علم النبوءة سن النبوءة، وكان إقبال الناس على مجالسه عظيماً إذ كان ذكره قد ذاع في الآفاق الإسلامية قبل أن يتخذ مجلساً، ويروى عدد من كانوا يستمعون إلى درسه نحو خمسة آلاف، وأنه كان يكتب منهم نحو خمسمائة.

وكانت مجالسه تمتاز بالوقار والسكينة وحسن الإنصات وإجلال العلم، وكانت بعيدة عن الدعابة والهزل وكل ما يذهب رواء العلم وروعة الدين، واكن للفقراء تقديم على

الأمراء والأغنياء، نقل الذهبي عن المروزي قال: " لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا وكان فيه حلم ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر، يقعد حيث انتهى به المجلس".

ويظهر أنه كان له مجلسان للدرس والتحديث أحدهما: في منزله يحدث فيه خاصة تلاميذه وأولاده، والثاني: في المسجد يحضر إليه العامة والتلاميذ. وكانت دروسه من حيث موضوعها قسمين: أولهما: رواية الحديث ونقله: وهذه يميلها على تلاميذه من كتاب لا اتهاماً لذاكرته، بل حرصاً على جودة النقل وإبعاد لمظنة الخطأ ما أمكن، وفي الأحوال النادرة جداً كان يقول الحديث من غير رجوع إلى كتاب.

وثانيهما: فتاويه الفقهية التي كان يضطر إلى استنباطها، وهذه لا يسمح لتلاميذه أن يدونوها، ولا يسمح لهم أن ينقلوها عنه، إذ أنه ما كان يستجيز التدوين إلا لأحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه. إلا أنه اضطر في آخر أمره أن يجيز كتابة فتاويه، بل نشرهاوبخاصة بعد محنته وذيوع اسمه وشهرته في كل البقاع الإسلامية بعلوم الدين كلها سواء ما كان يتصل بالعقيدة أم بالحديث والفقه.

فقد كان الناس يقصدونه للفتوى من أقصى العراق والشام وخراسان لمنزلته وشهرته في الورع والتقوى والفقه، فكثرت فتاويه حتى يروي العليمي في بيان علم الإمام أحمد ﵁ ومنزلة فقهه أن عبد الوهاب الوراق قال: "ما رأيت مثل أحمد بن حنبل فقالوا له وأي شيء بان لك من فضله؟، فقال: رجل سئل عن ستين ألف مسألة فأجاب فيها: حَدَّثنا وأخبَرَنا".

وهذا الكلام يدل على أن الإمام أحمدكان يعتمد في فتاويه على أحاديث وأخبار وآثار السلف الصالح ﵃ وهو يُعتبر في ذلك الحجة الثَبْتَ الذي لا يُجارى ولا يُباري. ولم يبح لنفسه أن يجتهد وأن يستنبط إن لم يجد ضرورة تستدعي ذلك. ولحرص أحمد ﵁ في فقهه أن يكون بعيداً عن الابتداع في الدين كان لا يفتي إلا فيما يقع من الأمور.

وإذا كان الإفتاء في الأمور المتوقعة يكسب الفقه ضبطاً، وإحكاماً في الصياغة، فإن الإفتاء في الأمور الواقعة يكسبه حياة وقوة، ولذلك كان الفقه الحنبلي المأثور حياً نضراً ريّان المحيّا، فيه جلال السلف؛ إذ هو أثر، أو من ينبوع الأثر، ولقد كان أحمد ﵁ لتمرسه بالآثار قوي الإدراك لما يشبهها فينطق به، لأن فكره تكون منه، وأُشرب به، ومازج عقله وأطواء نفسه.

وهكذا كان الإمام أحمد سلفياً في فقهه وفتاويه، لا يقفوا ما ليس به علم، لأنه يعتقد أن الخروج عن تلك الجادة زيغ عن منهج السلف، لا يتكلف التعمق في مسائل عقلية قد

تكون متاهات للعقل البشري، وإذا خرج من وعثائها سالماً فقد جهد نفسه في غير طائل وشغل فكره في غير جدوى، ولها عن ذكر الله، وصد نفسه عن سبيل العبادة.

وبذلك نرى كيف انعقدت الإمامة لأحمد -ﷺ- في الفقه والورع والسنة قال الحافظ الذهبي يصفه: "هو عالم العصر، وزاهد الوقت، ومحدث الدنيا، ومفتي العراق، وعالم السنة وباذل نفسه في المحنة، وقل أن ترى العيون مثله، كان رأساً في العلم والعمل، والتمسك بالأثر ذا عقل رزين، وصدق متين، وإخلاص مكين، وخشية ومراقبة للعزيز العليم، وذكاء وفطنة وفهم وسعة علم....".

✍ دراساته الخاصة:

وإذا موجهه الأكبر من نفسه كنا قد قصرنا عدد الموجهين للإمام أحمد على اثنين من العلماء، فذلك لأن أحمد-ﷺ- كان، ونزوعها وميولها، والتي نمتها الدراسات الشخصية المختلفة، ونوع الحياة الذي اختاره، واكتفاؤه من المال بالقليل، وعدم اتجاهه إلى مطمح مما تطمح إليه نفوس الرجال، وترنو إليه أنظارهم، فكانت حياته كلها للحديث وفقه السنة.

لقد طلب أحمد -ﷺ- الحديث والسنة، وكان كلما أوغل في الطلب اشتدت رغبته فيه كمن يذوق طعاماً فيستطيبه، إذ الرغبة بعد الذوق تشتد، بيد أن نهمة العلم لا تشبعها كثرة ونهمة الطعام يشبعها القليل، لأنَّ الأولى معنوية، والمعاني لا تتخم، والثنية مادية، وقليل المادة يتخم.

ولقد كان أحمد -ﷺ- يجهد في دراساته بين الأمصار، وقد ذكرنا كيف كان في صدر حياته كثير الانتقال إلى الأمصار، والجوب في القفار، ومحبرته في رحاله، وهو يقول بلسان الحال: مع المحبرة إلى المقبرة، ولا يمتنع -وهو الكهل الذي يعده الناس إماماً- على أن يعمل في طلب العلم ما يعمله الشاب الذي يستقبل العلم، وكان يقول وهو الإمام الحجة المقتدى به: "أنا أطلب العلم إلى القبر". وكان قدوته في ذلك سيرة إمامين جليلين لم يلقهما هما سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك. فقد اتخذهما أحمد -ﷺ- أستاذين له من سيرتهما، ومروياتهما، وكان يتلاقى معهما في أكثر ما اختلط لنفسه من السلوك في هذه الحياة.

✍ عصره:

كانت حياة الإمام أحمد في العصر الذهبي من الخلافة العباسية؛ حيث نضج فيه كل شيء، وآتي أكله.. فمن الناحية السياسية استقرت الأمور للدولة العباسية استقراراً تاماً بعد فتنة الأمين والمأمون، فانصرف الخلفاء إلى الجهاد، وصادر للدولة الإسلامية قوة وسلطان وازدهرت الحياة الدينية فيها.

وأما من الناحية الفكرية فقد نضج الفقه، واستقامت طرائقه، والتقى العلماء وتدارسوا الفقه ودونت المجموعة الفقهية لكل طائفة من المجتهدين، كما ظهر في ذلك العصر الاتجاه إلى وضع الكليات، وضبط أساليب الاستنباط الفقهي، وقد تولى عبء ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه.

وقد ضج في عصر الإمام أحمد أيضاً علم الحديث، وتم فيه الجمع بين أحاديث الأقطار المختلفة، وطبيعية ذلك الجمع الإحاطة بالأحاديث الواردة في الأبواب الفقهية المختلفة ودراستها دراسة مقارنة في إسنادها وفيما يستنبط منها الموازنة بينها من حيث القوة في حال تعارضها وتعرف الناسخ والمنسوخ، وهكذا.

وإذا كان ذلك العصر هو عصر التقاء الثمرات الفقهية في كل الأمصار، فإن ذلك الالتقاء يصحبه احتكاك فكري بين العلماء، ومن طبيعة هذا الاحتكاك أن تتولد عنه المناظرات التي يقصد بها الوصول إلى الحق في القضايا المتنازعة.

وهكذا جاء الإمام أحمد في ذلك العصر الذي كان يزخر بأنواع المعارف والعلوم فأخذ منها ما يتفق مع نزوعه ويتلاءم مع مزاجه ومسلكه الذي وجه إليه منذ نشأته الأولى فاتجه إلى طلب الأحاديث والآثار من ينابيعها والعاكفين على دراستها، كما طلب الفقه من رجاله وممن غلب عليهم، فكان إماماً في الحديث والفقه

✍ عبادةُ الإمام أحمد:

قال الإمام أحمد: حججتُ خمس حجج؛ منها ثلاث راجلًا، أنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهمًا، قال: وقد ضللت في بعض هذه الحجج عن الطريق وأنا ماشٍ، فجعلت أقول: يا عباد الله، دلُّوني على الطريق، فلم أزَلْ أقول ذلك حتى وقفت على الطريق
(البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ صـ ٣٤٠)

قال عبدالله بن أحمد: كان أبي أصبرَ الناس على الوَحدة، لم يره أحد إلا في مسجد أو حضور جنازة، أو عيادة مريض، وكان يكرَه المشي في الأسواق، وكان أبي يصلِّي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلِّي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سُبُعًا، يختم في سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال، سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو

(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ صـ ٣٤٩: ٣٤٨).

قال صالح بن الإمام أحمد: كان أبي يصوم ويُدمِن، ثم يُفطر ما شاء الله، ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البِيض، فلما رجع من العسكر، أدمن الصوم إلى أن مات

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٢٢٣).

قال أبو بكر المروذي: رأيت أبا عبد الله يقوم لورده قريبًا من نصف الليل حتى يقارب السَّحَر، ورأيته يركع فيما بين المغرب والعشاء؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ ٢٢٣).

قال أبو بكر المروذي أيضًا: كنت مع أبي عبدالله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر لا يدع قيام الليل وقراءة النهار، فما علِمتُ بختمة ختمها، كان يسرُّ ذلك

(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ صـ ٣٣٩)

✍ أخلاق الإمام أحمد:

قال أبو بكر المروذي: كان أبو عبد الله لا يجهل، وإن جُهِل عليه، حَلَمَ واحتمل ويقول: يكفي الله.

ولم يكن بالحقود ولا العجول، كثير التواضع، حسن الخُلق، دائم البِشر، ليِّن الجانب ليس بفظٍّ، وكان يحب في الله، ويُبغض في الله، وإذا كان في أمر من الدين، اشتد له غضبه وكان يحتمل الأذى من الجيران؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٢٢١: ٢٢٠).

قال إسماعيل بن علية: كان يجتمع في مجلس أحمد نحو خمسة آلاف - أو يزيدون نحو خمسمائة - يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٣١٦).

قال أبو بكر بن المطوعي: اختلفت إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة سنةً، وهو يقرأ (المسند) على أولاده، فما كتبت عنه حديثًا واحدًا، إنما كنت أنظر إلى هَدْيه وأخلاقه

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٣١٦).

روى ابن المنادي عن جده أبي جعفر، قال: كان أحمد من أحيا الناس وأكرمهم وأحسنهم عِشرةً وأدبًا، كثير الإطراق، لا يسمع منه إلا المذاكرة للحديث، وذكر الصالحين في وقار وسكون، ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان بشَّ به، وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخ شديدًا وكانوا يعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لم أره يعمل بغيره من التواضع والتكريم والتبجيل، كان يحيى أكبر منه بسبع سنين

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٣١٧: ٣١٦).

✍ وفاء الإمام أحمدلشيوخه:

قال القاضي محمد بن محمد بن إدريس الشافعي: قال لي أحمد: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سَحَرًا؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٢٢٧).

✍ هيبة الإمام أحمد:

قال أبو عبيدٍ القاسمُ بن سلام: جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي، فما هِبْتُ أحدًا منهم ما هِبْتُ أحمد بن حنبل، ولقد دخلت عليه في السجن لأسلم عليه، فسألني رجل عن مسألة، فلم أُجِبْه هيبةً له

(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ صـ ٣٣٩).

✍ جهاد الإمام أحمد:

قال عبدالله بن أحمد: خرج أبي إلى طرسوس، ورابط بها، وغزا. ثم قال أبي: رأيت العلم بها يموت؛ (سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ: ٣١١).

✍ كرامات الإمام أحمد:

قال علي بن أبي فزارة: كانت أمي مُقعَدة (مشلولة) نحو عشرين سنة، فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسَلْه أن يدعوَ الله لي، فمضيت فدققت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: رجل من أهل ذلك الجانب، سألتني أمي وهي كبيرة السن مُقعَدة، أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعتُ كلامه كلام رجل مغضَب، وقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفًا فخرجَتْ عجوز من داره، فقالت: أنتَ الذي كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قالت: قد تركتُه يدعو الله لها، قال: فجئتُ من فوري إلى البيت، فدققت الباب، فخرجت على رجليها تمشي حتى فتحت لي الباب، وقالت: قد وهَب اللهُ لي العافية

(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ ٢ صـ ٣٥٠: ٣٤٩).

قال الإمام أحمد بن حنبل: تبيَّنت الإجابة في دعوتين: دعوت الله ألا يجمعَ بيني وبين المأمون، ودعوته ألا أرى المتوكل؛ فلم أرَ المأمون، مات بالبذندون (قرية)، وبقي أحمد محبوسًا بالرقة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، فرد أحمدإلى بغداد، وأما المتوكل فإنه نوَّه بذكر الإمام أحمد، والتمس الاجتماع به، فلما أن حضر أحمددار الخلافة بسامراء ليحدث ولد المتوكل ويبرك عليه، جلس له المتوكل في طاقة، حتى نظر هو وأمه منها إلى أحمد، ولم يرَه أحمد

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ ٢٤٢: ٢٤١).

✍ وفاة الإمام أحمدبن حنبل:

قال صالح بن أحمد: لما كان أول ربيع الأول أصابت أبي الحمى ليلة الأربعاء وبات وهو محموم، يتنفس تنفسًا شديدًا، وكنت قد عرفت علته، وكنت أمرِّضه إذا اعتل، قال المروذي: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلَتا من شهر ربيع الأول، ومرض تسعة أيام وتسامع الناس، فأقبلوا لعيادته، فربما أذن للناس فيدخلون أفواجًا يسلمون عليه فيرد

عليهم بيده وقد بلغه في مرضه عن طاوس أنه كان يكره أنين المريض، فترك الأنين، فلم يئن حتى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها، فأنَّ حين اشتد به الوجع.

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضِّئوه، فجعلوا يوضئونه، وهو يشير إليهم أن خللوا أصابعي، وهو يذكر الله في جميع ذلك، فلما أكمَلوا الوضوء توفي - رحمه الله ورضي عنه، وكان ذلك يوم الجمعة، الثاني عشر من ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين ومائتين من الهجرة، وكان عمره سبعًا وسبعين سنة.

بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال توفي الإمام أحمد عن سبعة وسبعين عاماً، ودُفن في بغداد، وخرج في جنازته ما يزيد على ثمانمئة ألف من الرجال وستين ألفاً من النساء، توفي رحمه الله- لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ٢٤١هـ، فَرَحِمَ اللهُ هذا الإمام الجليل أحمد بن حنبل، الذي ابتُلِيَ بالضرَّاء فصبر، وبالسرَّاء فشكر، ووقف هذا الموقف الإيماني كأنه جبلٌ شامخ، لا تهزه رياح البدع والضلالة

عن بنان بن أحمد القصباني أنه حضر جنازة أحمد بن حنبلفيمن حضر، قال "فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة، وحُزِر(حَزَر الشيء: قدَّره بالتخمين) من حضرها من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف، ومن النساء ستين ألفًا. رحم الله الإمام أحمد بن حنبل رحمةً واسعةً، وأسكنَه فسيح جناته.

- **جنازة الإمام أحمد:**

كانت وفاة الإمام أحمد- رضي الله عنه- صبيحة يوم الجمعة حين مضى نحو من ساعتين من النهار، فاجتمع الناس في الشوارع، وبعث محمد بن عبدالله بن طاهر حاجبه ومعه غلمان يحملون مناديل فيها أكفان، وأرسل يقول: هذا نيابة عن الخليفة؛ فإنه لو كان حاضرًا لبعث بهذا فأرسل أولاده يقولون: إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره، وهذا مما يكره وأبوا أن يكفنوه في تلك الأثواب، وأتوا بثوب كان قد غزلته جاريته، فكفنوه فيه واشتروا معه عوز لفافة وحنوطًا، واشتروا له راوية ماء، وامتنعوا أن يغسلوه بماء من بيوتهم؛ لأنه كان قد هجر بيوتهم، فلا يأكل منها ولا يستعير من أمتعتهم شيئًا، وكان لا يزال متغضبًا عليهم؛ لأنهم كانوا يتناولون ما رتب لهم على بيت المال، وهو في كل شهر أربعة آلاف درهم، وكانوا عالةً فقراء وحضر غسله نحو من مائة من بيت الخلافة من بني هاشم فجعلوا يقبلون بين عينيه، ويدعون له، ويترحمون عليه، وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لا يعلم عددهم إلا الله، ونائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في الناس، فتقدم خطوات، فعزى أولاد الإمام أحمدفيه، وكان هو الذي أمَّ الناس في الصلاة عليه، وقد أعاد جماعة من الناس الصلاة على القبر بعد الدفن من أجل ذلك، ولم يستقر في قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر؛ وذلك لكثرة الناس.

روى البيهقي وغير واحد: أن الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحزر الناس فوجدوا ألف ألف وثلاثمائة ألف، وفي رواية: وسبعمائة ألف، سوى من كان في السفن وأقل ما قيل: سبعمائة ألف.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف الناس عليه حيث صلي على أحمد بن حنبل، فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ألف.

قال عبدالوهاب الوراق: أظهر الناس في جنازة أحمد بن حنبل السنَّة والطعن على أهل البدع، فسَرَّ الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة، لما رأوا من العز وعلو الإسلام وكبت أهل الزيغ، ولزم بعض الناس القبر، وباتوا عنده، وجعل النساء يأتين حتى مُنِعن.

قال عبدالوهاب الوراق أيضًا: ما بلغنا أن جمعًا في الجاهلية والإسلام كان أكثر من الجمع على جنازة أبي عبدالله

(سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١١ صـ ٣٤٢: ٣٣٤)، (البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ صـ ٣٥٦).

✍ والدة الإمام أحمد(منهاج في التربية)

في خضم هذا السيل الكبير والكم الهائل من النظريات التربوية والتعليمية الحديثة وكذلك الفلسفات التربوية وشتى المذاهب في علم النفس التربوي، يظل المنهج التربوي الإسلامي الذي تربت على يديه ومن خلاله وتتلمذت على مبادئه الأجيال المسلمة تبعاً لمنهج خير البرية عليه أفضل الصلاة والسلام، يبقى هذا المنهج الرباني فريدا من نوعه، بل المنهج الوحيد الذي يتحدى كل النظريات الحديثة في إعداد الفرد الصالح بكل ما في الكلمة من معنى. كيف لا وقد أعد لنا نساءً ورجالاً لم يرالوجود نظيرهم؛ نساءً ورجالاً تربوا على الحق والصدق والشهامة والمروءة ومكارم الأخلاق. وتتجلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى في ابتكار السبل وتدليل الصعاب والعقبات للمتعلم ولذلك الطفل البريء كي ينشأ وينمو ويترعرع في كنف الأخلاق النبيلة حتى وإن ضاقت بأسرته السبل أو تعسرت عنهم الماديات؛ وأكثر من ذلك، فإن منهج التربية الإسلامي الأسري يدحض ويخالف جل النظريات الحديثة في علم النفس التربوي. فعلى سبيل المثال يرى هذا الأخير بأن الطفل "وحيد الأسرة" لا يمكن أن ينشأ ويتربى تربية شاملة سليمة لأنه قد تتكون لديه ترسبات نفسية مختلفة ومعقدة: فهو على سبيل المثال يعيش مدللا ولا يشقى للحصول على أي شيء لأن أبواه يسعيان دوما على إرضاءه، وقد يؤثر ذلك على شخصيته حين يكبر، ونحن نقول لهؤلاء تعالوا ندرس حياة العديد من علماء المسلمين وعظمائهم لنجد العجائب، بل نجد ما يفند ذلك بتاتا، ولنأخذ حياة الإمام أبي حنيفة على سبيل المثال، فقد كان "وحيد" أسرته، فهل نشأ معقدا؟ إنه الإمام أبي حنيفة وما أدراك بأبي حنيفة العالم الرباني الغزير المعرفة؛ ومن

جهة أخرى نجد بأن الإمام أحمد بن حنبل نشأ يتيما، واليتيم في تصنيف علم النفس التربوي الحديث هو فرد تحوم حوله أكوام من العقد، فهذا الإمام هو أحد أعمدة المذاهب الإسلامية في حد ذاته ، بل أكثر من ذلك، نقول لأولئك التربويين الحداثيين بالدرجة الأولى، أنظروا إلى معلم البشرية جمعاء محمد ابن عبد الله، رسول الله ﷺ، فقد نشأ يتيما ورغم ذلك فقد استطاع نشر رسالته في ربوع هذا الكون، بل هو معلم البشرية بدون منازع . العبرة إذاً أن هناك منظومة تربوية داخل الأسرة هي التي يجب أن ينشأ في كنفها الطفل وينمو ويترعرع ويتشبع بمبادئ التربية الأخلاقية كي ينشأ نشأة سليمة جسديا وعقليا وروحيا ووجدانيا. وعلى عكس مفهوم التربية الحديثة في الغرب، فإن نواة التربية تنشأ في البيت وليس في دور الحضانة تحت رحمة المربين والمربيات، وليست في وسائل الإعلام كما يزعم الغرب لتبقى تربية الوالدين لدى المجتمع المسلم هي مخ التربية وبخاصة تربية الأم لأنها الأكثر احتكاكا بالطفل والأقرب إليه رحما، ولذلك شدد الدين الحنيف على اعتناء المرأة ببيتها لأنه يعلم أن مسؤوليتها في تربية الأبناء أعظم شأنا وخير لها من أن تزاحم الرجال في العمل خارج البيت (إلا إذا كان ولابد أو لها ظروفا قاهرة).

تطلّ علينا كلّ يومٍ نظرياتٌ جديدةٌ في التربية، ويتنافس الخبراء في هذا المجال في تقديم أحدث طرق التربية السلوكية وأنجحها، ويتباهى الغرب بتقديم البرامج المتنوعة في فنون التربية وتقويم السلوك عند الأطفال .

وتطلّ علينا من التاريخ امرأةٌ ربّت فأحسنت التربية، وعلّمت فخرّجت منارةً في العلم ما تعّلمت من تلك الفنون شيئًا، ولكنّها تربّت في مدرسة الإبداع والتميّز.

مدرسةٌ فيها فيضٌ من العلوم المختلفة، وفيها نهج التربية ومناهج التقويم والإرشاد فيها تُعلّم فنون التأثير والصّقل والتهذيب . . وفيها تسمو الأرواح فوق الذّوات وتربّى النفوس على السَّمع والطّاعة لله جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه، وبذلك فقط تكتمل التربية الحقّيقية .

تلك مدرسة حبيبنا ورسولنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام، وفي تلك المدرسة كانت أمّ الإمام أحمد بن حنبل تدرّس ابنها النَّجيب الذي أثبتت الأيّام أنّه وأمّه أساتذةُ في التربية السلوكيّة .

تلك الأم الفاضلة أتقنت فنون التربية المنهجيّة واللامنهجيّة ، لتخرّج من أرقى مدارس الإبداع علمًا من أعلام الأمَّة، وفقيهًا من أشهر فقهاء الشَّريعة، وإمامًا من الأئمة الأربعة.

فقد ورد أنّ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال:" خرجْتُ من بغداد، فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد" .

توفي والد الإمام أحمد بن حنبل وهو لا يزال صغيرًا . . وأخذت أمّه الفاضلة تقوم على تربيته .

يقول الإمام أحمد: "حفّظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات . . وكانت توقظني قبل صلاة الفجر بوقتٍ ليس بالقصير . . تدفّئ لي الماء، لأنَّ الجو كان باردًا في بغداد. وتلبس اللباس . . ثمَّ نصلِّي أنا وإيّاها ما شئنا . ."

ثمَّ تنطلق إلى المسجد وهي مختمرة لتصلّي معه صلاة الفجر في المسجد –لأنَّ المسجد كان بعيدًا آنذاك – وعمره عشر سنوات. وتبقى معه تعلّمه العلم حتَّى منتصف النهار .

يقول الإمام أحمد: فلما بلغت السَّادسة عشرة، قالت : يا بنيّ سافر في طلب الحديث فإنَّ طلب الحديث هجرةٌ في سبيل الله .

فأعدّت له مستلزمات السَّفر، ثمَّ قالت: إنّ الله إذا استُودِع شيئًا حفظه . . فأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .

فذهب من عندها إلى المدينة ومكّة وصنعاء . . ليعود إليها وهو (الإمام أحمد) وقد قدّم للأمَّة ما قدّم .

تلك الأمّ الفاضلة، كانت ترى في صغيرها خادمًا للدِّين، لا خادمًا لها . . تلك الأم تحمّلت نار فراق ابنها،لا ليرجع إليها بمال أو منصب وإنما لترتويَ فيما بعد بنور العلم الذي حمله ونفع به المسلمين إلى يومنا هذا .

ذلك نموذج من نماذج كثيرة مرّت منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، نماذج لأمهات أدركن بقوّة إيمانهن وحسن إسلامهن ما لم يدركه كثيرون من الباحثين التربويين والمربّين المتحضّرين .

الفصل الثاني

الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل

مفهوم الفكر التربوي الاسلامي

فلسفة التربية عند الإمام أحمد

أهداف التربية

آداب المعلم

- النمو العلمي للمعلم
- أخلاق المعلم
- الجانب السلوكي للمعلم
- المعلم قدوة لطلابه

آداب المتعلم

- الصفات التحصيلية لطالب العلم
- أخلاق طالب العلم
- الصفات السلوكية لطالب العلم

طريقة التدريس

تعليم المرأة

الأساليب التعليمية

- المناظرة– المذاكرة – القراءة – الكتابة – المراسلة – النقري وضرب الأمثلة

المنهاج عن الإمام أحمد

إلزامية التعليم

الفصل الثاني

الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل

مفهوم الفكر التربوي الاسلامي

وقبل أن نعرض الحديث عن جوانب الفكر التربوي عند الإمام أحمد، نستعرض بعض المفاهيم في الفكر التربوي الإسلامي.

إن الفكر في مفهوم اللغة يعني: إعمال الخاطر في الشيء، وفي الإصطلاح: اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلبا أم روحا أم ذهناً بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء.

أما مفهوم التربية في اللغة فمن ربا الشيء أي زاد ونما.

أما مفهوم التربية الإسلامية في الاصطلاح تنصب جميعها في مفهوم وتنشئة وبناء وإعداد الإنسان الصالح من جميع جوانبه المختلفة، الصحية، والعقلية، والإعتقادية والروحية والأخلاقية، والإرادية، والإبداعية، في مراحل نموه المختلفة، في حدود ما أتي به الإسلام من قيم وطرق تربوية.

ومفهوم الفكر التربوي الإسلامي يعتبر حصيلة النتاج الفكري لعلماء التربية الإسلامية..

فلسفة التربية عند الإمام أحمد

الفلسفة هي: استخراج المعاني من منطق ومفهوم الكلمات. أو كما قال دكتور محروس سيد مرسي: (الفلسفة: هي رحلة الفكر الدائمة عبر الأزمنة والأمكنة من أجل الوصول للحقيقة والتربية والفلسفة وجهان لحقيقة واحدة قوامها الإنسان) [٤].

كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ينظر إلى العلم والتعليم على أنه عبادة، وأنه الطريق الصحيح الذي وصل إلى الله ﷻ وكان يعظم أهل الحديث ويحترمهم ويجلهم ويعتبر أن العلماء هم من بقايا الرسل حيث يقول «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم »[٥].

[٤]- محروس سيد مرسي: التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإنساني وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص٢١.

[٥]- أحمدبن حنبل: (الرد على الزنادقة والجهمية) القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٩٣هـ،ص٦.

وهو بذلك يعطي العلم وطلبه ما يستحق من التكريم والإجلال والتقدير يجعلهم خلفاء للأنبياء في الأرض، يعلمون الناس الحق ويرشدونهم إليه، ويحذرونهم من الباطل والوقوع فيه وهذا تكريم يتشرف به كل من سلك سبيل التعليم وعمل فيه من أساتذة ومعلمين نظرًا لعظم دورهم وأهميته في تكوين جيل مؤمن بالله ورسوله، يتبع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

وكما أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يحترم العلماء ويوقرهم ويجعلهم خلفاء الأنبياء في الأرض مسترشدًا بحديث رسول الله ﷺ حيث يقول: « العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ واقر) (رواه أبو داود)فإنه يحملهم مسئولية عظيمة مسئولية الدعوة إلى الهدى والحق وتوضيحه للناس، والصبرعلي ما يصادفهم من الإيذاء في سبيل ذلك، احتسابًا للأجر والثواب من الله حيث يقول : « على أهل العلم أن يدعوا إلى الهدى ، ويصبروا على الأذى »[٦]. وهو يشبه دعوتهم إلى الحق وتوضيحهم له بمن ينير الطريق في الظلماء، أو من يعيد النظر إلى فاقده أو من يحيي الميت بقوله : في تحديد دور العلماء وبيان الواجب الذي يجب عليهم القيام به والمسئولية الملقاة على كواهلهم «يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله العمي»[٧].

فالسالكون طريق الضلال والمبتعدون عن الحق يشبههم تارة بالموتى، وهو كناية عن موت قلوبهم يبعدهم عن الحق وسبيل الرشاد، وعدم ذكرهم لربهم، وتسبيحه وتحميده والبعد عن طاعته كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾ [سورة الرعد: الآية ٢٨] وإرشادهم للحق بمثابة إحياء الموتى وذلك لا يقدر عليه الا الله ﷻ ويشبههم تارة أخرى بالعميان الذين فقدوا نعمة الإبصار، ويصف دعوتهم إلى الحق وإرشادهم إليه كمن يعيد لهؤلاء العمي إبصارهم فيتمتعون بما حرموا منه من الاستمتاع بجمال الطبيعة والتمتع بهذه النعمة التي أنعم الله بها على عباده. مستدلا بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور﴾ [سورة الحج: الآية ٤٦]

---

[٦]- المرجع السابق،ص٦
[٧]- المرجع السابق،ص٦

وفي فضل ما قام به العلماء يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «فكم من قتيل الإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه»[٨]

فبفضل الله ﷻ وكرمه على العلماء المخلصين في علمهم وبما يقومون به من واجبات تجاه المجتمع من تعليم أبنائه، وإرشادهم إلى طريق الحق، وتعليمهم ما فرضه الله عليهم وبيان الطريق الصحيح لعبادة الله ﷻ نالوا الثواب العظيم من الله، وحصلوا على هذه المنزلة المهمة والمكانة العالية، بقيامهم بدور رسل الله في أرض الله.

ورجال العلم ومنهم المعلمون، لا يعطون حقهم من الاحترام والتقدير من المجتمع برغم دورهم العظيم في صلاح المجتمع وأجياله، وما يتكبدون من مشقة وجهود في سبيل تعليم أبناء هذا المجتمع ، فالمجتمع ينظر إليهم بعدم اهتمام، وعدم تقدير لجهودهم. ويقول الإمام أحمدفي ذلك: « فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم» وقال الإمام أحمد رحمه الله في العلماء وأصحاب الحديث «من عظم أصحاب الحديث تعظم في عين الله ورسوله، ومن حقرهم سقط من عين الله ورسوله» ويقول فيهم أيضًا «هذه سرج الله »[٩]. ومن المهام الجسام على أهل العلم، ما يقومون به من جهد في تعليم أبناء المجتمع

وما يعانونه في ذلك من مشقة، وعليهم أيضا مسئولية تجاه كبار المجتمع ورجاله حيث أن عليهم إرشادهم للحق وإقامة المحاضرات لتوضيح الحق لهم ودعوتهم إليه وتوضيح الطريقة الصحيحة لعبادة الله، ببيان طرق العبادة الصحيحة التي ينبغي اتباعها في أداء العبادة حتى تكون صحيحة ومقبولة إن شاء الله والتحذير من ترك عبادة الله أو تحريف كتابه، فيقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في ذلك: عن واجب العلماء ومهامهم «أن ينفوا عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»

ويصف الجاهلين بقوله: «الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في كتاب الله، مخالفون لكتاب الله، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس، بما يشبهون عليهم» إذا كان هذا القول في الفرق الضالة في عهد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فإن بعض الناس الآن قد يقع في بعض هذه الصفات بدون علم أو قصد، لذا فالإمام أحمد بن حنبل يرى أن المعلمين لا يقتصر دورهم على تعليم الأبناء فقط أمور دينهم والقراءة والكتابة، وانما عليهم واجب أيضا تجاه رجال المجتمع بإقامة دروس لتعليمهم تلاوة كتاب الله تلاوة صحيحة مجودة كما علم النبي ﷺ أصحابه، وكما تعلم التابعون من الصحابة وهكذا ...، وتعليم تلاوة القرآن لا تكون إلا بالسماع عن الشيخ، وعلى يد شيخ

---

[٨]- المرجع السابق، ص٦

[٩]- عبدالغني الدقر: أحمدبن حنبل إمام أهل السنة، دمشق، دار العلم، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، ص٤٩.

كمـا أن علـى المعلمـين بإقامـة النـدوات والمحاضـرات، لإرشـاد النـاس إلـى الطريـق الصـحيح للعبادة، وتوضح ما قد يقع فيه أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه من مخالفات.

ويمكـن اسـتنتاج الجوانـب التربيـة التاليـة : - علـى طالـب العلـم احتـرام العلـم والعلمـاء وطالب العلم لا ينال العلم، ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله، وتعظيم الأستاذ وتوقيره.

قـال علـي بن أبـي طالـب: «أنـا عبـد مـن علمنـي حرفـا واحـدة، إن شـاء بـاع، وإن شـاء استرق، وإن شاء أعتق».

أهداف التربية

يـرى الإمـام أحمـد بـن حنبـل رحمـه الله أن مـن أهـداف التربيـة زيـادة العلـم، والتعـرف على الجديد المفيد، وخصوصـا في أمـر الـدين حيث قـال: «ومـن لـم يكـن لـه علـم يسـال يـتعلم» فالسؤال باب من أبواب العلم، يستطيع به المتعلم الحصـول علـى العلـم الـذي يريـده، فـإذا الفائـدة من السؤال هي: تحديد العلم أو المجـال الـذي يرغـب السـائل الاسـتفادة منـه، فالمحاضـرة مـثلا أو الـوعظ قد تشـتمل أنواعـا مـن العلـم وصـنوفا مـن المعرفـة لا يحتاجهـا المـتعلم، أو لا يرغـب فـي تعلمهـا، ومـن أهـداف التربيـة أيضـا، أن يكـون لـدى المـتعلم القـدرة علـى التمييـز بـين أنـواع العلـوم، ومعرفـة صـحيحها مـن صـحيحها مـن ضـعيفها، ومفيـدها مـن غيـره وخصوصًـا فـي مجال الحديث، حيث يستطيع المتعلم - بعد حصوله علـى قدر كـاف من العلم - أن يفـرق بـين الأحاديث ويعرف الصحيح من غيره، وكمـا فعل الإمـام أحمديقول ابنـه عبدالله «رأيت أبـي يصـحح الأحاديـث التـي تـروي عـن النبـي ﷺ فـي الرؤيـة، ويـذهب اليهـا وجمعهـا فـي كتـاب واحد»

تهدف التربيـة الإسـلامية إلـى «تنميـة فكـر الإنسـان وتنظـيم سلوكه ، وعواطفـه، علـى أساس الدين الإسلامي»[١٠]

فهدف التربية الإسـلامية إذن هدف عظيم، وغايتهـا إيجـاد الفـرد المسلم الصـالح الدينـه ووطنه، وتهتم التربية الإسلامية ببناء شخصية الإنسان من جميع الجوانب.

ومن ذلك فإن أهداف التربية عند الإمام أحمد بـن حنبـل رحمـه الله تشـمل جوانـب مهمـة من شخصية الطالب وتعمل على تنميتها. فالاهتمام بتربيـة الأولاد تربيـة إسـلامية، والمحافظـة عليهم وحثهم على مكارم الأخـلاق واتبـاع تعـاليم الـدين الإسـلامي الحنيـف، مـن أهـداف التربيـة عنـد الإمـام أحمـد ويـرى أن يكـون ذلـك بأسـلوب فيـه عطـف وشـفقة وحسـن توجيـه ولطـف ومشاركتهم في أفراحهم وخصوصـا أيـام الأعيـاد « وذلـك مـا كـان الإمـام أحمديفعلـه مـع أبنائـه

---

[١٠]- عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربيـة الإسـلامية وأسـاليبها، دمشـق، دار الفكـر، الطبعـة الأولـى، ١٩٧٩م ص٩٨.

»[11] وتربية الأولاد على الآداب الإسلامية والتي منها حسن استقبال الزائر وإكرامه لأن ذلك من أخلاق الإسلام وقد حثنا عليه ديننا الإسلامي، وأمرنا بذلك رسول الله ﷺ بقوله «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» [12].

فما أحوجنا لإحياء ما اندثر من تعاليم ديننا الإسلامي، والاهتمام برعاية أبنائنا والاهتمام بتربيتهم تربية اسلامية، هذه التربية التي تحث على مكارم الاخلاق، وجميل الصفات، ومنها حسن استقبال الزائر، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يعتني بضيفه ويكرمه. قال أبو القاسم بن سلام: زرت أحمد بن حنبل في بيته، فأجلسني في صدر داره وجلس دوني. فقلت يا أبا عبد الله أليس يقال: صاحب البيت أحق بصدر بيته ، فقال: نعم يقعد من يريد. ثم قلت له: يا أبا عبد الله لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم فقال: لا تقل، إن لي إخوانا لا ألقاهم إلا في كل سنة مرة ، وأنا أوثق بمودتهم من ألقي كل يوم، فلما أردت القيام قام معي فقلت: لا تفعل يا ابا عبد الله. فقال: قال الشعبي في تمام زيارة الزائر، أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه. قال: فمشي معي إلى باب الدار وأخذ بركابي»

فالإسلام يحث على إكرام الزائر وحسن استقباله، وحسن توديعه، كما أن كثرة الزيارة لا تدل على المحبة، لأن في ذلك إرهاقا للزائر، واشغالا له، وتضييعا لوقته، وقد تؤدي تلك الزيارة وخصوصا بدون موعد سابق إلى تعطيل صاحب الدار عن أعمال مهمة قد يكون مرتبطة بها، لذلك يجب علينا تعليم أولادنا آداب الزيارة، والأوقات المناسبة للزيارة، وأن نختار الوقت المناسب، وعدم الإطالة في الزيارة، وأن تكون موعد مسبق.

كما أن الدين الاسلامي يحث على تربية أولادنا وتعليمهم فضائل الصفات وجميلها ومنها: الحياء، والحلم، والأدب، والعلم، والورع، والمحافظة على الصلوات، وصلة الرحم وبذل المعروف، وحفظ الجار، وترك التكبر، وغض الطرف عن المحارم، احترام المعلم والعلماء، وصدق الحديث، وكتمان السر، وستر العيوب، وأداء الأمانة، والوفاء بالعه والصمت في المجالس من غير إقراط، والتواضع، وإجلال الكبير، والرفق بالصغير والرأفة والرحمة للمسلمين، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، وهذه الصفات يجب على المعلمين وأولياء أمور الطلاب غرسها في نفوسهم، وتلك بعض الصفات التي كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يتحلى بها »[13]

---

[11]- عبد العزيز سيد الأهل: شيخ الأئمة الإمام أحمدبن حنبل، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٧٢م ص٢٩٩

[12]- محمد بن إسماعيل البخاري، صحصح البخاري، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١ هـ -١٩٨٨م، ٣٧٣/١

[13]- عبد الرحمن بن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة،١٩٨٢م، ص١٢٠.

فما أحوج أبناءنا للتحلي بهذه الأخلاق الفاضلة التي يدلنا عليها ديننا الإسلامي الحنيف التي ربي الصحابة والتابعون ومن بعدهم أبناءهم عليها .

ومن أهداف التربية أيضاً: الاقتداء بالصالحين ، في أخلاقهم وعباداتهم وسلوكهم فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما ذكر أخلاق الصالحين قال: «أسأل الله الأ يفتنا أين نحن من هؤلاء» فالاقتداء بالصالحين والسير على طريقهم، يؤدي إلى بلوغ الغاية والهدف من الحياة، وهو عبادة الله ﷻ كما ينبغي وكما أرشدنا الله إليه في كتابه العزيز وكما أرشدنا إليه رسولنا محمد ﷺ وما علمنا إياه من أمور ديننا وطرق عبادتنا وكيفية أدائها الأداء الصحيح.

آداب المعلم

✍ النمو العلمي للمعلم

على المعلم أن يبتعد عن التكلم في الدين بغير علم، وألا يستخدم أسلوب الفلاسفة في تعامله مع طلابه وأن يتجنب تعاطي الكلام، والخوض في الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله وألا يحاول تفسيرها، أو إبداء رأيه فيها، لأن ذلك قد يؤدي به إلى طريق غير مرغوب فيه. وقد يمس دينه، قال المروزي: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول:«لا يفلح من تعاطى الكلام ولا يخلو من أن يتجهم»[١٤]

التدريب العملي مطلوب، ومرغوب فيه، وهو أكثر فائدة، واكثر تأثيرا من العلم النظري لذا على المعلم الاهتمام به، ومحاولة الإكثار منه ما أمكن ذلك، يدرب طلابه على ما يلزمهم وخصوصا أمور العبادات مثل كيفية الوضوء، وكيفية أداء الصلاة. فهذا ادعي لرسوخها في أذهانهم وحتى يتأكد من حسن تطبيقهم وأدائهم لها ويصحح ما يقعون فيه من أخطاء.

لذا فعلى المعلمين عامة ومعلمي المواد الدينية بصفة خاصة الاهتمام بالتدريب العملي في دروسهم والأشراف المباشر على التلاميذ خلال ذلك، وتصحيح ما يقع من أخطاء في حينها حتى يتأكد من إجادتهم لها، لأنهم مسئولون عن ذلك، ومحاسبون عليه إذا قصروا في شيء منه أمام الله يوم لا ينفع مال ولا بنون»[١٥] وأن يهتم المعلم بأداء عمله على أفضل وجه، وأن يواظب عليه، ويتحمل ما يصادفه من عقبات، وأن يبتعد عن التكاسل والإهمال والتقصير في أداء عمله، لأن بالإخلاص يكون الأجر الذي يأخذه حلالا ويطعم أولاده ويكسوهم من الحلال بخلاف ما إذا أهمل وقصر وتقاعس في عمله، فيكون كسبه

١٤- أحمدبن حنبل: الصلاة وما يلزم فيها، القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح ، الطبعة الثالثة، ١٣٤٧هـ ص٧٥.

١٥- المرجع السابق،ص٢٠

حرام ويطعم أولاده وأسرته ويكسوهم من الحرام، وقد كان ذلك ديدن العلماء فيما مضى وكانوا حريصين أشد الحرص على الكسب الحلال: يقول « بشر بن الحارث: سمعت المعافي بن عمران يقول: عشرة فيما مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد، لا يدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال وإلا استفوا من التراب، وذكر منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله» [١٦]الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلمين. قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣]

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المعلم أوجب، إذ يجب عليه أن يأمر تلاميذه بكل خير، وينهاهم عن كل منكر، لأن كلمته مستجابة ومسموعة عندهم، وخاصة إذا كان يلتزم بعلمه ويعمل بما يقول، فإنه قدوة حسنة لطلابه، يقلدونه ويحاكونه في كل أقواله وأفعاله وتصرفاته، ويعتبرونه مثلهم الأعلى، لذا على المعلم أن يكون عالما وعاملا بما يأمر به، وما ينهى عنه، وتكون دعوته تلك بأسلوب شيق وجذاب لأبنائه، خالية من الشدة والغلظة، ويقول في ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى»[١٧]

حيث إن المعلم قدوة لتلاميذه، يقلدونه في كل شيء، وحيث إن الثياب الشفافة لا تستر عورة الرجل وجسمه، لذلك ينبغي على المعلم الابتعاد عن لبس مثل هذه الملابس، كما ينبغي عليه إذا وجد من تلاميذه من يلبسها، أن يرشده إلى الابتعاد عن ذلك، لأن الهدف من لبس الثياب ستر الجسم ومنه العورة، وستر العورة شرط من شروط صحة الصلاة، فامتناع المعلم عن لبس الملابس الشفافة، يجعل نصحه وارشاده وتوجيهه لتلاميذه يلاقي إقبالا منهم وصدى في نفوسهم فيستجيبون له، ويبتعدون عن ذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما أراد أحدهم أن يشتري ثيابا **قال**: «لا يكون رقيقا، أكره الرقيق للحي والميت»[١٨]

إن العلم هو سلاح المعلم ، كما أن الأسلحة هي سلاح الجندي فكلما زاد المعلم من الاطلاع ومتابعة ما يتوصل اليه من فنون العلم الحديثة

---

[١٦]- المرجع السابق،ص٧

[١٧]- المرجع السابق، ص٩٢

[١٨]- أحمدبن حنبل: كتاب الورع، القاهرة، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٠هـ

كلما زاد ذلك قدرته على أداء رسالته. وكما أن الجندي كلما استخدم الأسلحة الحديثة وتدرب على حسن استعمالها كانت قوته أكبر، فعلى المعلم البحث والاستمرار دائما في القراءة ومتابعة ما يستجد من أنواع المعارف، وبخاصة ما يخدم تخصصه ويفيده فيه ويرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن على الإنسان المثقف بصفة عامة والمعلم بصفة خاصة أن لا يقف عن طلب العلم والاطلاع المستمر عند حد معين أو زمن معين .

والنمو المعرفي لا يتوقف عند حد معين أو سن معين ، لذلك فطلب العلم مستمر والراغب في العلم عليه أن يستمر في القراءة والاطلاع ، فالعلم يتطور والنظريات والحقائق تتغير وتتعدل في كل فترة ، لذا فعلى الانسان ألا يقف عند مستوى تعليمي معين فلا يطلع على شيء بعد ذلك وخصوصًا المعلم الذي ينبغي عليه أن يكون على اتصال مستمر بالمعرفة والاطلاع على النظريات والطرق التربوية الحديثة باستمرار حتى يكون قادرا على مواكبة التطور العلمي ، لذلك يرى الإمام أحمد بن حنبل أن على الشخص عامة والمعلم بخاصة أن لا يقف عن طلب العلم عند حد معين بل عليه الاستمرار في طلب العلم وتحصيله والقراءة والاطلاع فيما يفيده من أموره الدنيوية والأخروية، قال الإمام أحمد بن حنبل«مع المحبرة الى المقبرة»[١٩]

كما يرى الباحث أن إلمام المعلم بجميع ما يكتب من المعارف صعب تحقيقه لذا على المعلم الاطلاع المستمر ما أمكن ذلك في جميع أنواع المعرفة بصفة عامة، وسعة الاطلاع والمتابعة المستمرة لما يتوصل اليه العلم في مجال تخصصه بصفة خاصة.

اللغة العربية هي لغة القرآن وهي اللغة الخالدة ولأهميتها فمن الواجب علينا المحافظة عليها واستعمالها في حياتنا اليومية وعدم إهمالها واللجوء إلى اللهجات المحلية والمعلم من أوجب الواجبات عليه أن يكون على قدر كبير من التعمق في اللغة العربية ، وأساليبها، ودقتها ونحوها وصرفها فقد كان الإمام أحمد كما وصفه الإمام الشافعي إمام في اللغة.

الشعر فن وذوق رفيع من فنون الأدب العربي، وليس عيبا أن يكون المعلم شاعرًا خاصة إذا ما وظف هذه الملكة لما فيه الخير والنصح والارشاد والدعوة إلى الله، وقد كان الإمام أحمد بن حنبلرغم ما وصل إليه من العلم وإمامته الأمة يقول الشع، ولكن شعره اقتصر على بعض المواعظ والنصح لطلاب العلم يذكرهم بالله وأنه مطلع على الاعمال، ما ظهر منها وما خفي ، ويحذرهم من الانشغال بالعلم الذي لا ينفع، بل قد يسبب الضرر لصاحبه ويرشد طالب العلم إلى الأسلوب الأمثل للتعلم والاستفادة منه .

[١٩]- عبدالغني الدقر: أحمدبن حنبل إمام أهل السنة، دمشق، دار العلم، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، ص٨٤.

ويجب أن يختار للتعليم من لـه كفاءة عالية في ذلك واطلاع واسع في مجالات العلم وليس في مجال واحد فقط ، والإمام أحمد بن حنبل يفرض على من يتصدروا للتعليم والإفتاء أن يكونوا أكفاء لأداء رسالتهم، وأول من طلب منهم ذلك بنوه حيث يقول لولده صالح «ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالما بوجوه القران عالما بالسنن وإنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن رسول الله ﷺ وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها» ويقول لولده عبدالله: «إذا كان عند الرجل الكتب المصنفة فيها قول رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين فلا يجوز له أن يعمل بما شاء او يتخير، فيقضي به حتى يسأل أهل العلم ما يؤخذ به ، فيعمل على أمر صحيح»[٢٠]

القرآن كلام الله المنزل على أشرف خلقه محمد ﷺ معجز ببلاغته وفصاحته، وكل ما فيه معجز ، وهو دستورنا ومنهجنا وهو كتابنا المتعبد بتلاوته وأساس عقيدتنا الإسلامية، لذا يجب على المعلم عدم إهمال القرآن الكريم بل عليه الاهتمام المستمر بتلاوته وحفظه وأن يخصص له وردة يوميا من القرآن الكريم وهذا واجب أيضا على كل مسلم وليس على المعلم فقط «وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لا ينقطع عن تلاوة القرآن الكريم ويخصص له في كل يوم وردا لا يدعه في كل ليلة» [٢١]

عدم جلوس المعلم للعلم أو الشيخ للحديث، إلا بعد حصوله على أكبر قدر ممكن من العلم وتوفرت لديه القدرة والتدريب المناسب وهذان الشرطان يؤهلان المعلم أو الشيخ للجلوس للعلم أو الفتيا ويجعل منه أهلا للاحترام والتقدير. «فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لم يجلس للعلم والفتيا إلا بعد بلوغ الأربعين من عمره، ولعله في ذلك يتاسى برسول الله ﷺ حيث نزل عليه الوحي وكلف بالرسالة وهو في الأربعين من عمره»[٢٢]

وأن تكون مخافة الله ومراقبته ديدن طالب العلم أولا يحيد عن طريق الحق في القول والعمل والصواب يتبعد عن طريق الزيغ والظلال . [٢٣]

أن يهتم المعلمون وأساتذة الجامعات بالجانب البحثي والإقلال من الأسلوب الإتكالي وذلك بتكليف الطلاب خاصة في المراحل المتوسطة والثانوية والجامعية وما فوقها بشكل أخص بالبحث العلمي والبحث والتنقيب في المكتبات. وهذا الجانب قد إهتم به الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وكان يفضل هذا النوع من التعليم فقد كان يحث عليه ويوصي طلابه بالرجوع إلى كتب العلم في مصادرها وعدم الركون إلى المكتوب

---

[٢٠]- عبدالحميد الجندي: (الإمام أحمدبن حنبل إمام أهل السنة) القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٠ - ١٩٧٠م، ص٢٤.

[٢١]- عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص١٠

[٢٢]- محمد بن سعد: (الطبقات الكبرى) بيروت، دار بيروت ودار الصادر، مجلد (٧)، ١٣٧٧ه - ١٩٠٨م

[٢٣]- عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص١٥٨

وعلى المعلم تشجيع طلابه وحثهم على الرجوع إلى المصادر الاساسية والمراجع الهامة في تعليمهم وإعطائهم من التشجيع والاهتمام ما يدفعهم للرجوع لهذه المصادر وعدم الاكتفاء بما يلقيه عليهم في موعد الدرس، لأن في ذلك تعويدهم وتشجيعهم على الكسل وعدم البحث واكتساب العلم فقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يكره أن يكتب فقهه كما يكره أن يكتب فقه غيره واجتهاده، لأنه كان يخشى أشد الخشية أن ينصرف العلماء والناس عن النصوص الحقيقية ، من الكتاب والسنة، الى أقوال واجتهادات لم تصدر عن معصوم»[٢٤]

والمعلم ليس دوره اعطاء المعلومات لتلاميذه فقط، إنما عليه النصح لمن يحتاج ذلك وإرشاده لما يفيده ، فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما طلب منه تلميذه يحيى بن معين الوصية قال له. «لا تحدث المسند الا من كتاب» وعلى المعلم إرشاد طلابه إلى الكتب المفيدة لهم والتي تحقق لهم العلم النافع. كما أن على المعلم أن يحث طلابه ويشجعهم على الكتابة ويطلب منهم تدوين ما يقوله، أو ما يريدون الاستفادة منه لأن التدوين أحفظ للعلم من الحفظ في الذاكرة الذي سوف يكون مصيره النسيان مع مرور الوقت، بينما المدون في الأوراق لا يوثر عليه مر السنين، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يفضل التدوين على الحفظ وكان يأمر أولاده وسائر أهله ليكتبوا عن الفقهاء والمحدثين وأصحاب الأخبار، وحين كان الإمام أحمديفضل الحفظ على التدوين كان مشفقا على الأمة ، وقد علمته التجارب فضل الكتابة وكانت عظة ذلك عند عبد الرزاق، فانقلب الإمام أحمدكاتبة كل ما سمعه، حاثا على الكتابة والتدوين، مرسلا بأولاده وسائر أهله ليكتبوا عن الفقهاء والمحدثين وأصحاب الأخبار ..»

وعلى المعلم أن يحث تلاميذه على التدوين دائما لما يلقي عليهم من العلم ويعود عليهم بالفائدة ويشجعهم على ذلك لأن في التدوين حفظا للعلم ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يهش ويبش للذين يكتبون الحديث عنه ويقول عن محابرهم «هذه سرج الاسلام» كما يجب على المعلم أن يحذر تلاميذه من كتابة ما لا فائدة لهم به وما يسبب أضرار للأخرين وتشويها لمدنهم مثل الكتابة على الجدران وغيرها. لأن لذلك أضرارا كثيرة، وكذلك عدم الانشغال بالكتابة التي لا تحقق فائدة لهم وتشغلهم عن التعليم ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل«يكره كتابة فتواه لكي لا يشغل التلاميذ عن الحديث»[٢٥].

وإرشاد التلاميذ من قبل معلمهم إلى نوع الخط المناسب الذي يساعدهم في قراءته إذا أرادوا الرجوع إليه فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو يتعلم أدرك أن الكتابة بالخط الدقيق ريما خانت صاحبها وقت الحاجة اليها فلا يستطيع قراءة ما كتبه، فأتعظ

[٢٤]- عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٥٩

[٢٥]- عبدالحميد الجندي: مرجع سابق، ص٣٠١.

بتجربته وكتب باحرف كبيرة واضحة طوال حياته وجعل ينهى عن الكتابة بالأحرف الدقيقة وينفر منها لئلا يضيع من العلم شيء»

وقد يصادف المعلم سؤالا من أحد تلاميذه، وهو غير مستعد ذهنيا للإجابة عليه الجواب الصحيح الكامل، لذا يرى الباحث أنه من الأفضل للمعلم في هذه الحالة أن يعتذر عن الاجابة على هذا السؤال بلباقة، ويقنع الطالب بأنه سوف يعود للمراجع التي تفيده في إعطاء الإجابة الواضحة الكاملة على أن يخبره به في أقرب فرصة، ثم يعود المعلم فعلا إلى ما يراه مناسبا من المصادر للحصول على الإجابة المطلوبة، لأن هذا هو الأسلوب الأمثل كما يراه الباحث، وعلى المعلم عدم التسرع في إعطاء جواب قد يكون خاطئا أو غير دقيق، لأن الطالب رما وجد الإجابة الصحيحة من أحد أقاربه، وعند ذلك يفقد المعلم مصداقيته أمام تلاميذه، ويفقده بالتالي ثقة واحترام طلابه له.

قد تعرض الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لموقف أشبه بهذا « حيث جاءه رجل من أهل «مرو» يكنى أبا يعقوب فساله عن حديث، فطلب الإمام أحمد بن حنبلمن ابنه إخراج أحد الكتب التي يتوقع الجواب به، فأخرجه، فجعل الإمام أحمد، يبحث عن هذا الحديث فلم يجدهفقام بنفسه ودخل منزله فلم يلبث حتي عاد وعلي يده عدة أجزاء من الكتب ، فأخذ يبحث فيها عن الحديث ، فطال عليه ، فقال له السائل : قد تعبت يا أبا عبد الله فدعه، فقال: لا الحاجة لنا»[٢٦]

المعلم هو المرجع الأول لتلاميذه داخل الفصل؛ لذا يجب عليه أن يهتم بالإعداد المادته إعدادا جيدا يجنبه الحرج أمام تلاميذه ولربما تعرض لسؤال من أحد تلاميذه عن الموضوع الذي يتحدث عنه يوقعه ذلك السؤال في حرج أمام تلاميذه وتهتز شخصيته ويفقد ثقتهم. لذلك على المعلم ألا يعتمد في إلقاء دروسه على ذاكرته فقط واطلاعه السابق بل من الأفضل أن يكون مسجلا نقاط الموضوع على أوراق للرجوع اليها والاستعانه بها حتي يكون درسه أشمل وأكثر فائدة ، فقد ينسى نقاطا هامة في الموضوع إذا لم يستعين بتسجيل نقاط الدرس وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يحض كبار الرجال على ألا يحدثوا إلا من كتاب، ثم صار التحديث من الكتاب سنة متبعة ، ومذهبا للناس جميعا، وهي الطريقة التي دعا إليها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وحض عليها وعمل بها ، وقد أخبر عن ذلك عبدالله - ابن الإمام أحمد قال: ما رأيت أبي يحدث من حفظه من غير كتاب» مع ما وصل إليه من سعة العلم وقوة الحفظ. [٢٧]

٢٦- عبدالرحمن بن الجوزي: مرجع سابق،ص١٨٩

٢٧- الأصبهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبدالله (حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء) مصر، مكتبة الخانجي والسعادة ١٩٨٣م، ص ١٩٥/٩

قد يقابل المعلم بعض التلاميذ قليلي الاسئلة اما حياء من المعلم واحتراما له، واما لعدم قدرتهم على طرح الأسئلة الملائمة وعدم القدرة على المناقشة، بسبب عدم تعودهم على مثل ذلك، لذا يرى الباحث أن على المعلم مهمة عظيمة ومسئولية كبيرة تجاه هؤلاء التلاميذ بإعطائهم فرصة كبيرة لإشراكهم معه في المناقشة والحوار باسلوب غير مباشر حتي يبعث في نفوسهم الطمأنينة والثقة في أنفسهم، وعلى المعلم أن يطلب من تلاميذه عامة الاستفسار عما يريدون اما بسؤاله عن النقاط او العبارات التي لم يستطيعوا فهمها، أو أن يطلب منهم بطريقة غير مباشرة إعادة بعض الأفكار الرئيسة في الدرس مع تشجيعهم وقبول إجاباتهم مهما كانت ناقصة، لأن ذلك كما يرى الباحث يزيد من ثقتهم بأنفسهم واندماجهم مع زملائهم في المناقشة وكذلك فعل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، عندما جاءه في المسجد رجل غريب ودخل الحلقة ولم يسأل، فالتفت إليه وقال له: «ألك حاجة ؟ قال الرجل الغريب: تعلمني مما علمك الله فقام الإمام أحمد بن حنبل ودخل داره واخرج كتباً وقال له: أدن فجعل يملي عليه ثم يقول للرجل: إقرأ ما كتبت». من الصفات التي ينبغي أن تتوفر في المعلم « أن يكون دقيق النظر عظيم الحيطة، كبير الورع، غزير المادة من علمي الكتاب والسنة» [٢٨]

وهذه الصفات من الصفات الأساسية التي ينبغي توفرها في المعلم لأهميتها ولحساسية عمل المعلم والدور الذي يقوم به يحتاج اليها، والكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان لشريعتنا الإسلامية، وحيث أن مهمة المعلم هي إعداد أجيال صالحة تعبد ربها وتخافه، وتدعو إلى دينه وتكون قدوة حسنة فيه، فينبغي الإلمام بقدر كبير من كتاب الله حفظة والعناية به تلاوة وأن يكون على صلة دائمة به وكذلك سنة الرسول ﷺ لأنها المصدر الثاني للشريعة الاسلامية وهي شارحة للقرآن ومكملة له فعلى المعلمين العناية والاهتمام بها والاطلاع الدائم عليها للاستفادة منها في حياتهم، لأن سنة الرسول ﷺ وسيرته فيهما من المواعظ والدروس والعبرما لا يحصى، وكيف لا يكون ذلك والرسول ﷺ قد ربي أمة من المسلمين كانت خير أمة أخرجت للناس كما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ .

المعلم أشبه ما يكون بعين الماء التي يرتوي منها الإنسان ويسقي منها أشجاره وبهائمه زو كمثل الشجرة المثمرة وارفة الظلال، لا ينقطع ظلها، فهذا كما يرى الباحث دور المعلم، لا ينتهي عند مدة زمنية محددة، بل يبقى ما دامت لديه القدرة على البذل والعطاء، «القدرة الجسمية ، العقلية» ويبدأ المعلم في التدريس متى ما توفرت لديه المؤهلات لذلك العمل وتوفرت لديه أيضا القدرة والتدريب على القيام به خير قيام، ويقرر هو وحده الوقت الملائم لراحته وابتعاده عن العمل والتدريس. وكما هو معروف فالتدريس

---

[٢٨]- عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٥٩

يحتاج إلى جهد مضاعف كما يحتاج إلى قوة تحمل، وصبر، وهو من المهمات الشاقة، ولا ينقطع عمل المعلم كغيره من الموظفين بخروجه من المكتب وإنما يستمر خارج مقر العمل في المنزل يتابع واجبات تلاميذه ويصححها ويضع ما يحتاجه طلابه للمراجعة وغير ذلك مما يحتاجه الطالب، وفي المكتبة يطلع على ما استجد من معلومات في مجال تخصصه ويتوسع في الاطلاع على المواضيع التي سوف

يلقيها على طلابه ... لكل هذا يحتاج إلى جهد غير عادي من المعلم، وهذا الجهد وهذه المشقة تزول إذا حقق تلاميذه قدرا كبيرا أو مرضيا من العلم الذي كان يطمح في تحقيقه والمعلم هو الشخص الوحيد الذي يستطيع تحديد استمراره في العمل أو تركه متى ما توفرت لديه الأسباب التي يراها مناسبة لترك العمل، أو لعدم قدرته الجسمية على تحمل أعبائه.

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، بدأ مجلسه للعلم وعمره أربعين سنة تقريبا، ولم ينقطع عن دروسه إلا عندما حبسه المأمون، ثم بعد إطلاق سراحه عاد لمجلسه لإلقاء دروسه، حتى أمره الخليفة الواثق، وخلفه المتوكل بعدم الجلوس للعلم في المسجد، ولكنه استمر في القاء دروسه لاسرته (زوجاته، وأبنائه، وخادمه وبعض تلاميذه) وقد كان له قبل ذلك مجلسان أحدهما في المسجد لعامة الناس، وأخر خاص ينعقد بداره لأسرته[٢٩]

وبما أن المعلم أثره عظيم، ودوره كبير، ومهمته شاقة، ينير الله به القلوب، ويهدي به إلى الحق والمعلمون ورثة الأنبياء، ولما كان المعلم يحتاج إلى المأكل والمشرب والملبس لإعالة أسرته فلا بد له من مورد للرزق، يستطيع به قضاء حاجاته، وشراء متطلباته، لذا فإن تعليم الأطفال مقابل أجر جائز ولا شيء عليه فيه، وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن ذلك فقيل له عن المعلم يعلم الصبيان ويشترط قال : لا بأس بذلك[٣٠]

✍ أخلاق المعلم .

على المعلم أن يرشد من يريد الاستفادة من العلم في غير مجاله، أو يرغب في الاستزادة من نفس العلم، ينبغي أن يرشده إلى أصحاب العلم الذين يمكن الاستفادة من علمهم خاصة إذا كان هذا العالم له مكانة علمية كبيرة، وحضرته الوفاة ، فينبغي له أن يرشد إلى من يرجع إليه الناس بعده، حتى يستمر نهر الخير، ويبقى مصباح الحق مضيئا. والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما سئل في مرضه الذي مات فيه عمن يمكن الاستفادة منه بعده، والرجوع اليه في طلب العلم، والأخذ عنه فقيل له «من نسال بعدك ؟ فقال: سل

[٢٩]- عبدالحميد الجندي: مرجع سابق، ص٢٩٨
[٣٠]- أحمدبن حنبل: كتاب الورع، مرجع سابق، ص٤٩

عبد الوهاب، وأخبر السائل بعض من كان حاضرا أنه ليس له اتساع في العلم، فقال أبو عبدالله: إنه رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق» [٣١]

على المعلم ألا يجعل جل همه وحرصه كسب المال وجمعه، وإنما ينبغي أن يكون جل اهتمامه وحرصه على العلم وطلبه، وتعليمه لأبناء المسلمين يقول الإمام أحمد بن حنبل«ما أعدل بالفقر شيئا،أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء»

وهذه صفة من صفة الذين زهدوا في الدنيا، وحرصوا على كسب الآخرة، باعوا الدنيا واشتروا الآخرة.

كما أن على المعلم أن يرشد طلابه بالتمسك بالآداب العامة مثل نظافة ثيابهم وأجسامهم ومنازلهم وكذلك المحافظة على نظافة الطريق، وإزالة الأذى منها، لما في ذلك من الأجر والثواب العظيم لأن ذلك من الإيمان .

لذلك يجب الحرص على سلامة طرق المسلمين والعمل على نظافتها وإزالة ما يعيق حركة السير فيها، فقد كان بعض العلماء الفاضلين في عهد الإمام أحمدبن حنبل، قد امتنعوا عن الصلاة في المسجد الذي بني درجه في طريق المسلمين وقال الإمام أحمد«لا وضعت رجلي عليها حتى تهدم»[٣٢]

وأن يتحلى المعلم بالحلم والعفو والتواضع لمن أخطا في حقه وكان قادرة على المجازاة

بالمثل وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله « قد اغتابه رجل فجاءه يطلب منه العفو فعفا عنه »

كما أن على المعلم أن يكون حليما وعليه أيضا أن يتحلى بالتواضع فقد كانت هذه الصفات من الصفات التي كان الإمام أحمد بن حنبل ﵁ يتحلى بها مع طلابه ومع غيرهم من أصحابه فهذا يحيى بن معين - أحد طلاب الإمام أحمد بن حنبل- يقول: « ما رأيت مثل أحمد بن حنبلصحبناه خمسين سنة ما أفتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير»[٣٣]

على المعلم ألا يتعالي على طلابه بما حصل عليه من علم لأن ذلك صفة من صفة التكبر وقد يؤدي هذا إلى نفور الطلاب منه، ونفورهم منه يعني عدم استفادتهم مما يلقيه عليهم بل عليه أن يسخر سعة علمه ومقدرته في ايجاد الطرق والوسائل التربوية التي تحقق

---

[٣١]- المرجع السابق، ص٢

[٣٢]- المرجع السابق، ص٤

[٣٣]- عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٢٢٩-٢٣٠

اكبر قدر من الفائدة لطلابه «لذا فقد يكون من الأسباب التي تمنع حصول الفائدة من المعلم لطلابه شعوره بالتميز عنهم»[٣٤]

وعلى المعلم أن لا يصيبه بعلمه الغرور يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «ويوم يتخلى العالم عن التواضع يفقد جاذبيته للعلم، وهي الاقبال عليه، ويوم يحسب العالم نفسه مكانة أعلى من العلم لا تبقى له مكانة ولا علم، وبقيت لديه وسائل وصول أو مزاعم علم»[٣٥]

كما أن على المعلم أن يضع خشية الله نصب عينيه دائما في سائر عمله لأن الله يعلم سره وجهره ولا يغفل عن ذلك. يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - «إذا كان التواضع طريق العلم فخشية الله فحواه» ومن ذلك قول يحيى بن كثير «العالم من خشي الله» [٣٦]

أن يلتزم المعلم بالصدق دائما في جميع أقواله وأفعاله، وأن لا يميل إلى الكذب ولو مازحا لأن لذلك أثره السيء على سلوك طلابه فهو قدوة لهم، بل يجب عليه أن يحث طلابه على الصدق، والالتزام به في جميع الأحوال ومهما كانت النتائج، وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لم يؤثر على الصدق شيئا، فكان يتعلمه ويعلمه، اما حين يتعلمه فقد أرسل إلى أبي جعفر الحذاء الصوفي «بالثغر» يقول له: أوصني ، فقال الحذاء: عليك بالصدق فإنه إن قتلك الصدق قتلت شهيدة، وان عشت عشت سعيدة[٣٧] .

كما أن على المعلم أن يوجه تلاميذه إلى كمال الصفات، وجميل الأخلاق، التي يمتاز بها المسلم؛ لأن ديننا الإسلامي يحثنا على الالتزام بذلك في شأننا كله، ومن هذه الصفات: العقل الحياء، الحلم، الادب، المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها بالمساجد، بر الوالدين، صلة الرحم بذل المعروف، حفظ الجار، ترك التكبر، ولزوم الجماعة، والوقار، وغض البصر عن الحرام، وبذل السلام، وبر طلاب العلم، واحترام العلماء وتقديرهم، وصدق الحديث، وحسن استقبال الانسان لأخيه المسلم في طلاقة الوجه وإكرام الجليس، الإنصات للحديث، وكتمان السر، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، واجلال الكبير، والرفق بالصغير، والرأفة والرحمة بالمسلمين، والصبر عند البلاء والشكر على الرخاء، ومن كمال الفترة الخشية الله ﷻ فيحسن بطالب العلم أن يتحلى بهذه الأخلاق وغيرها من الأخلاق والآداب الاسلامية وهذه بعضها، وقد كان سفيان الثوري شيخ الإمام

---

[٣٤]- عبدالقادر الدمشقي بن بدران: (المدخل إلى مذهب الإمام أحمدبن حنبل) تصحيح وتقديم د. عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٨١م، ص٤٥٦.

[٣٥]- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص٥٧

[٣٦]-المرجع السابق، ص٥٧

[٣٧]- عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص٢٧

أحمد بن حنبل– يعلمها طلابه، وإذا سئل عن الفتوة «وقد كان الإمام أحمد بن حنبل كذلك قال ذلك : بشر الحافي»[٣٨]

أن لا يؤثر المعلم نفسه على تلاميذه في مجلسه، ولا يكون مرتفعة عنهم الا لحاجة من كثرة الطلاب وكبر الفصل حتى يستطيع مشاهدة جميع الطلاب ومنع الفوضى داخل الصف او القاعة وألا يجلس في ظل وتلاميذه في الشمس، كما يجب التناصح بين المعلمين، وأن تكون النصيحة بأسلوب مقبول، وقد لاحظ الإمام أحمد بعض المشايخ في عهده وهو يحدث تلاميذه في الظل بينما تلاميذه في الشمس واسدي اليه الإمام أحمد بن حنبل نصحا بأن لا يجلس في الظل وطلابه في الشمس وطلب منه أن يجلس مع الناس، فهذا هارون بن عبدالله الحمالي يحدث بذلك فيقول: «جاء لي أحمد بن حنبل بالليل، فدق الباب علي، فقلت من هذا فقال: أنا أحمد، فبادرت اليه وبعد التحية قلت له: حاجة يا أبا عبدالله ؟ قال نعم: شغلت اليوم قلبي، قلت: ماذا

يا ابا عبدالله ؟ قال جزت عليك وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى، إذا قعدت فاقعد مع الناس»[٣٩].

ومن الصفات المطلوبة في المعلم وهي مطلب أساسي، أن يخاف الله في السر والعلانية وان يقوم بحقوق الله كاملة لانها من صفات المؤمنين، وأخص تلك الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المعلم صفة الأمانة لعظمها وأهميتها، وهي التي أبت حملها السموات والأرض والجبال، على عظمها وكبر حجمها، خوفا منها ومن مسئوليتها، وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا، ذلك الانسان الضعيف، وما ذلك إلا لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالي، وتكون صفة الأمانة في جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان المؤمن، الظاهرة والباطنة، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يحث المعلم على أن يلتزم بهذه الصفة مع طلابه، من حسن تعليمهم والعناية بهم، واتباع ما يراه من طرق تربوية مناسبة لمستواهم العلمي والزمني، وأن يحسن أدبهم وتعليمهم، لأنه راع الهم ومسئول عنهم أمام المسئولين عنه، وأمام الله الذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

يقول الإمام أحمد«وأن يحسن أدبهم وتعليمهم لأنه راع لهم وغدا مسئول عنهم يقصد المعلم» [٤٠]

ويجب على المعلم الا يكل ولا يمل عن التعليم بسبب ما يواجهه من طلابه وعدم تجاوبهم معه وما يواجهه من المسئولين عنه وعدم مراعاة الظروف المحيطة به، وما يواجهه من المجتمع وعدم اهتمامهم به وتقدير العمل النبيل والرسالة العظمى التي يقوم بها

---

[٣٨]- عبدالرحمن بن الجوزي: مرجع سابق،ص١٢٠

[٣٩]- المرجع السابق، ص٢٢٠

[٤٠]- أحمدبن حنبل: الصلاة وما يلزم فيها، مرجع سابق، ص٨

لأن مهنة المعلم من أشرف المهن، ولأن العلماء هم ورثة الأنبياء الذين بعثهم الله إلى أمهم لتعليمهم وقد قال الرسول ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». [41]

والرسول ﷺ يحث على الإخلاص في العمل مهما كان، فكيف بمهنة التعليم وهي التي تنير الطريق أمام طلاب العلم، وتخرج للأمة أجيالا هي عماد نهضتها وتقدمها ورقيها فمع عظم ما يقومون به، فإنهم مسئولون مسئولية عظمى أمام الله ﷻ أولا وأمام المسئولين عن إعداد هذه الأجيال إعدادا صالحا سليما، لما فيه خير دينهم وأمتهم وحتى يكونوا شبابا صالحين نافعين لخدمة دينهم وبلادهم. .

والإنسان ضعيف قد يشعر في بعض الأوقات بحال من الضيق والملل من عدم تقدير جهوده والإحساس به ممن حوله، وهذا يؤدي به إلى الشعور بعدم استطاعته الاستمرار في عمله على الوجه المطلوب، ولكن يجب عليه أن يصبر ويتحمل ذلك ويجعل عمله خالصا لله لأن في ذلك أجر عظيم ومع عظم المشقة يكون الأجر الكبير بإذن الله، وقد قال الرسول ﷺ في اليد التي تورمت من كثرة العمل «هذه يد يحبها الله ورسوله»

أن يجعل المعلم درسه متسما بالوقار والاحترام المتبادل بين المعلم وتلاميذه «وهذا ما كان عليه مجلس الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقد كان مجلسه يتسم بالاحترام والوقار»[42] وهذه الصفة تميز مجلس العلم عن غيره من المجالس، بحيث يحترم الطالب أستاذه ويقدره ويهابه كذلك المعلم يحترم تلاميذه ويقدرهم ويحترم أراءهم ومشاعرهم، ولا يؤذيهم فيها، وقد كان الإمام أحمد خاشعا في العلم خشوع تلاميذه، وبخشوعه هذا يعطي مجلس العلم هيبة واحتراما للعلم والمعلم»[43]

✍ الجانب السلوكي للمعلم

المعلم قدوة لطلابه يفرض احترامه عليهم، له شخصيته وهيبته ووقاره، لذا عليه أن يغرس في نفوس تلاميذه حبه واحترامه وتقديره، واحترام الإنسان الأكبر منهم سنا كما أن على المعلم أن يحترم طلابه ويكن لهم كل مودة وتقدير، وهذه كانت من أخلاق الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «فقد كان يحترم طلابه ويكرمهم» [44]

يتصف مجلس العلم بالخشوع والوقار والاحترام المتبادل بين المعلم وتلاميذ، لأن للعلم مكانة عظيمة ولا تتم الفائدة من مجلس لا يتصف بالوقار والاحترام وفي ذلك إجلال للعلم وللعالم نفسه، لذا على المعلم أن يجعل مجلسه مجلس وقار واحترام لأن ذلك من إجلال

---

[41]- أبو داؤد، سليمان بن الأشعث، "٢٠٢-٢٧٥" سنن أبي داوود، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٣، ص١٩٤
[42]- عيد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص٤
[43]- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص٩٩
[44]- عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٨٤

العلم قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «أول ما يبده الناظر من اجلال العالم وقار مجلسه» [٤٥].

وعلى المعلم أن يكون ذا شخصية مميزة غير مقلد ومتابع لغيره. ورسول الله ﷺ قد سن سننا متواترة بعمله وسجلها بقوله للناس «لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم..

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الأوزاعي ولكن خذ الأحكام من حيث أخذوا»[٤٦]

المعلم هو المربي الأول للطالب بعد الله ثم أسرته، لذلك يجب أن لا يتصف بالشدة والقسوة والا يتصف بالتساهل والأهمال بل يجب أن يستخدم الحكمة والحلم والشدة كل في وقته المناسب، وعند توجيه نقد أو نصح لطالبه عليه أن يسوق ذلك النصح في أسلوب لين حكيم دقيق حتى لا يسبب لطالبه إحراجا وهذا ما كان يتصف به الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله»[٤٧] يحسن بالمعلم أن يتفقد تلاميذه ويسأل عنهم عند غيابهم، ويطيب خواطرهم إذا كان هناك ما يستدعي ذلك مثل مرض طالب أو ولي أمره ... فقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله- يتفقد تلاميذه، ويعودهم إذا مرضوا ومنهم أحد تلاميذه (بقي بن مخلد) وكان أبعد تلاميذه دارا مرض ذات يوم فعاده الإمام أحمد بن حنبل، في مكان إقامته، وبشره بثواب الله، حيث قال: «يا أبا عبدالرحمن أبشر بثواب الله، أيام الصحة لا سقم فيها، وأيام السقم لا صحة فيها، أعلاك الله العافية، ومسح عنك بيمينه الشافية»[٤٨]

من صفات المعلم الجيد كرم النفس، وحسن المعاملة، والتأدب مع من يخاطبهم والإعراض عن اللغو القبيح، لا يسمع منه إلا خيرا، كثير المذاكرة لطلابه، يحثهم على تقوى الله وطاعته، كثير الذكر لله، يذكر الصالحين ليكون ذلك دافعا لطلابه على الإقتداء بهم، زاهد في الدنيا ، وقورا، باشا عند مقابلته لطلابه، متواضعة لطلاب العلم شديد التواضع لمشايخه فقد كانت هذه بعض صفات الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مجالسه مع طلابه [٤٩]

وأن يتصف المعلم بالحلم والحكمة، وعدم التعجل أو الحقد، وأن يكون عادلا بين طلابه لا يؤثر بعضهم لأمر من أمور الدنيا، وأن يكون متواضعا، يخاف الله في السر والعلن، دائم البشر، لين الجانب، ليس فظة ولا غليظة، يحب في الله ويبغض في الله وأن

---

[٤٥]- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص٥٨
[٤٦]- المرجع السابق، ص٢٤٣
[٤٧]-عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص ١٢٩
[٤٨]- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص٤٦
[٤٩]- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢١١

يحب لغيره ما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكرهه لها، وأن يأخذ على يد الظالم ومنعه من الظلم، حسن الحوار صبورة على الأذى، وان لا يكون سريع الغضب وهذه بعض الصفات التي كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يتحلى بها[٥٠]

المعلم عليه مسئولية عظمى، ودوره في بناء المجتمع وصلاحه عظيم ، فلصلاح المعلم دور كبير في صلاح المجتمع، مهمته إنسانية نبيلة ، وهي مهمة عظيمة، لا يقتصر عمله على تعليم تلاميذه وتدريسهم المواد الدراسية المقررة فقط، وانما له دور هام أخر هو النصح والإرشاد، لتلاميذه لكل ما فيه خير لهم ، دائم التفقد أحوال تلاميذه يحثهم ويرشدهم لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، حريص عليهم، أشد الحرص، وتكون مسئوليته أعظم إذا كان ذلك فيما يختص بتعليمهم أمور دينهم وتوضيحها لهم، وعليه عدم السكوت أو التهاون في النصح والإرشاد .

فقد كان الإمام أحمد رحمه الله شديد الحرص على إرشاد الناس عامة وتلاميذه وأهل بيته خاصة. لما يهمهم من أمور الدين والدنيا ، فقد صلي الإمام أحمد بن حنبل مع قوم ورأى من يسابق الإمام في الركوع والسجود ... وبعد نهاية الصلاة تكلم فيهم وحثهم على عدم تكرار ذلك «موضحا لهم خطورة ذلك العمل، ومرشدهم إلى الصواب، والطريقة الصحيحة لأداء الصلاة وموضحا لهم الأدلة اللازمة والبراهين من أحاديث الرسول ﷺ[٥١]

قيام المعلم بتعليم تلاميذه أمور دينهم وتطبيقها عملية أمامهم ما أمكن ذلك واجب عليه وليس من باب التطوع أو المعروف لأنه إن قصر في شيء من ذلك فهو محاسب أمام الله وهو مسئول مسئولية مباشرة عن الإهمال في ذلك، أو التراخي فيه، أو عدم تعليم تلاميذه تلك الأمور الدينية ، تعليما صحيحا، والتأكد من فهمهم وحسن تطبيقهم لها، وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - في ذلك قول الرسول ﷺ «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه» «فلولا أن تعليم الجاهل واجب على الإمام والمعلم لازم له وفريضة عليه وليس بتطوع لما كان له الويل في السكوت عنه، والله لا يؤاخذ من ترك التطوع عنه وترك تعليمه»[٥٢]

فعلى المعلمين أن يتقوا الله في تعليم تلاميذهم فإن تعليمهم فريضة وواجب لازم والتارك أو المتهاون في ذلك مخطيء وأثم. لأن المعلم إختار لنفسه هذه المهنة الشريفة وهذا العمل النبيل وهو عمل الأنبياء، والعلماء ورثة الأنبياء، فيجب على المعلم أن يؤدي عمله على أفضل وجه، وأن لا يركن إلى الكسل والإهمال، لأنه محاسب على تقصيره وإهماله، أشد الحساب أمام الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

٥٠- المرجع السابق، ص٢١٨

٥١- أحمدابن حنبل (المسند) شرح وفهرسة أحمدمحمد شاكر ، القاهرة دار المعارف بمصر ،١٣٥٦، ص٢

٥٢- المرجع السابق،ص٢

كما أن على المعلم أن يهتم بحسن مظهره، ونظافة ملابسه، والإهتمام بشعر وجهه شاربه ولحيته حتى تعطي شخصيته الاحترام والوقار والتقدير، وان تكون ملابسه ساترة غير شفافة توضح جسمه من خلفها، «وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يلبس إزارا غليظا لكنه أبيض نظيف ، وكان يتعهد نفسه في شاربه وشعره»[٥٣]

وقال ابن أبي حاتم، ذكر عبدالله بن عمر البكري قال: سمعت الميموني يقول: ما أعلم أني رأيت أحدا أنظف ثوبا، ولا أشد تعاهداً لنفسه، في شاربه، وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبا، وشدة بياض من أحمد بن حنبل

✍ المعلم قدوة لطلابه

لكل هدف وغاية طريق توصل اليها، وحيث إن التعليم من أشرف المهن مكانة، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ولهم الدرجة الرفيعة، والمنزلة العالية، قال رسول الله ﷺ «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتي النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» رواه الترمذي

وعن عائشة رضي الله عنها قالت «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر » رواه ابن عبد البر في كتابه «الجامع»

وتزداد درجة المعلم رفعة ومنزلته سموا وعلوا إذا هو تحلى بالآداب الرفيعة وتجمل بالحلال الحميدة، بعد أن يكون قد تنزه عن كل ما يخل بمقامه الشريف، ويحط من قدره العالي المنيف»[٥٤]

من الضروري لكل من يقوم بالتعليم من أن يلم بطرائق التدريس وأساليبه، إذ أن المامه بهذه الطرق، وإدراكه لهذه الأساليب يجعل تعليمه موثرة فعالا[٥٥]

للمعلم دور كبير في التأثير المباشر وغير المباشر على تلاميذه، في تصرفاته وأقواله و كيفية تعامله معهم، وأخلاقه، لذا يجب على المعلم أن يكون له قدوة بالمعلمين المسلمين السابقين وبما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، متمسكا بأخلاق الرسول ﷺ وتصرفاته مقتديا وبأساليب التعليم وطرقه التي اتبعها العلماء المسلمون متبعا، وبأخلاقهم وتعاملهم مع طلابهم مقلدا ، وأن يكون عاملا بما يعلم، يبتغي بعلمه وجه الله، مطابقا عمله ما تعلمه، يتبع تعاليم الاسلام ويحث طلابه عليها، ويجتنب نواهيه ويدعو طلابه إلي اجتنابها والابتعاد عنها، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عاملا بما يتعلم ، متبعا بذلك نهج الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا يعملون بما يتعلمون يقول الإمام أحمد«ما كتبت

---

[٥٣]- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص٣٩٧

[٥٤]- أبو بكر الجزائري: العلم والعلماء، جدة، دار الشروق، الطبعة الاولى، ١٤٠٣-١٩٨٣م، ص٣٧

[٥٥]- حسن إبراهيم عبد العال: فن التعليم عند ابن جماعة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥-١٩٨٥م ص٢٠٥

حديثا إلا وقد عملت بـه»[٥٦] والمعلم أشبه مـا يكون بـالطبيب، فالطبيب يعـالج علل وأمراض الجسم، ويصف لهـا الدواء المناسب لهـا ، وبالقدر المناسب، والمعلم يعـالج الجانب الروحي في الإنسـان تلاميذه يعلمهم بمـا جـاء في كتـاب الله ﷻ ومـا ورد من أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ وفي ذلك عـلاج وتلبية لحاجات التلميذ النفسية، يحقق لـه بها الأمن والهدوء والاستقرار النفسي، كما يحقق الطبيب لمريضه بعلاجه الراحة والاطمئنان على سلامة جسمه وشفائه من أمراضه، فالقرآن والسنة علاج للقلوب. قـال تعـالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: الآية ٢٨]

يتحقق العـلاج النفسي، وعـلاج قلب التلميذ، إذا سلك المعلم الطريق الصحيح والاسلوب الأمثل للعلاج، وكان قدوة حسنة لتلاميذه، في جميع ما يقول وما يفعل، فالطالب يقلد معلمه ويحاكيه في جميع تصرفاته، ويعتبرها هي السلوك الصحيح ، فليحذر المعلمون، ويخافوا الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، في تعاملهم وسلوكهم مع تلاميذهم. لأن السلوك الخاطيء قد يتأثر به التلاميذ، ويسلكون نفس السلوك، وإذا كان المعلم يسلك سلوكا غير مناسب، ويتعامل مع تلاميذه بأسلوب ينافي ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، وسيرة السلف الصالح، كان كالطبيب الذي يهيء نفسه للإصابة بالأمراض فيجب الاستغناء عن أمثال هؤلاء يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «إن الدنيا داء والسلطان داء، والعالم طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء لنفسه فأحذره»

والمعلم الصالح هو الذي يعمل بعلمه، ويكون عمله وتصرفاته وأخلاقه متجانسة مع ما تعلمه متمسكا بدينه، ومحافظة عليه، متبعا لسنة رسوله ﷺ وله فيه أسوة حسنة، كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم، مطبقا التعاليم الدين الاسلامي الحنيف فهو المعلم الجدير بالإحترام والتقدير، وهو الانسان الذي يصح أن نطلق عليه اسم معلم، وهو الذي يستحق من أبناء المجتمع جميعا الاحترام والتقدير، ومن تلاميذه السمع والطاعة والتقدير ويستحق من مرء وسيه التشجيع والمكافأة ليس المكافأة المادية وحدها، وإنما المكافأة المعنوية - مثل التكريم بإقامة حفل في نهاية كل عام يتم فيه تكريم المعلمين المثاليين بخطابات شكر، والإشادة بالسلوك الحسن الذي سلكوه حتى يكون ذلك دافعا لغيرهم، للسير في نفس الطريق، والاستفادة من أعمالهم، والإهتداء بالنور الذي أنار لهم الطريق.

وبذلك يوجد المعلم الصالح، ويعمل كل من لديه نقص بكل جد وإخلاص للابتعاد عنه والاستزاده مما هو طيب ومفيد له في دينه، ولمجتمعه في تربية أولاده تربية إسلامية

---

[٥٦]- أحمدبن احنبل، الصلاة وما يلزم فيها، مرجع سابق، ص٧٣

صحيحة. يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «صاحب الحديث عندنا من يعمل به»[٥٧] يكون هناك عالم بارع لا يشق له غبار في مجالات الحياة، ولكن في العلوم الشرعية وخصوصا ما يتعلق بالعقيدة يحدث منه بعض النقص، فالأولى، الإهتمام أو بالعقيدة الإسلامية وتعلمها، ثم تطبيقها لأنها الأساس، ثم يتعلم المسلم بعد ذلك ما يشاء من العلوم بحيث يخدم دينه بتلك العلوم ويستعملها في طاعة الله ﷻ

آداب المتعلم

✍ الصفات التحصيلية لطالب العلم

أن يكون هدف طالب العلم من العلم وجه الله، وان يعرف أنه إذا قصد بتعليمه وجه الله كان له أجر وكان طلبه للعلم عبادة، وأن يبذل في طلبه للعلم كل جهده، لأن العلم لا يحصل عليه بالكسل والخمول والإهمال، وإنما يتم الحصول على العلم بالجد والمثابرة والصبر «لأن العلم لا يعطيك بعضه إلا أن تعطيه كلك»[٥٨].

ألا يكون طلب العلم بهدف الحصول على مؤهل معين أو عمل معين، وإنما يكون الهدف من العلم الاستفادة والتعرف على آدابه وفنونه، وألا ينقطع عن القراءة والاطلاع بمجرد حصوله على المؤهل، بل عليه الاستمرار، والاستزادة من العلم، ومما هو جديد في تخصصه خاصة، ومجالات الحياة الأخرى عامة، وقد كان الإمام أحمد حريصا أشد الحرص على طلب العلم والاستمرار فيه ، حتى بعد أن بلغ منزلة عظيمة وأصبح إماما للمسلمين، فقد قال كلمته المشهورة «مع المحبرة إلى المقبرة»[٥٩]

وعلى طالب العلم الاهتمام بطلب العلم والسعي الحثيث في سبيل تحقيق ذلك الطلب وتحمل المشاق والمصاعب لتحقيق ذلك، كما أن عليه الرجوع الي المصادر والاستفادة منها حسب قدراته ومستوي تحصيله وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يحث على طلب الإسناد من علو وكان يرى أن ذلك من سنة السلف وكان يقول: طلب علو الاسناد من السنة[٦٠]

وعلى طالب العلم عدم الانصراف عن النصوص الحقيقية والمصادر الأساسية للعلم من الكتاب والسنة إذا كان علمه من الشريعة الإسلامية - وعدم الانصراف الى اقوال واجتهادات لم تصدر عن معصوم»

٥٧- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص١١١
٥٨-المرجع السابق، ص٥٦
٥٩- عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٨٤
٦٠- المرجع سابق، ص٤٩

اللغة العربية هي لغة القرآن، وفيهمها والتعمق فيها يفيد طالب العلم في التعرف على الدين والتعمق فيه وفهمه الفهم الصحيح، لذا يري الباحث أن على طالب العلم مهما كان تخصصه أن يأخذ بقسط وافر من دروس اللغة العربية، ما يساعده علي التحدث السليم بها ولفهم مصادر الشريعة الإسلامية، وقد كان السلف الصالح يهتم باللغة العربية أشد الاهتمام كما كانت قريش قبل الاسلام تهتم باللغة العربية والفصاحة، فقد كانوا يرسلون أولادهم إلى البادية بعد ولادتهم بقليل لتقويم السنتهم ولتعلم اللغة العربية الفصحى من سكان البادية ومن أرسل للرضاعة في البادية، سيد الثقلين وأفضل خلق الله نبينا محمد ﷺ . وهذا مما يجعلنا معلمين وطلابا تهتم باللغة العربية اهتماما بالغة. واللغة العربية من العلوم التي كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يهتم بها ويوليها عنايته حتى أصبح إمامة فيها كما يقول الشافعي

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر»[٦١] وهذا يوضح مدى اهتمام الإمام أحمد وحرصه على طلب العلم حتى بعد أن أصبح إماما ومن الأئمة المشهورين في زمانه، فلم ينقطع عن طلب العلم حتى وفاته، وبذلك يوضح لنا قيمة العلم، وأنه لا يقتصر الانسان عن طلبه للعلم بمجرد حصوله على مؤهل معين أو عمل معين مهما كانت قيمة ومكانة ذلك العمل.

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو إمام المسلمين عن أفضل الأعمال فقال «طلب العلم لمن صحت نيته، فيسأل تلميذه، وأين تصحيح النية ؟ فيجيبه: ينوي بتواضع فيه وينفي عنه الجهل »[٦٢]

والتدوين مما يساعد على حفظ العلم من الضياع والنسيان فعلى طالب العلم أن يهتم بتدوين ما يتعلمه أولا بأول، لأن في ذلك حفظا للعلم من النسيان والضياع، وهذا الإمام أحمد بن حنبل وهو يطلب العلم بعد أن صار إماما للمسلمين عندما قيل له : وفي يده محبرة، يا أبا عبد الله هذا وأنت إمام المسلمين، فيقول «مع المحبرة إلى المقبرة »[٦٣]

العلم لا غنى لأحد عنه، ولا بد منه، ولا تكون الحياة بدونه حياة سليمة، صاحبها هانيء البال، فالعلم في هذا العصر كالماء والطعام اللذين لا غنى للمرء عنهما، ولا يستطيع الحياة بدونهما ويرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن العلم يتقدم في الأهمية على الماء والخبز فيقول: «الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء، ثم يضيف إن العلم يحتاج اليه في كل ساعة والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين»[٦٤]

---

[٦١]- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق٥٨
[٦٢]- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق ، ص٥٧
[٦٣]- المرجع السابق، ص١١
[٦٤]- المرجع السابق، ص٢٩٧

على طالب العلم أن يتمرن ويعود يده على الكتابة بخط مقروء، وبسرعة مناسبة حتى يحصل علي علم كثير، ولا يفوت عليه شيء من المعلومات التي يلقيها عليه أستاذه وقد أدخر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من هذه التجربة نصحا لتلاميذه وابنائه، فقد قال لابنه عبدالله فيما بعد يوصيه قائلا: «إذهب اكتب في المسجد عن هؤلاء الشيوخ، حتى تخف يدك» مشكلة البطء في الكتابة ورداءة الخط يعاني منها كثير من الطلاب في وقتنا الحاضر لعدم الاستفادة من نصائح العلماء والمعلمين - وخصوصا من يجيدون الخط ويتقنونه ولهذه النصيحة من الإمام أحمد أهمية بالغة، فإن كثيرا من العلم قد ضاع حين صعبت قراءته حتى على أصحابه الذين دونوه إذ لم يستطيعوا قراءتها عند الحاجة اليه ، فغابت عنهم معرفته وكانهم لم يكتبوا شيئا.

أن يتصف طالب العلم بالإهتمام بحاجياته الشخصية والعناية بها، والحرص أكثر على أدواته الدراسية من كتب وأوراق، والمحافظة عليها، وحفظها في أماكن تحميها من التلف أوالفقد أو اللعب بها ، في مكتبته أو دولابه الخاص به (خزائن كتبه). وهذا يعطي مؤشرا على مدى اهتمام الطالب بالعلم والحرص على الاستفادة، وعند الحاجة إلى شيء من تلك الكتب والأوراق للإطلاع عليها يجب أن يعيدها إلى مكانها للإستفادة منها عند الحاجة مرة أخرى كذلك الاهتمام بحفظ الكتب بعد نهاية العام الدراسي، فقد يحتاج الطالب للرجوع اليها في أي وقت، ويرى الباحث أن يخصص للطالب في المنزل مكتبة خاصة به يضع فيها كتبه التي يحتاجها في المراحل اللاحقة. وقد كان الإمام أحمد بن حنبل– رحمه الله - شديد الحرص على كتبه

وأوراقه والمحافظة عليها، يقول عبدالله بن أحمد بن حنبل: نزلنا بمكة دارة وكان فيها شيخ يكنى بأبي بكر بن سماعه - وكان من أهل مكة - قال: نزل علينا أبو عبدالله في هذه الدار وأنا غلام، قال فقالت لي أمي: إلزم هذا الرجل، وأخدمه فإنه رجل صالح ، فكنت أخدمه وكان يخرج يطلب الحديث، فسرقت متاعه وقماشه، فجاء يوما فقالت له أمي: دخل عليك السراق فسرقوا قماشك، فقال: ما فعلت الألواح ؟ فقالت له أمي: في الطاق، وما سأل عن شيء غيرها [٦٥]

يرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن حياة العلم لا تكون إلا بالرحلة إليه، ولا يطلب العلم بالقعود، ولو طلب العلم بالقعود لمات، بل ليست كل رحلة مطلوبة، إلا إذا كانت الى العلم عند الأكابر - كبار العلماء - »[٦٦]

وهذا واضح من الرحلات التي قام بها الإمام أحمد بن حنبل لطلب العلم داخل العراق وخارجه، إلى الحجاز واليمن، وخراسان، والشام وغيرها، رغم ما كان يلاقيه في

---

[٦٥]- عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٤٨

[٦٦]- محمد بن سعد، مرجع سابق، ١٩٨/١

تلك الاسفار من المشقة والعناء، حيث كان يسافر ماشية على قدميه، وكانت عندما تنقطع به المئونة يكري نفسه، أو يعمل بالنسخ من أجل الحصول على نفقته، وكان يرفض الصدقة أو القرضة. قد يكفي طالب العلم، الراغب فيه التلقي من علماء بلد واحد، ولكن إذا كان من الذين قدر الله لهم السعة، والقدرة على الاستبحار في العلم، فإنه لا يكفيه الا أن يطلبه عند كل معلم، وفي كل بلد يستطيع الوصول اليه، وعليه أن يتحمل في ذلك كل ما يقابله من مصاعب ومشاق. وهذا ما فعله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقد رحل عدة بلدان ومدن سيرا على الأقدام متكبدة مشاق السفر ومتاعبه في سبيل تحقيق رغبته لطلب العلم ، وقد تحقق له ما يريد وأصبح إماما من كبار أئمة المسلمين. وقد لوحظ عليه بعد عودته من طلب العلم من اليمن أثر ذلك التعب والترحال من شحوب الوجه. فقال أحمدبن إبراهيم الدورقي «يا أبا عبدالله لقد شققت على نفسك في خروجك إلى عبد الرزاق - في اليمن - فقال الإمام أحمد رحمه الله: ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبدالرزاق»[٦٧]

وأن يهتم طالب العلم بتقسيم وقته بين العلم ومتطلبات أسرته، ومتطلباته الشخصية بحيث لا يطغى جانب على أخر، حيث يخصص وقتا لطلب العلم، ومراجعته وتدوينه ويخصص أخر لقضاء متطلبات أسرته والعناية بهم وتوفير احتياجاتهم، ويخصص وقتا القضاء متطلباته الشخصية، ولراحته، «وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ينظم وقته بين طلب العلم ومتطلبات أمه، والجلوس معها ومؤانستها»[٦٨]

الحفظ يكون مهما في بعض فروع العلم، إذ لا يكفي الطالب فهمها بل لا بد من حفظها ومن ذلك حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والأحكام ... وهذا الحفظ يقوي ملكة الحفظ لدى الطالب لذا لا بد من حفظ العلوم . ويرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «أن ملكة الحفظ لها دور كبير في التعلم، وتلك الملكة من الحفظ وضعت الإمام أحمد بن حنبل في قمة أفذاذ الحفاظ في هذه الأمة ، فلم يجرؤ أحد أن يرتقي اليه فيه»[٦٩]

كما أن على طالب العلم الاهتمام به والتفرغ له، تفرغا تاما، وأن يوليه جل اهتمامه وعنايته الفائقة، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله متأثرة بالقاضي أبي يوسف، حيث كان يقول في تحصيل العلم «العلم شيء لا يعطيك بعضه، حتى تعطيه كلك، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرار»[٧٠].

على طالب العلم البحث عنه في كل مكان، ولا يكتفي بطلبه في مكان محدد، وعليه أن يطلب العلم ممن لديه القدرة على إفادته مهما كان، وألا يتعالى على من عنده العلم، ولو

---

[٦٧]- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٣٢
[٦٨]- عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق. ص١٠١
[٦٩]- المرجع السابق،ص١٠٢
[٧٠]- المرجع سابق، ص١٣٩

كـان عبـدة مملوكـا فقد كـان الإمـام أحمـد بـن حنبـل– رحمـه الله - يـذهب إلـى العلـم حيـث شـيئا العلم ولم يتحرج أن يأخذ عن صغار العلمـاء وإن كـان أثـر العـوالي - الأخذ عن علـو مـن كبـار العلماء فقد كان زين العابدين بن علي بن الحسين حين لامـه نـافع بـن جبيـر عـن أخذه العلم مـن زيد بن اسلم وكان عبدا فأعتق - فقال له زيـن العابـدين: يـا نـافع إنـه ينبغـي للعلم أن يذهب اليـه حيث كان»[٧١]

مـن الاهتمـام بطلـب العلـم الحضـور إلـى مجلسـه مبكـرا وعـدم التـأخر لمـا يسـببه التـأخرمن خسـارة علـى الطالـب بفقد أجـزاء مـن المعلومـات هـو فـي أمـس الحاجـة إليهـا، ولمـا يسببه للمعلم ولزملائه من انقطـاع سلسلة الأفكـار وانشغالهم بـدخول زميلهم المتـأخر. لذا علـى طالـب العلـم الحضـور مبكـرة وعـدم التـأخر عـن طلـب العلـم، وبدايـة الـدرس، ويتخـذ مـن السـابقين الـذين كـان لهـم اهتمـام عظـيم ، وتقـدير للعلـم، ومـنهم علـى سـبيل المثـال، الإمـام أحمـد بـن حنبـل رحمـه الله فقد كـان يحـرص أشـد الحـرص علـى الحضـور مبكـرة إلـى شـيخه حيـث يقـول فـي ذلـك: «كنـت ربمـا أردت البكـور - إلـى الشـيخ - فتاخـذ امـي بثيـابي، وتقـول حتـى يصبح الناس، أو حتى يؤذن»[٧٢]

لا بد لطالب العلم من الجد والتعب والسهر حتي ينـال مـا يطلبـه، ويحقق مـا يتمنـاه، من حصوله علـى الـدرجات العلميـة العاليـة، وطلـب مـا هـو مفيـد مـن العلـم، قـال سـليمان بـن أحمـد سمعت عبدالله بن أحمد بـن حنبـل يقـول: «كنـت جالسـا عنـد أبـي - رحمـه الله - يومـا فنظـر إلـى رجلي وهما لينتـان ليس فيهمـا شـقاق، فقـال لـي: مـا هـذه الـرجلان، لـم تمـش حافيـا حتـى تصـير رجلا خشنتين»[٧٣]

قال سليمان بـن أحمـد حدثنا عبدالله بـن أحمـد حـدثنا أحمـدبن ابـراهيم الـدورقي قـال: لمـا قدم ابـن حنبـل مكـة مـن عنـد عبـدالرزاق، رأيـت شـحوبا، وقـد تبـين عليـه أثـر النصـب والتعـب فقلـت: يـا أبـا عبـدالله، لقـد شـققت علـى نفسـك فـي خروجـك إلـى عبـدالرزاق، فقـال: مـا أهـون المشقة فيما استفدناه من عبدالرزاق.

كمـا أن علـى طـلاب العلـم مهمـا كانـت تخصصـاتهم العلميـة الاهتمـام بعلـوم الـدين لأنهـا اساس عقيدتهم ، وعبـاداتهم السليمة، وكذلك الاهتمـام باللغـة العربيـة، لغـة القـرآن الكـريم، كمـا أن علـيهم مجالسـة العلمـاء، وأهـل المعرفـة، والسـؤال عمـا لا يسـتطيع الطالـب فهمـه «فقـد كـان الإمـام أحمـد بـن حنبـل رحمـه الله مـع اهتمامـه بـالحديث، لا ينسـى العلـوم الأخـرى، وخصوصـا

---

[٧١] - المرجع السابق، ص٢٧٠

[٧٢] - عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٩

[٧٣] - الأصبهاني، مرجع سابق، ص١٨٤

اللغة العربية، والنحو، لان ذلك كان يحميه من اللحن في اللغة والتصحيف، وكان يجلس إلى أهل العلم والمعرفة بها»[٧٤]

✍ أخلاق طالب العلم

أن يقتدي طالب العلم بالصالحين، في أخلاقهم وعاداتهم، وسلوكهم، والعمل على محاكاتهم وتقليدهم، مع الإشادة بهم والاعتراف بفضلهم، وما وصلوا إليه من أخلاق فاضلة وصفات حميدة، فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما ذكر له أخلاق الصالحين قال: «أسأل الله أن لا يفتنا، أين نحن من هؤلاء»[٧٥]

احترام المعلم مطلب أساسي لطالب العلم ويدل علي حسن تربيته وكرم أخلاقه وحبه وإخلاصه في طلب العلم، وقد كان أحب الناس إلى الإمام أحمدوأفضلهم عنده، وأجدرهم بتعظيمه، المحدثون قال رحمه الله «أصحاب الحديث أمراء العلم» وقال رحمه الله «من عظم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله» وقال لأصحاب الحديث: «هذه سرج الإسلام، وحيث إن طلب العلم في ذلك العصر كان يتركز أكثر على العلوم الشرعية فقد كان العلم في الدين عند الإمام أحمد هو جمع السنة وفهمها واستخراج الأحكام التفصيلية منها»[٧٦]

أن يعرف طالب العلم قيمة العلم الذي يطلبه كما يتعلم احترام المعلم وتقديره، وأن يعترف بالفضل لأهله، وهذا يتفق مع الأخلاق الإسلامية، وبذلك يتأدب طالب العلم مع شيخه واستاذه، لأنه لا علم لمن لا يتواضع لمعلمه ويقدره، وفي الأثر «تواضعوا لمن تتعلمون منه» وفي إجلال طالب العلم للمعلم إجلال للعلم ذاته يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «إجلال العالم وإجلال العلم صنوان»[٧٧]

ومن آداب احترام المعلم وتقديره، عدم رفع الصوت عنده، أو استخدام الألفاظ والعبارات التي لا تدل على الاحترام والتقدير والتأدب، وهذا ينافي احترام العلم. وقد كان الإمام أحمد بن حنبلمثلا أعلى في تأدبه مع مشايخه، احتراما لهم ولعلمهم قال عمروالناقد كنا عند وكيع بن الجراح، وجاء أحمد بن حنبل فجعل يصف من تواضعه بين يديه - وكيع بن الجراح قال عمرو فقلت: يا أبا عبدالله، إن الشيخ يكرمك

فما لك لا تتكلم ؟ قال: «إن كان يكرمني فينبغي لي أن أجله »[٧٨]

ومن تواضع طالب العلم للعالم «أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله جاء إلى خلف بن هشام يسمع حديثا ، فاجتهد «خلف» أن يرفعه فأبي وقال: «لا أجلس إلا بين يديك أمرنا

٧٤- عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص٣٤
٧٥- أحمدبن حنبل، كتاب الورع، مرجع سابق، ص٣
٧٦-عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٤٩
٧٧- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ٥٨
٧٨- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٧٥

أن نتواضع لمن نأخذ عنه العلم ». وقال قتيبة بن سعيد: قدمت بغداد وما لي همة إلا أن ألقي أحمدبن حنبل، فإذا هو قد جاءني مع يحيى بن معين فتذاكرنا، فقام وجلس بين يدي فقلت: يا أبا عبدالله اجلس مكانك فقال لا تشتغل بي، إنما أريد أن أخذ العلم على وجهه»

على طالب العلم احترام المعلم والعلم الذي يتعلمه، وأن يكون مجلس العلم متسما بالوقار والاحترام، من التلميذ لمعلمه وتقديره، «هذا ما كان يفعله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله»[٧٩]

كما أن على طالب العلم أن يكون الصدق دابه في جميع أحواله ، وأن يلتزم به مهما كانت نتائجه ، وهذا ما يجب أن يزرعه المعلم في نفوس تلاميذه ويحببهم اليه ، فقد قال أبو جعفر الحذاء للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «عليك بالصدق فإنه إن قتلك ، قتلت شهيدا وان عشت عشت سعيدا»

وينبغي لطالب العلم أن يتحلي بالورع، والتقوى، والخوف من الله، وأن يبتعد عن الصفات الذميمة ، والأخلاق السيئة، والعادات القبيحة على اختلافها ومنها النفاق، ونقل الكلام أو التجسس على غيره، وهذا هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو غلام «كان عمه قد كتب في جواب يرفع فيه الأخبار للسلطان، فأعطى الكتاب لإبن أخيه أحمدبن حنبل ليدفعه إلى رسول السلطان ، فما كان منه إلا أن رمى به في النهر من ورعه، وقد جعل ابن بسطام يسترجع ويقول عن الإمام أحمد بن حنبل: هذا غلام يتورع ، فكيف نحن»[٨٠]

أن يتحلى طالب العلم بآداب الإسلام، وأخلاقه الفاضلة، حيث إن الإسلام يحث علي مكارم الأخلاق ومنها: العقل والحياء، الحلم والأدب، المحافظة على الصلوات، صلة الرحم بذل المعروف حفظ الجار، عدم التكبر، غض الطرف عن الحرام، بذل السلام، إحترام حملة العلم الصدق في الحديث، اجتناب الحلف وكثرة الأيمان،إظهار المودة، حسن استقبال المرء لأخيه المسلم، الإنصات للحديث، احترام الكبير، والرفق بالصغير، الرأفة والرحمة بالمسلمين الصبر عند البلاء، الشكر عند الرخاء، وهذه بعض الخصائص التي كان يتحلى بها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يقول بشر الحافي : كان الإمام أحمد بن حنبل فتي لأنه جمع هذه الخصال[٨١]

أن يكون الطالب العلم شخصيته المستقلة المميزة ولا يقلد أو يحاكي غيره، ولا يكون صورة له في أعماله وأقواله وتصرفاته، يتحلى بمكارم الأخلاق التي حث عليها ديننا الإسلامي ويبتعد عن الأخلاق التي لا يرضاها الإسلام، كما أن عليه ان لا يقبل كل ما يلقى عليه أو يسمعه من العلم وخصوصا من الذين ليس لهم صلة وثيقة أو إلماما كاملا

---

[٧٩]- عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص٤

[٨٠]- عيد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٢

[٨١]- المرجع السابق، ص١٢٠

بالعلم ، بل عليه الرجوع إلى المصادر والمراجع التي يمكن أن يستفيد منها، ويتأكد من صحة ما يعطى من معلومات أو ما يسمعه - من غير أساتذته - وقد نبه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى ذلك فقال لأحد تلاميذه: «لا تقلد دينك الرجال، فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا، ومن ترك الحديث وأخذ بقول الرجال فقد ترك من لا يخلط الي من يغلط، لأن في التقليد إبطال منفعة العقل، لأنه خلق للتأمل والتدبر، «وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها، أن يطفئها ويمشي في الظلمة»

وعلى طالب العلم أن يتصف بالجد والصدق في طلب العلم، والحرص عليه، كما يتصف بالهدوء،عند طلب العلم وأن لا يرفع صوته على معلميه وزملائه، وهذا ما كان يتميز به الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بين أقرانه، يتصف بسمت وجد، ونية صادقة، من غير صخب ولا ترفع وقد ورث صفات أبيه وجده من امتلاك النفس، وغلبة الصمت على الكلام[٨٢]

✍ الصفات السلوكية لطالب العلم

على طالب العلم الإعتماد على نفسه بعد الله في كسب رزقه، وألا يكون عالة على والديه، خاصة عندما لا تكون لديهما القدرة على الإنفاق عليه، يصف أحد العلماء الصالحين واسمه (أيوب النجار) يصف عمله عندما يأتي مكة، كيف أنه يعتمد على نفسه في شرب ماء زمزم ، فيحضر معه رشاء (حبل) يستقي به من بئر زمزم ويتحدث الإمام أحمد بن حنبل عن ذلك العالم القدير فيقول: «قد رأيته بمكة ومعه رشاء (حبل) يستقي به من بئر زمزم - قد خرج من ماله»

وكان يزيد بن زريع أحد العلماء الصالحين في عهد الإمام أحمد بن حنبل، لا يأكل الا من عمل يده، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «إن يزيد بن زريع تنزه عن خمسمائة الف من إرث كان له، وكان يعمل الخوص»

كما أن على طالب العلم طاعة والديه - وهي واجبة على المسلم - وقد أمر الله بطاعتهما والبر بهما والإحسان إليهما، وقرن ذلك بعبادته سبحانه قال تعالي: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٢٣]

٨٢- عبدالحي بن عماد الحنبلي (شدرات الذهب في أخبار من ذهب) بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، الجزء الثاني، ص٣٣

وقد وضح الإمام أحمد بن حنبل الطالب العلم ما يجب أن يعمله تجاه طلب العلم وكيف يوفق بين طلبة العلم وطاعة والديه فقال: « إن كان طالب العلم جاهلا لا يدري كيف يصلي فطلب العلم أوجب، وإن كان قد عرف، فالمقام عليها - يعني الام - احب إلي، قال السائل: فإن كان يرى المنكر ولا يقدر أن يغيره، قال : يستاذنها فإن أذنت له خرج»[83]

أن يكون المجلس العلم من الهيبة والوقار والإحترام ميزة خاصة ، يحترم فيها طالب العلم معلمه وأستاذه، ويقدره ويوقره، كما يحترم زملائه ويراعي مشاعرهم وأن تتسم قاعة العلم بالسكينة والوقار، لا يكثر الطالب من المناقشات الغير مفيدة، ولا يقاطع أو يعارض استاذه أو أحد زملائه، بل يحترم أراءهم ويناقشهم فيها بموضوعية، وتعقل واحترام، ولا يجرح مشاعرهم أو يزعجهم ويشغلهم عن الدرس أو يضيع الوقت فيما لا فائدة منه «وقد كان تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله خشع بين يديه، يهابون أن يردوه أو يحاجوه وغيرهم له أهيب»[84]

وأن يجالس طالب العلم من هو في مستواه العقلي وعمره الزمني، أو من هو أفهم منه علما وأفضل، لأن في ذلك تشجيعا له على التفوق، - وخصوصا من يتصفون بالفهم السريع والبديهة الحاضرة، والأكثر حفظا للعلم - خاصة ممن يتصفون بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، فهؤلاء لا غنى لطالب العلم، لان في مجالسة هؤلاء ومناقشتهم فائدة عظيمة له.

وأن يحترم طالب العلم أدوات الآخرين وممتلكاتهم - من زملائه - وأن يتادب معهم إذا احتاج إلى شيء منها، وهو بذلك يحترم ملكية الغير، ولا ياخذ منها شيئا إلا بإذنهم وللامام أحمد بن حنبل رحمه الله رأي في ذلك «فهو لم يجز لأحد من الطلاب أن يلتقط أوراقا سقطت من صاحبها وأوجب أن يعرف عنها كاللقطة، فيأخذها صاحبها بعد ردها اليه، كما لم يجز لأحد أن يكتب من محبرة آخر إلا بإذنه ، ثم يكون ذلك دينا يجب قضاؤه»

وعلى طلاب العلم أولا وأخيرا طاعتهم الله ﷻ والبر بوالديهم، وعدم إغضابهم لأن في رضاهما طاعة لله ﷻ ويتحقق لطالب العلم بدعواتهما الخير الكثير والتوفيق بإذن الله فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله « كان لا يطيق السفر كراهة أن تغضب أمه»

طلب العلم يحتاج إلى نوع من الصبر والمثابرة والجد والاجتهاد ، لذا يجب على طالب العلم أن يتصف بتلك الصفات، وأن يتصف بالرجولة والخشونة، وعليه الابتعاد عن التواكل والكسل، والنعومة ويرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله « أن الخشونة لطالب العلم

---

[83] - أحمدبن حنبل، مرجع سابق، كتاب الورع، ص٣١
[84] - عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص٩٩

من وسائل التربية الضرورية، حيث أنه جعل يحث اولاده على تخشين أقدامهم فلا تبقى على لينها»[٨٥] وذلك استعداد للسير في طلب العلم والسفر له.

وأن يتصف طالب العلم بالأدب والحياء واحترام العلم الذي يحمله، وصيانة يده وقلمه عن كتابة ما يشين، أو النظر إلى الحرام، فقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله متادبا حيث كان النساء يطلبنه من معلمه - لما عرف عنه من الأدب والحياء، فيبعثن إلى المعلم، أن بعث الينا، أحمدبن حنبل، ليكتب جوابات كتب أزواجهن، الذين كانوا يرابطون على حدود بلاد المسلمين، فكان إذا دخل اليهن لا يرفع راسه للنظر اليهن، فربما أملين عليه الشيء المنكر فلا يكتبه لهن »[٨٦]

ينبغي لطالب العلم الإلتزام بطاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ كما ينبغي عليه طاعة ولي الأمر، وطاعة والديه، تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالي، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يحرص على طاعة والدته بعد طاعة الله ورسوله فحين قدم جابر بن عبد الحميد وكان من العلماء المشهورين في ذلك العصر وممن أخذ عنهم الإمام أحمد بن حنبل العلم بعد ذلك - قدم جابر بن عبد الحميد بغداد ونزل بالجانب الشرقي من المدينة - وكانت أمواج نهر دجلة عالية في ذلك الوقت، وقد منع أمير بغداد الناس من العبور إلى الجانب الشرقي خوفا عليهم، فركب بعض طلاب العلم النهر الى الشيخ جابر بن عبدالحميد، ولم يفعل ذلك الإمام أحمد بن حنبل طاعة لوالدته، وطاعة لولي الأمر وعندما قال له صاحبه ابراهيم بن هاشم: تعبر ؟ فقال: «لا أمي لا تدعني» فتاخر بذلك عن طلب العلم وحضور مجلس الشيخ جابر بن عبدالحميد، طاعة الأمه وكسبا لرضاها .

طريقة التدريس

لا بد لمن أراد القيام بعملية التعليم أن تكون له دراية، وإلماما ما سوف يستخدمه من طرق لتعليم تلاميذه وهي ما يسمى الآن (طرق التدريس) لأن إلمامه بهذه الطرق، ومعرفته لها تجعل تعليمه مفيدة وموثرة في تلاميذه، وقد اهتم كثير من الباحثين والعلماء في عصرنا الحاضر بهذا الجانب وأولوه عناية عظيمة، لدوره الهام في عملية التربية والتعليم، لأن هذه الطرق تساعد في تسيير عملية التعليم في الطريق الصحيح، وتساعد في الوصول إلى الهدف من التعليم وتحقيقه، كما تساعد المعلمين على سرعة إيصال المعلومات إلى تلاميذهم بالشكل الذي يناسبهم ويدفعهم للاستزادة من العلم، والاستفادة مما درسوه، كما أنها تساعد في تنمية القدرات والاستعدادات لديهم

---

[٨٥]- المرجع السابق، ص١٠٧

[٨٦]- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢١

وأساليب التدريس وطرائقه ليست واحدة في كل عصر، وفي كل مجتمع، بل هي وليدة ظروف وحاجات ومطالب اجتماعية معينة، ومن ثم فهي تتغير كلما تغيرت الأهداف التعليمية والاهتمامات التربوية»[٨٧]

قد تتغير طرق التدريس والأساليب التي يستخدمها المعلم من بلد لبلد، حسب خطط وأهداف كل مجتمع وحاجاته، ولكن تبقى الحاجة ملحة ، لايجاد طريقة يستطيع بها المعلم توصيل ما لديه من معلومات إلى تلاميذه، بأبسط شكل يسهل عليهم فهمه وتختصر الوقت لدى المعلم والمتعلم، فاختلاف الشكل والأسلوب لهذه الطرق لا يفقدها أهميتها، وحتمية وجودها فبدون طريقة معينة يستخدمها المعلم لافهام تلاميذه، لا تتم الفائدة المرجوة، ولا يحصل تعلم ونجاح التعليم في أي بلد وتحقيقه لأهدافه، يبرهن على صحة الأساليب والطرق التي استخدمت في ذلك التعليم ، ونجاح المعلمين في استخدامها الأستخدام الأمثل، ولكل معلم أو شيخ طريقة كما يقولون، لكنها لا تخرج عن إطار ما هو موجود في مجتمعه وبيئته، يتأثر بها، ويؤثر فيها أحيانا .

والمفكر ابن بيئته ونتاج عصره، قد تسمح له قدراته ومواهبه بأن يسبق بفكره عصره وأن يتجاوز ببصره آماده وحدوده، ولكنه مع ذلك يظل مشدودة إلى ذلك العصر مرتبطا بثقافته على نحو ما، رغم ومضات التجديد والإبداع التي تنبض بها أفكاره وآراؤه»

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان أحد العلماء الأفاضل، اشتهر بحبه للعلم وتكبد ما تكبد من مصاعب في الحصول على أكبر قدر من العلم، جعله علما من اعلام العلماء المسلمين المتمسكين بعقيدتهم الإسلامية متبعين ما جاء به الرسول ﷺعن ربه، وقد نجح في عملية التعليم واشتهر، حتى حضر درسه طلاب العلم من شتى أقطار الدنيا من الشرق والغرب، للاستفادة من علمه حيث بلغ عدد طلابه الذين يحضرون درسه في مسجده ببغداد «زهاء خمسة الاف كان منهم قرابة خمسمائة يكتبون»[٨٨]

فالطريقة التي كان الإمام أحمد يستخدمها مع طلابه كانت ناجحة، ولذلك حضر درسه تلك الأعداد الغفيرة من طلاب العلم.

وقد كان الإمام أحمد يستخدم عدة أساليب لتعليم طلابه وحواره مع مخاصميه والرد عليهم، منها أسلوب التقريب، لتوضيح ما يريد توضحيه لطلابه أو لمناظريه. حيث استخدم هذه الأسلوب للجهمية من خلال الرد عليهم في إنكارهم صفات الله ، وفي قولهم «لا تكونوا موحدين أبدأ حتى تقولوا كان الله ولا شيء»، فقال لهم الإمام أحمد رحمه الله « نحن نقول كان الله ولا شيء .... ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف الها واحدة

---

[٨٧]- د/ حسن ابراهيم عبدالعال (فن التعليم عند ابن جماعة) مكتب التربية العربي، دول الخليج ١٩٨٥م،ص٢٠٥

[٨٨]- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢١٠

بجميع صفاته ؟. - وضرب لهم مثلا - فقال : « اخبرونا عن هذه النخلة ، اليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص ؟ واسمها شيء واحد وسميت نخلة يجميع صفاتها، فكذلك الله . وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد»[٨٩]

وعلى المعلم أن يهتم ويبحث عن الطرق التربوية الأكثر فائدة لإكساب طلابه المهارات العلمية التي يرغب في تكوينها، ولا يكون همه وغايته أن يحفظ طلابه ما يلقيه عليهم أو ما يقرؤه لهم دون فهم، وإنما يكون هدفه وغايته أن يتعلم طلابه التفقه في الدين أولا، وأن يعلمهم كيف يستخرجون الأحكام، ويستنبطون المسائل، بحسب أحوالهم ومستوياتهم العمرية والعقلية وهكذا كان نهج الإمام أحمد بن حنبل واسلوبه مع تلاميذه حيث يقول: « لا تكون غاية - الشيخ والمعلم- أن يحفظ طلابه ويجمعون، وإنما تكون غايته أن يعلمهم كيف يستخرجون الأحكام ويستنبطون المسائل، وأن يعلمهم التفقه في دين الله قبل ذلك» توجد طرق عديدة للتدريس وقد يستخدم المعلم أكثر من طريقة في درس واحد بحسب حال طلابه وما يراه يعود بالفائدة عليهم لأن التعليم أمانة عظمى، القيت على كاهل المعلم وعليه أن يؤدي تلك الأمانة على أكمل وجه إذا كان يريد خير الدنيا والآخرة لأنه مسئول عن هذه الأمانة أمام مرؤسيه. وقبل ذلك وبعده امام الله ﷻ وسوف يحاسبه ويجازيه بحسب ما بذله من جهد وإخلاص لتحقيق الفائدة لطلابه لذا فعلى المعلم أن يختار من طرق التعليم بحسب ما يراه موافقا الاستعدادات تلاميذه، وأن يحرص على فائدتهم وإكسابهم اكبر قدر من المهارات المعرفية ، وعدم إهمال الوقت وتضييعه فيما لا يعود عليهم بالفائدة، فالوقت ثمين، وفي ضياعه بدون فائدة ، ضياع لطلابه «وطرق التعليم أمر ذو قية، وأمانة مودعة عند المعلم، فمن أداها أثيب على أدائها، ومن جحدها كان مطالبا بها»[٩٠]

تعليم المرأة

تعتبر الأم المدرسة الأولى لتربية الأبناء، وعلى صلاحها يقوم صلاح الأسرة والمجتمع وهي نصف المجتمع .

وقد اهتم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بالمرأة وأفرد كتابا خاصا باحكام النساء.

كما أن الإمام أحمد رحمه الله «قد روى عن كثير من النساء في المسند بلغ عددهن مائة ونيفا»

ويرى الإمام أحمد بن حنبل ان عمل المرأة لمساعدة زوجها في متطلبات الحياة أو للمساعدة في قضاء حوائجها إن لم يكن لها زوج أمر لا بأس فيه، فقد عملت إحدى

---

[٨٩]- أحمدبن حنبل، الصلاة وما يلزم فيها، مرجع سابق، ص٣٧

[٩٠]- ابن بدران، عبدالقادر الدمشقي: (المدخل إلى مذهب الإمام أحمدبن حنبل) تصحيح وتقديم د.عبد الله عبدالمحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١ ه - ١٩٨١م، ص٢٠

زوجاته رحمه الله - في الغزل لمساعدته في توفير متطلبات أسرته. أخبر عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو جعفر القطان، قال: كان أيام الغلاء يجيئني أبو عبد الله بغزل أبيعه فكنت ريما بعته بدرهم ونصف، ربما بعته بدرهمين، فتخلف يوما فلما جاء قلت: يا أبا عبد الله لم تجيء أمس فقال: أم صالح اعتلت، ودفع إلي غزة قبعته بأربعة دراهم » وحدث صالح بن أحمد بن حنبلقال: قال أبي: كانت والدتك في الغلاء تغزل غزة دقيقة فتبيع الأستار بدرهمين أقل وأكثر فكان ذلك قوتنا » [٩١]

وهو بذلك يرى الإمام أحمد، أن عمل المرأة باليد لا بأس به، وبروايته عن كثير من النساء - في الحديث، يدل على جواز تعليم المرأة، لتستفيد من ذلك في تربية أولادها تربية صحيحة أولا ولمساعدة زوجها في متطلبات الحياة ثانية، وخصوصا في وقتنا الحاضر حيث أصبح تعليم المرأة ضرورة ملحة، لتعليم بنات المسلمين، وكذلك العلاج النساء بدلا من الرجال وقد قيل: طلب العلم فريضة على كل مسلم » والنساء من المسلمين - كما أنه قد روى الحديث عن الإمام أحمد بعض نسائه وبعض نساء طلابه.

ويمكن أن نستنتج مما تقدم أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يرى أن تعليم المرأة لأمور دينها، ولتربية أبنائها، ولمساعدة زوجها لا بأس منه، ولكن بشرط أن لا يؤدي هذا التعليم إلى اختلاط النساء بالرجال، وألا يخرج هذا التعليم عن طبيعة المرأة، وما يحتاجه أبناء جنسها مثل التعليم أو الطب، وغيرها بعد تعلمها أمور دينها .

أما التعليم الذي يؤدي إلى اختلاطها بالرجال، ومزاحمتهم في العمل أو لا يتفق مع طبيعة المرأة فإن ذلك محرم، لأنه يؤدي إلى الفتنة كما يؤدي إلى اهمالها لتربية أبنائها وبيتها وما ينتج عن ذلك من أضرار بالغة.

وقد كان للإمام أحمد رحمه الله مجلسان للعلم أحدهما للعامة (الرجال) في المسجد والآخر لأسرته وزوجاته في المنزل»

الأساليب التعليمية

اهتم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بالعلم منذ صغره، وكان شغوفا به، وكان شغله الشاغل فهو لا يكل ولا يحمل من طلب العلم، وهو صاحب الكلمة المشهورة « مع المحبرة إلى المقبرة » وهذا يفيد في معرفة مدى تعلق الإمام أحمد رحمه الله بالعلم .

طلب العلم في بغداد، ثم رحل داخل العراق عدة رحلات لتلقي العلم على أشهر مشايخها وعلمائها، ثم بعد ذلك رحل إلى الحجاز، ثم اليمن وغيرها بقصد طلب العلم، وكان حينما تنقطع مئونته يكري نفسه للحمالين مقابل الحصول على نفقات السفر .

[٩١]- عبد الرحمن بن جوزي، مرجع سابق، ص٢٤٥

وبعد بلوغه شاوة عظيما من العلم، والإلمام بجميع جوانبه - تقريبا - وبعد بلوغه الأربعين من عمره، جلس في مسجد بغداد لإعطاء الدروس لطلاب العلم، وقد اشتهر بغزارة علمه وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكثر طلابه في جامع بغداد حتى بلغ عددهم ما يقارب خمسة الاف طالب منهم خمسمائة يكتبون .

رغم أن الإمام أحمد كان يكره أن يكتب عنه مسائله، خوفا من أن يراجعها ثم يجد فيها خطا ، فينشر هذا الخطأ، ومع ذلك فكان كثير من طلابه يكتبون عنه.

وقد استخدم الإمام أحمد رحمه الله عددا من الأساليب التربوية سواء من خلال دروسه في المسجد ، أو من خلال المناظرات التي كانت تقوم بينه وبين الجهمية - وبخاصة ما كان يحضره الخليفة العباسي "المعتصم".

ويمكن أن نوجز بعض الأساليب التربوية عند الإمام أحمد بن حنبل فيما يلي:

✍ **المناظرة**:

كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، بطبعه، ودينه، وورعه أبعد الناس عن الجدل ولكنه كان يتحرى البحث عن الحق، فإن اعتقد أنه وصل إليه التزمه، ودافع عنه الناقين له والمتشككين فيه، ولكنه يعتمد في أدلته على ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقد تعرض الإمام أحمد للمناظرة في كثير من المواقف منها: مناظرته مع الجهمية التي تنفي بعض الصفات لله، والذين يقولون ان القرآن مخلوق، فقامت بين الإمام أحمدوهؤلاء المناظرات، والتي كانت تحت اشراف بعض الخلفاء العباسيين مثل «المعتصم، والمتوكل ...» حيث كان ينفي الإمام أحمدما يدعيه هولاء من أباطيل حول تفي الأسماء والصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ وما يقولونه في القرآن الكريم بأنه مخلوق، وقد تعرض الإمام أحمد بن حنبلفي سبيل الدفاع عن القران كثير من الأذى والتعذيب، والسجن والضرب والاضطهاد، ومع ذلك لم يخضع لهؤلاء المنحرفين والذين كانت قوة السلطان تزيد من قوتهم.

كما استعمل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله اسلوب المناظرة في الرد على الزنادقة وفتد آراءهم الباطله، وما يدعونه في القرآن من أنه يناقض بعضه بعضا ، حيث يورد الآيات التي يدعون أنها متناقضة ثم يفسرها، ويوضح ما فيها من التباس لديهم ، ويبين لهم بذلك أن القرآن الكريم لا ينقض بعضه بعضا، كما يدعيه هؤلاء الزنادقة، وأنه كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد ألف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كتابا خاصا (بالرد على الجهمية والزنادقة).

وقد ندب الإمـام أحمد رحمـه الله لمنـاظرات كثيرة، في اختباراتـه الفقهيـة التـي خـالف فيهـا فـي بعض الأمـور الأئمـة الثلاثـة - أبـي حنيفـة والشـافعي ومـالـك - ، وفـي التزامـه العقائـد في أصول الدين ومنها: أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق»[٩٢]

وقد تحددت قواعد هذا الأسلوب طبقا للأسس التي قامت عليها مذاهب العصر ومناهج التفكير وطبقا لأصول القرآن الكريم وقواعد الفقه والمعرفة»[٩٣]

✍ المذاكرة

يستخدم الإمام أحمد بن حنبل أسلوب المذاكرة، مع بعض العلماء والمشايخ في عهده «وهي كثيرة في عهده، ولا بد لكل محدث كبير أن يذاكر، ويذاكر، وهذه المذاكرة تنبيء في النتيجة عمن عنده زيادات في نص بعض الأحاديث، أو في الطرق التي تروى بها الأحاديث ولا بد أن يفيد كل منهم الآخر ما ليس عنده، ومن أمثلة تلك المذاكرة التي حدثت بين محدث مصر - في ذلك العصر - أحمد بن صالح وبين الإمام أحمد بن حنبل»

وكان محدث مصر قد وفد إلى الإمام أحمد بن حنبل، وكان عنده من حديث عبد الله بن وهب تلميذ مالك - خمسون الف حديث فكان يجلس إلى الإمام أحمد بن حنبل فيفيده ويفيد هو منه ، ويتذاكرون حتى يفرغا

وكان للمذاكرة أشكال فقد يجلس الطلبة ليتذاكروا فيما بينهم، أو يجلس المحدث ليحدث بقصد المذاكرة »[٩٤]

✍ القراءة :

تعتبر القراءة احدى الأساليب التربوية المعروفة، وتكون القراءة إما من الشيخ لطلابه أو من أحد الطلاب على الشيخ، ثم يقوم المعلم بالشرح والتعليق عليها، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، يستخدم هذا الأسلوب مع طلابه حيث يقوم بقراءة كتبه عليهم، ثم يبدأ بشرح ما تتضمنه هذه الكتب.

والقراءة من أدوات العلم أوهي إحدى الوسائل التي يتم بها التعلم، ولا يمكن لأي إنسان لا يستطيع القراءة أن يتعلم العلم، ولأهميتها فقد كان أول ما نزل من القرآن الكريم هو ما يحث على القراءة قال تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [سورة العلق: الآية ١]

وهذا يعطينا مؤشرا على أهمية القراءة، ومدى مساهمتها في نشر العلم، وكثيرا ما يستخدم أسلوب القراءة، لبيان مدى تعلم المتعلم تكون في القرآن الكريم، سواء كانت قراءة

٩٢- عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٩٠

٩٣- البغدادي، أبي بكر أحمدبن علي الخطيب : (تاريخ بغداد) بيروت، دار الكتاب العربي ١٣٩١هـ، ص٢١

٩٤- ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله (جامع بيان العلم وفضله)، القاهرة، دار الكتب الإسلامية ، ١٣٨٨هـ.

نظرية من المصحف، أو قراءة غيبية وكذلك في الحديث النبوي الشريف، لمعرفة مدى ما استطاع طالب العلم أن يلم به من هذا الفن من فنون العلم.

✍ **الكتابة** :

تعتبر الكتابة أهم وسائل العلم، فبدونها، يضيع العلم، وبها يحفظ العلم وينتشر بين الناس وهي الطريقة التي يعتمد عليها التعليم في جميع مراحله، وفي كل عصر من العصور ولأهمية الكتابة فقد اشترط الرسول على أسرى بدر لمن يعرف القراءة والكتابة أن تكون فديته تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، يحث أبناءه على كتابة ما يتعلمونه، وتكون الكتابة بخط واضح حتى يسهل الإنتفاع بها عند الحاجة وكان يقول لابنه عبدالله: «اذهب اكتب في المسجد عن هولاء الشيوخ حتى تخف يدك»

كما كان الاهتمام بحسن الخط وجماله من الوسائل التي تسهل على طالب العلم الافادة مما كتبه ، وتحفظ العلم من الضياع فقد رأى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله احد تلاميذه - حنبل بن اسحاق - وهو يكتب بخط دقيق فقال له: «لا تفعل احوج ما تكون اليه يخونك»

ولا يتصور أن يكون علم بدون تدوين، ولأهمية التدوين والكتابة أقسم الله باداة من أدواتها وهي: القلم بقوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم: الآية ١]

والكتابة هي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع أن نتعرف بها على مدى ما بذله علماء المسلمين من جهود في مجال العلم، وهي التي حفظت لنا جهودهم، واستطعنا الاستفادة منها فبدون الكتابة يضيع العلم، وقد كان الرسول الله ﷺ بعض الصحابة يقومون بكتابة القرآن الكريم، كما أن الذي حافظ على سلامة القرآن وخلوه من التعديل والتحريف - بعد حفظ الله له - هو الكتابة ، كذلك الحديث الشريف الذي ساعد على بقائه وخلوه من كثير من الأحاديث الموضوعة هو الكتابة .

وهذا أبو بكر الصديق ﷺ لما رأى أن حفظ القرآن الكريم في الصدور، لا يفي بالغرض الذي أنزل له القرآن، ولما قد يسببه ذلك من ضياعه، خصوصا بعد الحروب التي قامت بها الدولة الإسلامية في ذلك العصر مثل حروب الروم عن طريق

جيش أسامة بن زيد بن حارثة، أو حروب المرتدين وغيرها وما استشهد في هذه الحروب من الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم، أمر الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ بعد طلب بعض الصحابة بتدوين القرآن الكريم. وكذلك ما فعله عثمان بن عفان عندما انتشر الاسلام في بلاد فارس وغيرها، واصبح كل قوم يقرأون القرآن بلهجتهم فكتب القرآن الكريم وجمعه من الرقاع التي كتب فيها أبو بكر القرآن وجعله بلغة واحدة ثم

وزعه على البلدان الإسلامية، فالكتابة مهمة جدا في حياتنا ولا يستمر العلم ويبقى ما أبدعه الأولون من علم إلا عن طريق الكتابة.

✍ المراسلة

المراسلة هي إحدي الأساليب العلمية، وهي معروفة منذ القدم وقد استعمل هذا الأسلوب نبي الله سليمان عليه السلام عندما أرسل الهدهد إلى ملكة سبأ باليمن يدعوها إلى الإسلام والدخول في دين الله، والتخلص من الشرك، وقد وردت تلك القصة كاملة في القرآن الكريم في سورة النمل (من آية ١٩ - ٤٤). بدلنا هذا على قدم استخدام هذا النوع من الأساليب التربوية سواء للدعوة إلى الله أو للإجابة على مسألة بين عالمين واختلفت وجهات نظرهما حيائها، أو استفسار طالب علم من شيخ.

كما أن الرسول ﷺ قد استخدم هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله، حيث أرسل رسله إلى الملوك والحكام يكتبه يدعوهم فيها إلى الدخول في دين الله، وترك ما هم عليه من شرك ووثنية « ومنهم، كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، وغيرهم »[٩٥] وقد استعمل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله هذا الأسلوب من خلال الرسائل التي بعث بها، سواء إلى الخلفاء العباسيين في ذلك الوقت مثل « الخليفة المتوكل » حينما أرسل إلى الإمام أحمد بن حنبل يسأله عن القرآن أمخلوق هو؟ فرد إليه الإمام أحمدبما يراه وما يعتقده حول القرآن، وأنه كلام الله وليس مخلوقا مستشهدة بالآيات، والأحاديث، وأقوال المشاهير من العلماء »[٩٦]

وقد يختلف أسلوب المراسلة بحسب حال المرسل اليهم فعند مخاطبة الخلفاء والعلماء الأجلاء، تشمل هذه الرسائل على الدعاء لهم كما فعل الإمام أحمد بن حنبل حينما ارسل الى (المتوكل) الخليفة العباسي حيث شملها ببعض الدعاء قال فيه: «وإني أسأل الله أن يطيل بقاء أمير المؤمنين، وأن يثبته وأن يمده بمعونة منه، إنه على كل شيء قدير»

أما إذا كانت الرسالة موجهة إلي من هم في مستوى المرسل أو أقل منه فغالبا ما تشمل النصح والإرشاد والمواعظ مثل الرسالة التي أرسلها الإمام أحمد بن حنبل إلى سعيد بن يعقوب يقول أبو غياث الطالقاني سمعت سعيد بن يعقوب يقول: كتب إلي أحمد بن حنبل

" بسم الله الرحمن الرحيم" من أحمد بن محمد إلى يعقوب أما بعد: فإن الدنيا داء والسلطان داء، والعالم طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلي نفسه فاحذره والسلام عليك »[٩٧]

---

[٩٥]- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٠٧

[٩٦]- أحمدابن حنبل (كتاب السنة) تحقيق الشيخ عداالله حس آل الشيخ – مكة المكرمة، المطبعة السلفية ١٣٤٩هـ، ص١٩

[٩٧]- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٠٧

وقد استعمل الإمام أحمد بن حنبل أسلوبا مختلفة في الرسائل حيث كان يكتب عنوان الكتاب إلى ابي فلان خلافا لمن كان قبله الذين كانوا يكتبون لأبي فلان وحينما سئل عن ذلك قال النبي ﷺ: كتب إلى كسرى وقيصر، كما كتب عمر بن الخطاب - يشير الى أنهما كانا يتبعان نفس الاسلوب إلى فلان من فلان»

وقد تكون الرسالة للاستفادة من علم الشيخ بسؤاله عن مسألة أو حكم لا يعرفه السائل أو يرغب في التأكد من صحته.

✍ **التقريب وضرب الأمثلة:**

يعتبر هذا الأسلوب من الأساليب التربوية التي يستخدمها المعلم لتقريب وتوضيح ما يريد تعليمه لطالبه، ويستخدم الأمثلة التوضيحية لذلك، وقد استخدم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله هذا الأسلوب في الرد على الجهمية، في إنكارهم صفات الله ﷻ وفي قولهم «لا تكونوا موحدين ابدا حتى تقولوا كان الله ولا شيء » فاستخدم معهم أسلوب التقريب لتوضيح مدى الخطأ الكبير الذي وقعوا فيه بإنكارهم صفات الله، التي وصف بها نفسه في كتبه وعلى ألسنة رسله، حيث قال لهم: « نحن نقول قد كان الله ولا شيء.. ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلها واحدة بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم في ذلك مثلا، فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة، أليس لها جذع، وكرب وليف وسعف و خوص؟ واسمها شيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد»[٩٨]

✍ **الرحلة:**

لقد كان للرحلة عند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في طلب العلم أثر كبير، وفوائد عديدة، في حصوله على العلم من مصادره الأساسية، مشافهة من العلماء الذين اشتهروا به فقد قام بعدة رحلات داخلية في العراق حيث رحل إلى الري ثم إلى واسط، وإلى البصرة خمس مرات، كما خرج إلى الكوفة ورحل إلى مكة عدة رحلات تقابل في إحداها مع الإمام الشافعي ودرس عليه ، ثم قابله للمرة الثانية عندما سافر الشافعي إلى بغداد . كما قام برحلة إلى اليمن للأخذ عن عالمها « عبد الرزاق بن همام» وكان قد قابله في مكة ولكنه فضل أن يرحل إلى اليمن ، ليقابله هناك ، وقد انقطعت به منونته خلال تلك الرحلة فاكرى نفسه للحمالين، حتى يحصل على مصروفه حتى وصل إلى اليمن وأخذ عن عالمها. يقول سليمان بن أحمدحدثنا عبدالله بن أحمدحدثني ابراهيم الدورقي قال: «لما قدم ابن حنبل مكة من عند عبدالرزاق. رأيت به شحوبا، وقد تبين عليه أثر النصب والتعب، فقلت .. يا أبا عبد الله، لقد

٩٨- أحمدبن حنبل: (مسائل الإمام أحمدبن حنبل) رواية ابنه عبدالله ، تحقيقودراسة علي سليمان المهنا، المدينة المنورة، مكتبة الدار، الطبعة الأولى، ١٤٠٢- ١٩٨٩م، ص٣٧

شققت على نفسك في خروجك إلى عبدالرزاق. فقال «ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبدالرزاق»

والرحلة أسلوب تربوي قديم، فقد اتخذ المحدثون في أواخر القرن الهجري الأول وفي القرن الهجري الثاني - من الرحلة أسلوبا أساسيا في طلب العلم واشترطوا أن يرحل الطالب إلى المعلم وأن يأخذ عنه العلم مشافهة »[٩٩]

وقد جعل العلماء المسلمون يتخذون من الرحلة وسيلة للحصول على المعرفة رغبة منهم في الحصول على الثواب من الله بالإضافة إلى الحصول على المعرفة من مصادرها وفي فضل الرحلة في طلب العلم يقول الرسول ﷺ : "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا من طرق الجنة"، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن طالب العلم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم، إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بخط وافر» (رواه أبو داود)

✍ **أسلوب الأسئلة:**

وفي هذا الأسلوب يقوم طالب العلم بتوجيه سؤال أو أكثر للعالم - المعلم - ثم يتولى العالم الإجابة عليها بتوضيح ما تشتمله هذه الأسئلة من أحكام، أو بيان هذه الأحكام، أو توضيح ما خفي على السائل من معلومات، فيجيبه عليها بأسلوب علمي واضح معتمدة على أسس علمية فإذا كانت الأسئلة عن العقيدة الإسلامية، وأدابها واحكامها، كان على العالم، أن يجيب عليها مستندة إلى ما جاء في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة، إذ هما الأساس لعقيدتنا الإسلامية، مع توضيح الدليل الذي اعتمد عليه في إجابته، وأما إذا كانت الأسئلة عن بعض المعلومات الحديثة، مثل الرياضيات مثلا، فعلى المعلم أن يعتمد في إجابته علي قوانين واضحة ويقدم شرحها بأسلوب يناسب حالة السائل ، ويوضح الخطوات التي يتبعها حتى يصل إلى الجواب الصحيح .. في الرياضيات . أما غيرها من العلوم فيعتمد على ما ذكر في المرجع الأفضل لهذا النوع من العلم، مع تحديد هذا المرجع للسائل ليتمكن من الرجوع اليه في حالة طلبه الاستزادة من المعرفة.

أما الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقد إهتم كثيرا بهذا النوع من الأساليب التربوية . قال أبو حاتم الرازي، سمعت أبي يقول «أتيت أحمد بن حنبل في أول ما التقيت به سنة ثلاث عشرة ومائتين، فإذا قد أخرج معه إلى الصلاة كتاب الأشربة وكتاب الإيمان فصلى فلم يسأله أحد، فرده إلى بيته»

---

[٩٩]- ماجد عرسان الكيلاني (تطور مفهوم النظرية التربوية في الإسلام) المدينة المنورة، مكتبة دار التراث الطبعة الثانية، ١٤٠٥-١٩٨٥م، ص١٩

وهذا يدلنا على أن الإمام أحمد بن حنبل يبدأ درسه -عادة - بسؤال يوجه اليه، فعندئذ يبدأ في الحديث أو الفتيا. وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن مسائل كثيرة، أجاب فيها حتى إن ابنه «عبد الله » الف كتابا في مسائل الإمام أحمد بن حنبل شمل عددا كبيرا من المسائل. وقال عبدالوهاب الوراق «ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، قيل له: وإيش الذي بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت ؟ قال: رجل سئل عن ستين ألف مسألة، فأجاب فيها بأن قال «حدثنا » و«أخبرنا»[١٠٠]

المنهاج عند الإمام أحمد

يمكن أن يحدد المنهاج عند المفكر الغايات والأهداف التربوية التي يراها، ويعمل على تحقيقها، ويوضح الأسس والقواعد التي ينطلق منها ذلك المفكر، كما يحدد اتجاهاته وما يطمح في تحقيقه، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أحد أولئك العلماء الأفذاذ في زمانه وقد اكتسب بغزارة علمه، وسعة أفقه، وإخلاصه لدينه، اكتسب شهرة واسعة، جعلته أحد الأئمة المشهورين ورابعهم، وقد اعتمد في منهجه على ما جاء به القرآن الكريم، وعلي سنة المصطفى ﷺ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، وتعد هذه الأسس هي الأصول التي ينبغي للمتعلم أو المعلم ، أن يعتمد عليها وأن يسعى لتحقيقها، وإن هذا هو الأجدر تعلمه، لا سيما وأنه اتسعت آفاق العلم وعلومه في تلك الفترة التي عاشها الإمام أحمدبن حنبل، وترجمت فيه كثير من الكتب غير العربية إلى اللغة العربية، واشتهرت الفلسفة والمنطق في عهده ولكنه يرى أن الاعتماد في التعليم يجب أن يكون على ما جاء به القرآن الكريم، وسنة الرسول ﷺ وما أفتى به الصحابة رضوان الله عليهم حيث يقول: «لا أرى الكلام إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن النبي ﷺ أو عن الصحابة، أو عن التابعين فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود»[١٠١]

وكان من مظاهر اهتمام الإمام أحمدرحمه الله بالقرآن والسنة، أنه قد أجاب في ستين ألف مسألة، بقال الله، وقال رسول الله ﷺ ثم بما أفتى به الصحابة رضوان الله عليهم»

ويرى الإمام أحمد في المنهج أن يراعي السن للطالب، ومستواه العقلي، حيث يراعي المنهج التدرج من السهل إلى الصعب، حيث تتناسب هذه المناهج مع سن الطالب وتتدرج مع سنه[١٠٢]

---

[١٠٠]- محمد بن محمد بن أبي يعلى (طبقات الحنابلة) القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٥٠هـ

[١٠١]- أحمد بن حنبل، كتاب السنة، مرجع سابق، ص١٩

[١٠٢]- ابن بدران، مرجع سابق، ص٤٨٥

وأول ما يبدأ به الطالب طلبه للعلم علوم الدين: أولا القرآن الكريم لأنه اساس عقيدتنا وهو المنهج الذي ربى به الرسول ﷺ صحابته، ولم يكن اعتماد تربيته لأصحابه علي القرآن الكريم وحده « لقصور او لعجز في الثقافة أو الأدبيات التي يمكن أن يستعين بها في تربية أصحابه، حيث كان هناك الحضارات المختلفة مثل: الرومانية ، الفارسية، المصرية وغيرها ولكن الرسول ﷺ نظر فيها وفي حالها ونتائجها، ورأى أنها لا تصلح لتربية الرجال كما يصلح - القرآن الكريم، لذا اقتصر في تربيته لأصحابه على القرآن الكريم .

كما كان مصدر تربية الصحابة ﷺ السنة، التي سنها الرسول الكريم ، والسنة هي قبس من القرآن الكريم، ومفسرة له . وهذا المنهج هو الذي قال فيه الرسول ﷺ: " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ، كتاب الله وسنتي"

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يرى أن يبدا طالب العلم بالقرآن أولا ثم الفرائض والحديث .... فقد قال حين صار له أن يفتي، وسئل أيما أحب اليك، أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث: قال: بالقرآن، فقيل أعلمه كله ؟ قال: الأ أن يعسر عليه فتعلمه منه إذا قرا تعود القراءة ولزمها »[١٠٣]

فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يرى أن يبدا طالب العلم بتعلم القرآن الكريم، ثم الحديث الشريف، وبعدها يمكن له تعلم ما يشاء من العلوم الإسلامية، ولم ير الإمام أحمدبدأ حين يعسر القرآن كله على الحف، من أن يتعلم المسلم من القرآن الكريم والعلم النافع ما لا غنى له عنه في صلاته.

إن طلب العلم يشمل فنونا كثيرة يتعلمها طالب العلم ، ثم يتسع في فنه الذي يريد أن يكون أحد العلماء البارزين فيه، وهو ما نسميه في عصرنا الحاضر (التخصص الدقيق) وهذا التخصص لا يأتي إلا بعد زمن طويل من الجمع والتحصيل والتثقيف « ويبدو أن الذين امتازوا في تلك الأزمنة على غيرهم جمعوا أكثر من فن، ولم يرضوا لأنفسهم بما هو دون الغوص إلى كل قرار يمكن البلوغ إليه، حتى لقد صار طابعا لكل من يطلب أن يكون له قدر بين العلماء»

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حينما جعل المنهج الذي يسير عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، إنما كان ذلك هو ما كان لتلك التربية النبوية للصحابة ﷺ من أثر في حياتهم، وتعديل سلوكهم، وتغير حالتهم من حالة البداوة، إلى أن أصبحوا سادة الدنيا، في شتى المجالات، في القيادة العسكرية. وفنها، وهم لم يتخرجوا من مدارس أو كليات عسكرية، فقد تفوقوا على أعدائهم رغم قلة عدد جنودهم وقلة سلاحهم مقابل ما عند أعدائهم. ولكنهم صدقوا الله فصدقهم.

١٠٣- عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص٥٨

كما تغلبوا في مجال السياسة وإدارة شئون الدولة الإسلامية منذ تأسيسها وهم لم يتخرجوا من كليات سياسية أو غيرها .

كما تفوقوا في مجال التعليم مع أنهم لم يتخرجوا من الجامعات ولم ينالوا الدرجات العلمية والشهادات العالية ونجحوا في الزراعة ونشر حضارتهم الاسلامية في البلاد التي فتحوها وهم لم يتخرجوا من مدارس زراعية أو صناعية أو غيرها.

انما تحقق لهم كل ذلك بفضل الله أولا، ثم بفضل المنهج التربوي الذي استخدمه الرسول ﷺ في تربيتهم. على كتاب الله وسنة رسوله..

ثم أين كانوا يتلقون تعليمهم من أستاذهم رسول الله ﷺ هل كانوا يتلقونه في الجامعات الفخمة والمدارس المؤثثة بأنواع المقاعد الفارهة - والطرق التربوية الحديثة وتوفر جميع الوسائل المفيدة في التعليم من وسائل ايضاح بصرية ، وسميعة ، وغيرها ..؟

إنهم كانوا يتلقون تعليمهم في المسجد على بساطة في بنائه وتأثيثه، ذلك المكان الذي تخرج منه قادة الدنيا، وكبار العلماء والمربين يجلسون معه على الحصر، ويتعلمون القرآن الكريم من الرسول ﷺ ولكنهم كانوا يطبقون ما يتعلمون من القرآن تطبيقا عمليا في كل شئون حياتهم. ثم تبعهم التابعون وتابع التابعين - وتخرج من هذه المساجد كبار علماء الأمة المشهورين بعد الصحابة والتابعين أمثال: أحمد بن حنبل، مالك بن أنس، ابن تيمية ... وغيرهم. وفي هذا رد على بعض الناس الذين يعتقدون ويتصورون أن التربية هي توفير ما يحتاج اليه الطالب من مأكل ومشرب ووسائل تسلية و ترفيه وخلاف ذلك من ماديات الحياة التي لا يستفيد منها في المقام الأول إلا الجسد.

الزامية التعليم

العلم نو، وبه يهدي الله الناس إلى الحق، والجهل ظلام، ويعتبر التعليم الوسيلة التي تنير بها العقول، وتصقل المواهب، وقد مدح الله المتعلمين بقوله تعالى: ﴿ ....قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَاب ﴾ [سورة الزُّمَر: الآية ٩] وقوله تعالى: ﴿ . . . . . إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور ﴾[سورة فاطر: الآية ٢٨] وقوله تعالى: ﴿ . . . . يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ . . . . . ﴾[سورة المجادلة: الآية ١١] وقوله تعالى: ﴿ . . . . وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[سورة طه: الآية ١١٤]

وقول الرسول ﷺ: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم. وقوله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقه في الدين » رواه البخاري، وقال ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلا والعشب الكثير، وكان منها أجادت أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها انما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» رواه البخاري ومسلم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله ليرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين، فلينظر كيف رفع العلم مولى من موالي العرب إلى مقام عليتهم وأشرافهم وجعله واليا عليهم وحاكماً فيهم، يدينون له بالطاعة، ويعترفون له بالفضل والولاء»

إن فضل العلم عظيم، وإن شرفه لعال رفيع، فكم من وضع رفعه العلم إلى مصاف الشرفاء»[١٠٤] لذلك يرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن التعليم إلزامي على الجميع وخصوصا ما يتعلق بتعليم كتاب الله وسنة رسوله، ومعرفة الواجبات والفرائض، وكيفية ادائها يقول الإمام أحمد بن حنبلفي ذلك « فتعليم الجاهل واجب على العالم، لازم له، لا بدل له منه لأنه لا يكون الويل للعالم من الجاهل، حيث لا يعلمه تطوعا لأن الله لا يؤاخذ على ترك التطوع وانما يؤاخذ على ترك الفرائض»

ويقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله « فاتقوا الله في تعليم الجاهل، فإن تعليمه فريضة واجب لازم، والتارك لذلك مخطيء وأثم»

والتعليم اللازم هو ما يستطيع الانسان به معرفة دينه، وكيف يؤدي عباداته، بشكل يوافق ما جاء به الرسول ﷺ وما أخبر به عن ربه.

وبالعلم يرفع الله أقواما، ويضع به آخرين، فكم من شخص عادي رفعه علمه إلى مصاف كبار العلماء والرجال المرموقين في المجتمع، وكم من سليل أسرة عريقة أهمل العلم وأعرض عنه أصبح لا قيمة له بين الناس.

وديننا الاسلامي يحثنا على طلب العلم والإستزاده منه، وكما يقال: أطلب العلم من المهد إلى اللحد

[١٠٤]- أبو بكر الجزائري، مرجع سابق، ص١٧

وعن فضله وأهميته « أخرج مالك في الموطأ بلاغا فقال: إن لقمان الحكيم أوصي ابنه فقال: يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك فإن الله ينير القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء »

فها هو لقمان الحكيم يوصي ولده بالخير ويحثه عليه، ويأمره بطلب العلم، ومجالسة العلماء لما لهم من الفضل، وما يكسبه من علمهم، كما أمره بمزاحمة الناس على طلب العلم والمزاحمة للناس، تكون غير مرغوب فيها، ولا يريدها الإنسان، ولكن عند طلب العلم إذا لم يكن منها بد، فهي محمودة ومرغوبة، وقد شبه العلم الاحيائه القلوب، وشرح الصدور وإنارة طريق الحق لطالبه وحامله، شبهة بالمطر الذي يحي الله به الأرض بعد موتها.

لذا فالواجب على طلاب العلم الحرص على طلبه، والسهر على ذلك وخصوصا في مستقبل أعمارهم، قبل انشغالهم بمشاغل الحياة، الفرصة أمامهم مواتية، وأبواب العلم لهم مفتوحة ووسيله لهم ميسرة، ولم يبق إلا شحذ الهمم والتشمير عن السواعد، والمسارعة في طلب العلم، ليحصل لهم شرف الدنيا والآخرة إذا قصدوا بعلمهم وجه الله وثوابه.

وحيث أن العلم نور كما قيل يخرج صاحبه من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة، وهو الذي ينير الطريق الحق لسالكيه ويعرف به ما أحل الله له وما حرمه وهو ملزم لكل مسلم ومسلمة، لما له من أثر في حياة الفرد والمجتمع فقد أوصى به الإمام أحمد بن حنبل فقال «عليك بالفقه»

الفصل الثالث

جوانب الإستفادة من الأفكار التربوية عند الإمام أحمد بن حنبل

فلسفة التربية

أهداف التربية

آداب المعلم

- أولا: التحصيل العلمي
  - ✓ تحصيل العلم عند علماء المسلمين
  - ✓ عند علماء التربية الحديثة
  - ✓ عند الإمام أحمد
- ثانيا: الصفات الأخلاقية للمعلم
  - ✓ عند علماء المسلمين
  - ✓ عند علماء التربية الحديثة
  - ✓ عند الإمام أحمد
- ثالثا: الجانب السلوكي
  - ✓ عند علماء المسلمين
  - ✓ علماء التربية الحديثة
  - ✓ عند الإمام أحمد

آداب المتعلم

- أولا: الجانب التحصيلي
  - ✓ رأي علماء التربية الحديثة
  - ✓ رأي الإمام أحمد بن حنبل
- ثانيا: أخلاق طالب العلم
  - ✓ رأي علماء المسلمين
  - ✓ رأي علماء التربية الحديثة
  - ✓ والإمام أحمد بن حنبل
- ثالثا: الجانب السلوكي
  - ✓ رأي علماء المسلمين
  - ✓ رأي علماء التربية الحديثة
  - ✓ والإمام أحمد بن حنبل

الأساليب التعليمية

واجب المجتمع اتجاه المعلمين وطلاب العلم

الفصل الثالث

جوانب الإستفادة من الأفكار التربوية عند الإمام أحمد بن حنبل

فلسفة التربية

فالفلسلة والتربية وجهان لحقيقة واحدة قوامها الإنسان. وتستعمل التربية في توصيل ونقل الأفكار للاجيال الناشئة في المجتمعات الناهضة» [١٠٥]. ويعرف أخر التربية فيقول «إن التربية عملية التكيف أو التفاعل بين المتعلم وبيئته التي يعيش فيها»

وقد أورد (النحلاوي) [١٠٦] عدة تعاريف للتربية منها «عن الراغب الاصفهاني«التربية هو إنشاء الشيء حالا حالا إلى حد التمام» و «التربية تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا»

يعرف (فينكس، ١٩٨٢م) [١٠٧] الفلسفة «بأنها طريقة من طرق النظر إلى المعرفة التي لدينا ، وهي تتضمن تنظيم وتفسير وتوضيح ونقد ما هو موجود بالفعل في ميدان المعرفة والخبرة»

من ذلك يتبين أهمية التربية وفلسفتها «بأنها إحدى الطرق التي تستخدم لنقل المعرفة من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة، باستخدام ما يناسب هذه الأجيال من وسائل وطرق» وتهدف بذلك إلى مساعدة الأجيال اللاحقة على زيادة وبناء ثقافتهم وشخصياتهم والعمل على تحقيق الأهداف التي وضعها المسئولون عن التربية في بلد ما.

والتربية ضرورية للفرد منذ ولادته، حيث تهتم به أسرته وتقدم كل ما يساعد على نموه النمو الصحيح، ثم تتولى المدرسة عملية التربية والتعليم بعد ذلك.

ونظرا لأهمية التربية في الإسلام فقد إهتم الرسول عه بتربية أبناء المسلمين التربية الصالحة، من مصادرها الأصلية وأول مصدر لها وأعظم مصدر هو القرآن الكريم فقد إهتم القرآن بتربية الإنسان في الجانب الروحي وفي الجانب الجسمي، فاهتمت التربية الإسلامية بالجانبين معا، ولم تهتم بجانب على حساب الجانب الآخر، وقد كانت تربية الرسول عه لأصحابه خير دليل على ذلك. وقد اقتصر الرسول عه في تربية أصحابه على القرآن الكريم لعلمه أنه الأنسب لهم والصالح لهم، ولأن الرسول ﷺ كان يريد أن يصنع جيلا خالصا في

---

[١٠٥] - ابراهيم ناصر (مقدمة في التربية عمان ، جمعية أعمال المطابع التعاونية ،الطبعة السادسة ١٩٨١م ص١٨

[١٠٦] - عبدالرحمن النحلاوي (أصول التربية الإسلامية وأساليبها) دمشق، دارالفكر، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م ص١٧

[١٠٧] - فيليب. فينكي ، (فلسفة التربية) ترجمة د/ محمد لبيب النجمي، القاهرة ، نيويورك ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م.

التصور والشعور والتكوين من غير مؤثر آخر غير القرآن الكريم، لذا نجح ﷺ وكانت النتيجة أن استطاع أن يضع جيلا كل منهم قرآن يمشي بين الناس، رغم قلة الإمكانيات المادية الموجودة في ذلك العصر، وكان الرسول ع يربي أصحابه في المسجد، ذلك المسجد المتواضع البنيان في عهد الرسول عنه، وكان جامعة عظيمة تخرج منها خير أجيال البشرية - غير الأنبياء والمرسلين أمثال : أبو بكر وعمر ، خالد بن الوليد ... الذين كانوا خير البشر والذين زكاهم الله، وزكاهم رسول الله عنه بقوله: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ... الحديث » وقوله عنه «لا تسبوا أصحابي فوا الله لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ، ولا نصيفه» (البخاري ،٧/٥)

كما تخرج من المسجد علماء الأمة وفقها ؤها فيما بعده أمثال: الإمام أحمد بن حنبلمالك بن أنس وابن تيمية وابن القيم ... وغيرهم. فقد كانت التربية في عهد الرسول عله تهتم بالجانبين الروحي والعقلي .

أما التربية الحديثة فقد إهتمت بالماديات وتوفير جمع الوسائل المعينة لنشر العلم من مباني مدرسيه فاخرة وتأثيث جيد ، وملاعب مختلفة، إضاءة جيده وتهوية ممتازة. وتوفير الوسائل التعليمية والمختبرات ... ولكن هذه التربية لم تنجح كما نجحت التربية في عهد رسول الله .

والنتيجة واضحة كيف كان جيل الصحابة والتابعين الذين تربوا في مدرسة الرسول عه وعلى منهجه «القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة» كيف كانت حياتهم، وأخلاقهم وتعاملهم مع بعضهم ومع أعدائهم، واليوم ننظر في طلاب العلم، كيف أخلاقهم؟ كيف تعاملهم مع أساتذتهم ومعلميهم ؟ كيف تعاملهم مع كبار السن؟

والنتيجة العامة ما أصاب المسلمين ويصيبهم في كل يوم من اضطهاد على يد اعدائهم واعتداء على حرماتهم، وأموالهم، وأرواحهم في كل بلد من البلاد التي يعيشون فيها غير البلاد الإسلامية، انتهكت مقدساتهم وحرماتهم، وأصبحوا أذلة بعد أن كانوا أعزة وإن خلاص المسلمين مما هم فيه يعود أولا واخيرة إلى التربية والمنهج التربوي الذي يربون عليه - كما يرى الباحث وهو –ذلك المنهج الذي ربي عليه الرسول عن صحابته عليه وأن يتمسكوا بدينهم - ففيه عزهم ونصرهم.

من هذا نتعرف على السلة التربية التي كانت عند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وفلسفتها في العصر الحديث ويمكن الإستفادة من ذلك في النظرة للعلم في عصر الإمام أحمد بن حنبل على أنه عبادة ، وأهمية العلماء واحترامهم، وأن فلسفة التربية في عهد الإمام أحمد بن حنبل هي امتداد للتربية الإسلامية التي كان الرسول عه يربي عليها أصحابه وهكذا تبعه الخلفاء الراشدون والصحابة وتابعوهم.

أما النظرة للعلم اليوم فهي تختلف عن نظرة المسلمين الأوائل، ولذا نجد أن نتاج هذه التربية يختلف عن نتاج التربية الإسلامية السابقة - كما يرى الباحث - من حيث احترام العلم وتوقير العلماء، والاهتمام بالعلم طلبا للأجر والمثوبة من الله.

أهداف التربية

«لقد فطنت المجتمعات الحديثة إلى أهمية التربية فأولتها كل الاهتمام والعناية وخصصت لها المال والجهد، وأعدت الخبراء والمتخصصين، لذا تحتل التربية مكانا فذا لم تحتله في أي عهد من العهود كما تحتله اليوم»(١٠٨)

وتختلف أغراض التربية باختلاف المجتمعات، ودرجة تقدمها ، والظروف الاجتماعية والدينية والسياسية التي تحكمها» (١٠٩)

والتربية الحديثة تهتم بالجانب النظري إهتماما كبيرة ، بينما تهمل الجانب العملي التطبيقي، أما التربية الإسلامية فإنها تهتم بالجانبين معا، فقد كان أصحاب رسول الله لا يتجاوزون تعلم عشر آيات من كتاب الله حتي يحفظونها ويطبقونها في حياتهم، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: ما كتبت حديثة إلا قد عملت به»(١١٠)

ويقول الإمام أحمد ايضا «صاحب الحديث عندنا من يعمل به»(١١١)

فالتربية في عهد الإمام أحمد بن حنبل امتداد للتربية في عهد الرسول عه وعهد صحابته والتابعين، الذين كانوا يطبقون كل ما يتعلمون معتمدين في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم وفي سنة النبي محمد عة حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُون ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون ﴾ [سورة الصف: الآية ٢-٣] وفي قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُم ﴾ [سورة محمد: الآية ١٩]

فبدأ بالعلم لذا نرى - أن على المربين أن يهتموا بالجانب العملي التطبيقي » في تعليم أبنائهم الطلاب وخاصة في مسائل الدين مثل الوضوء والصلاة، صلاة الجنازة العيدين لأن ذلك أدعى إلى ثبوت المعلومات ورسوخها في أذهانهم، أما العلم النظري فقط فذلك لا يحقق الفائدة المرجوة وإنما يكون لأداء الامتحان فقط، وكثير من طلاب العلم ربما تخرجوا من المرحلة الثانوية وهم لا يجيدون صلاة الجنازة أو صلاة العيدين أو صلاة الإستسقاء.

١٠٨- ابراهيم ناصر: (التربية وثقافة المجتمع) عمان، بيروت، دار الفرقان والرسالة، الطبعة الأولي، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م، ص٢٣

١٠٩- المرجع السابق، ص٢١

١١٠- أحمدبن حنبل: (المسند) شرح وفهرسة أحمدمحمد شاكر، القاهرة دار المعارف بمصر، ١٣٦٥هـ ص٧٣

١١١- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص١١١

والسبب في ذلـك هو عدم الاهتمام بالجانب التطبيقي في أمور العبادات في المدارس وربما يعود ذلك لتقصير بعض المعلمين، ولربما يكون السبب عدم وجود أماكن بالمدارس يقوم التلاميذ بالتطبيق فيها، ولكن لو وجد إهتمام بالجانب التطبيقي من قبل المسئولين في التعليم لاستطاعوا القضاء على السلبية الناتجة في هذا الجانب، ولا وجدوا الحلول المناسبة، فإذا كان التقصير من جانب المعلمين يقوم الموجهون بالتركيز على هذا الجانب ومطالبة التلاميذ أن يقوموا بأدائها عمليا، أما إذا كان السبب عدم وجود المكان الملائم ، فبإمكانهم أن يتشاوروا مع مدير المدرسة لإيجاد مكان مناسب.

كذلك فإن من سلبيات التربية الحديثة عدم اهتمام أولياء الأمور بأبنائهم . فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما أصبح أبا وجدة أثر الاهتمام بأبنائه على نفسه، وفضل البقاء معهم دون أن يبتعد عنهم حتى في طلب العلم ، لأنه اعتاد على البقاء مع ابنائه وهم اعتادوا بقاءه الي جوارهم ، فاصبح لا يطيق فراقهم وهم كذلك» [١١٢]

فكثيرا من الأبناء في عصرنا الحاضر «لا يحسنون استقبال الضيوف، بل قد لا يعيرونهم أي إهتمام، ولا يقومون بحق الضيافة، من حسن استقبال، وتقدير واحترام والرسول عه قد حث على إكرام الضيف بقوله مه «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» (متفق عليه، البخاري١٠ ٣٧٣/١، مسلم ص ٤٧).

وقد كانت التربية في العصور الأولى من الدولة الإسلامية تعمل على إعداد الانسان لا المواطن، الانسان المستخلف عن الله في الأرض على مفهوم وحدة الدين ووحدة الجنس وتوحيد الله، كانت التربية في تلك العصور تركز على بناء الأخلاق بعد بناء عقيدة التوحيد. إن التربية العقيدة والأخلاق أثرها العميق في تكوين الشخصية»

وقد كان الرسول عه يستخدم مع اصحابه التطبيق العملي في تعليمهم الصلاة والوضوء وغيرها من العبادات، فعلى المربي أن يتوضا مثلا أمام طلابه، وضوء سابغا وهم ينظرون اليه ثم يطلب منهم أن يتوضؤا وضوءه أو يصفوا جميع حركاته ... وفي هذا اقتداء بأسلوب من أساليب التربية الاسلامية ، نقل إلينا عن أصحاب رسول معه بتوجيه منه»[١١٣]

«إن هدف التربية الاسلامية هي كيف يمكن مساعدة الإنسان ليؤدي مهمته كمستخلف لله في الأرض، وهي المهمة التي نص عليها القرآن الكريم فالتربية المسيحية التي تبنى عليها عمد التربية والأخلاق وفلسفة الحياة البشرية كلها، وتربية مادية مستمدة من مفاهيم التلمود حيث تهدم عمادين اساسيين في التربية الاسلامية هما المسئولية الفردية، وما يتبعها من الالتزام الأخلاقي والجزاء الأخروي، ونظرتها إلى الإنسان على نحو مادي

---

[١١٢]- عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص٢٩٩
[١١٣]- عبد الرحمن النحلاوي، مرجع سابق، ص٢٣٩

حيواني وعلى نمط جزئي انشطاري، مادة وليس روحا، جسدة وليس نفسا، ومن شأن هذا كله أن يعمق الفوارق بين النظرية الغربية والنظرية الإسلامية في أدق مفاهيم العلم والتعلمفضلا عن مفاهيم التربية والأخلاق »[١١٤]

آداب المعلم

كان الرسول ع اول معلم في الإسلام، فقد كان ﷺ يعلم. أصحابه أمور دينهم ويقرئهم القرآن الكريم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم، يهتمون بالتعليم ويحرصون على حفظ كل شيء عن الرسول عه من أقوال وأفعال، ويحرصون على تطبيقها عملية في حياتهم، واستمر المعلم مصدر إشعاع في المجتمعات الإسلامية عبر العصور والأزمان وكان التعليم في بداية الإسلام يتركز على القرآن الكريم وما يهم المسلمين في حياتهم من صلاة، وصيام، وحج، ومع تقدم العصور بدأت النظرة تختلف وبدات فروع العلم تتنوع وظهرت علوم دنيوية لم تكن معروفة من قبل، وزادت حركة الترجمة من اللغات والحضارات الأخرى مثل: اليونانية والفارسية، والرومانية، الهندية ... إلى اللغة العربية ونتج عن ذلك معارف جديدة وعلوم حديثة لم تكن معروفة مثل: الفلك، علم الكلام الرياضيات، الطب .... وكان العصر العباسي بداية ظهور هذه العلوم، وبرز عدد من العلماء في كل مجال من هذه المجالات.

ولأهمية العلم وللشرف العظيم لمن يحمله ويعلمه غيره فقد وصف الرسول نفسه بأنه معلم قال ﷺ «إنما بعثت معلما».

ولفضل العلم ومكانته وعظيم أجر العلماء يقول الرسول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١١٥]

وفي العصر الحاضر اهتمت الأم بالمعلم، لدوره المهم، باعتباره أحد العناصر الرئيسة التي يقوم عليها التعليم، وعليه يتوقف نجاح العملية التربوية، وتحقيقها للأهداف التي يرجى منها ، وبلوغ غاياتها، في تقدم الدول ونهضتها في جميع المجالات، وارتفاع مستوى الثقافة عند أفرادها، وهو الذي يقوم بتنفيذ ما يضعه الخبراء والمخططون، من خطط وبرامج لتطوير العملية التعليمية وتحسين أدائها، ووضع السياسات التعليمية.

من أجل ذلك كله اهتمت الأم على اختلاف أنظمتها باختيار المعلم، وحسن إعداده ووضع الصفات اللازمة للمعلم الناجح»[١١٦]

---

[١١٤]- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص١٨٧

[١١٥]- ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (سنن ابن ماجه) بيروت، دار إحياء الكتب العربية الجزء الأول، ١٣٧٢، حديث٢١١، ص٧١

[١١٦]- سليمان عبدالرحمن الحقيل (الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية الرياض مطابع الشبل، الطبعة الخامسة،١٤١٤- ١٩٩٢م، ص٢٠٩

وقد تفنن العلماء من المسلمين ومن غيرهم في تحديد صفات المعلم الناجح ومنها مثلا .

أولا:التحصيل العلمي

- **عند علماء المسلمين**

أ- الاهتمام بتعليم القرآن الكريم وتعليمه لطلابه، لقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وقوله ﷺ: «يرفع الله بالقرآن أقواما». وقوله ﷺ: «وإن لله أهلين من الناس، حملة القرآن هم أهل الله وخاصته». وقوله ﷺ: «ومن قرأ القرآن بإعراب فله أجر شهيد»[١١٧]. ويجب على المعلم عدم الانشغال عن التلاميذ أثناء تعليمهم، وعليه أن يكون متفرغا للعلم.

ب- من صفات المعلم عند القابسي: "القدرة على التعليم" و "التمكين من المواد التي يدرسها"

تشمل القدرة على التعليم مدى إلمام المعلم بما يقوم بتعليمه، ومدى استعداداته الجسمية والنفسية للقيام بهذا الدور الهام.

كما يشمل التمكين من المواد التي يدرسها: أن يكون المعلم على اطلاع واسع بما يدور في مجال العلم الذي يقوم بتعليمه، فلا يكتفي بالحصول على مؤهل ما يجيز له القيام بالتدريس، بل لا بد من الاطلاع المستمر على جميع أنواع العلوم وما يستحدث من هذه العلوم، كما أن عليه عدم الاكتفاء بالاطلاع على كتب الطلاب عند إعداده دروسه، بل لا بد من الرجوع إلى المراجع والمصادر، التي تزيد من ثقافته وتزيد من إعطاء المعلومات الواسعة عن موضوع الدرس الموجود في كتب الطلاب. وعلى المعلم أن يحرص على الاشتغال بالقراءة والمطالعة، ولا يضيع شيئا من أوقات عمره في غير ما هو بصدد العلم إلا بقدر الضرورة .

ويوصي ابن سيناء المعلم بوجوب متابعة الصبي، وذلك ليتمكن من معرفة قدراته وميوله بحيث يستطيع أن يوجهه إلى المهنة المناسبة »[١١٨]

وقد حث الغزالي «على الاشتغال بمهنة التعليم وتعظيم شأن المعلم وإعلاء قدره وهويرى أن مهنة التعليم ذات شأن خطير، يقول في ذلك «فمن علم وعمل بما علم فهو

---

[١١٧]- ابن ماجة، مرجع سابق، ص٧٩

[١١٨]- سليمان عبدالرحمن الحقيل، مرجع سابق، ص٢١٤

الذي يدعي عظيما في ملكوت السماوات ، فإنه كالشمس تضيء لغيرها، ومن اشتغل بالتعليم، فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه »

وبهذا يشير «الغزالي» إلى أن على المعلم أن يعمل بما يعلم، وأن يوافق قوله عمله لأنه يقوم بأمر عظيم، ومسئولية جسيمة، وهي إعداد النشء المسلم إعدادا ينفع الله وبه وبه يكونون بناة حضارة إسلامية، ودعاة إلى الحق والخير، كما إن الإمام الغزالي، يوصي كذلك بأن يكون المعلم قدوة حسنة لطلابه، كما أن علي المعلم أن يكون على إطلاع واسع بمجال تخصصه كما يكون أيضا على إطلاع ببقية العلوم، والمعارف.

ويرى الغزالي أن على المعلم أن يستعمل اسلوب التدرج في التعليم، لذا فإن عليه أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي عليه ما لا يبلغه فينفر أو يتخبط عليه عقله (الغزالي).

- **تحصيل المعلم للعلم عند علماء التربية في العصر الحديث..**

سوف يتم في هذا المبحث استعراض بعض آراء علماء التربية الغربية والعربية في صفات المعلم الناجح.

استعرض «د/ الدخيل، ١٤١٤ هـ » بعض آراء علماء التربية الغربية عن المعلم وصفاته (التحصيلية) فتوصل إلى أن على المعلم أن يكون شديد الاهتمام بالمهنة والمجتمع والتلاميذ، بحيث يكون اهتمامه بالمهنة الإخلاص لها، ومن الإخلاص سعة الاطلاع على كل ما يدور في مجال تخصصه، وما هو جديد في محيطه، كما أن عليه الاهتمام أيضا بالاطلاع والتعرف على المجالات والعلوم الأخرى، لأن ذلك مما يزيد من احترام طلابه له، وإقبالهم عليه، والإستفادة منه.

ومن الصفات للمعلم ايضا «القدرة على التدريب وسعة الاطلاع الكافي»[١١٩]

فقدرة المعلم على تطوير نفسه، وزيادة حصيلته الثقافية وسعة اطلاعه تعتبر من الصفات الأساسية للمعلم الناجح، كما أن إلمامه بطرق التدريس المختلفة، وبالطريقة الصحيحة لاستخدام المناسب منها، لمستوى تلاميذه، ولموضوع درسه، أمر مهم يساعد في جذب اهتمام التلاميذ وشوقهم للدرس، ويجعلهم يقبلون على المادة العلمية برغبة صادقة وحب، وبذلك تتحقق الفائدة المرجوة.

كذلك أعدت لجنة تربية المعلم بالولايات المتحدة قائمة بالصفات التي تعتبرها مقومات أساسية لنجاح المعلم ومن هذه الصفات: «مستوى ذكاء، مستوى دراسة مرضيان

[١١٩]- سليمان عبدالرحمن الحقيل، مرجع سابق، ص٢٣٢

طلاوة تعبير كافية، خلفية جيدة في مباديء علم النفس، مستوى ثقافة عام جيد، يقظة مهنية واهتمام بتحسين الذات»[١٢٠]

وقد قام «د/ الدخيل، ١٤١٤ هـ » بمحاولة لمعرفة أراء السعوديين المهتمين بالتعليم فيما يتعلق بالصفات اللازمة لنجاح المعلم واختار عينة من أولياء أمور من الطبقة المثقفة ومعلمون أكفاء، مدرسو تربية وعلم نفس بمعاهد إعداد المعلمين، ومديرو مدارس ابتدائية وطلاب دارسون في الكلية المتوسطة وكان من النتائج التي توصل إليها فيما يخص المستوى التحصيلي للمعلم «سعة الاطلاع، والقدرة على إيصال المعلومات للتلميذ، حب المهنة، التمكن من المادة الذكاء»

- **عند الإمام أحمد بن حنبل**

ومما سبق نؤكد اهتمام الإمام أحمد بن حنبل بالجانب التحصيلي للمعلم، حيث قال الإمام أحمد في ذلك «صاحب الحديث عندنا من عمل به، وقوله «لا تقلدن مالكا ولا الأوزاعي ولكن خذ الأحكام من حيث أخذوا». وحينما سئل عن مدى ما يمكن الحصول عليه من العلم إذا كتب الرجل ثلاثين الف حديث يكفيه؟ فسكت الإمام أحمد، ثم قيل له ستين الفا، فسكت، فقيل له: مائة ألف قال الإمام أحمد: حينئذ يعرف شيئا» ثم حثه للمعلمين على أن يتقوا الله في تعليم تلاميذهم فإن تعليمهم فريضة وواجب لازم والتارك أو المتهاون في ذلك مخطيء وأثم، مقتديا في ذلك بقول الرسول ﷺ «ويل للعالم من الجاهل ، حيث لا يعلمه»

وعن تربية الأبناء يقول الإمام أحمد رحمه الله: أن يخسن -المعلم، الشيخ- أدبهم وتعليمهم لأنه راع لهم وغدا مسئول عنهم، ولكن الإمام أحمدزاد على العلماء السابقين في الاهتمام بالتدوين ونصح المعلمين بأن يراعوا ذلك عند تلاميذهم، وأن يعلموهم الخط الحسن فقد قال لأحد تلاميذه، وهو حنبل بن اسحق عندما رآه يكتب بخط دقيق، نبهه إلى ذلك وقال له «لا تفعل، أحوج ما تكون اليه يخونك» وبذلك أوضح أن من أسباب ضياع العلم تدوينه بخط رديء

✍ ثانيا: الصفات الأخلاقية للمعلم

- **عند علماء المسلمين**

يرى القابسي ان من الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها المعلم «الرحمة والعدل، الاخلاص»[١٢١]

١٢٠- كمال دسوقي (الإجتماع ودراسة المجتمع القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،١٣٩١ - ١٩٧٧م،
١٢١صرسليمان عبد الرحمن الحقيل، مرجع سابق، ٢١٢

بحيث يكون المعلم رحيما بطلابه حسن التعامل معهم، يعاملهم بشفقة وعطف، ولا يقسو عليهم ولا يستخدم الشتم والالفاظ القبيحة، وإنما يستخدم في توجيههم النصح والارشاد والعدل ويكون ذلك من خلال تعامل المعلم مع طلابه، فلا يفضل أحدهم على الآخر لغناه أو للمكانة الاجتماعية لأسرته وغير ذلك، بل يجب معاملتهم معاملة واحدة، دون تفريق أو تمييز لأحدهم. والإخلاص: يشمل قيام المعلم بواجبه خير قيام، والحرص على عدم تضييع الوقت بما لا يفيد طلابه والحرص على فهمهم واستيعابهم لما يعطيهم.

كما يرى الغزالي ان من الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها المعلم «الشفقة الرحمة على الصبيان فهو بمنزلة أبيهم»[١٢٢]

والشفقة تشمل المعاملة الحسنة، ولين الجانب ومخاطبة التلاميذ بألفاظ تليق بمكانة المعلم وتدل على احترامه لنفسه ولتلاميذه، عدم تكليفهم بما لا يطيقون، من حفظ، أو واجب أوغيره. والرحمة تشمل: معاملة طلابه بالعطف والحنان وإشعارهم لمحبته واحترامه لهم فهو يعتبر بمنزلة الأب الحنون لهم، الحريص على مصالحهم، وما ينفعهم، والبعد عما ما يسبب لهم الأذى الجسمي، والعلمي، مما ينتج عنه اهمالهم مذاكرة دروسهم او حل واجباتهم، ويحثهم على الالتزام بالأخلاق الفاضلة التي يحث عليها ديننا الإسلامي الحنيف والبعد عن الأخلاق السيئة التي حذر منها الإسلام. ويرى (ابن سيناء) أن يتصف المعلم بالعقل والحكمة، بحيث تكون تصرفاته، وأقواله تنبيء عن أخلاق فاضلة ، واتزان في أقواله، وحسن معاملة لأبنائه الطلاب يحب لهم الخير ويحثهم عليه، ويحذرهم من الشر وكل ما يسبب لهم الأذى»[١٢٣]

- **عند علماء التربية الحديثة**

أما ما يراه علماء التربية الحديثة فقد ذكر بعض آراء علماء التربية الغربيين منهم (سارتر وويلز). قام بدراسة بهدف ايجاد وصف شامل لواجبات المعلم وصفاته وشملت هذه الصفات في الجانب الأخلاقي أن يكون متميزبالشرف والتهذيب.

بحيث تشمل صفات المعلم الأخلاقية محافظته على سمعته ومكانته، وأخلاقه من خلال تعامله مع طلابه، يكون مؤدبا في مخاطبتهم والتعامل معهم، يعاملهم معاملة حسنة ويؤدي واجبه على أكمل وجه لا يكلف طلابه فوق طاقتهم، ولا يحملهم ما لا يطيقون من دروس، او واجبات أو غير ذلك من التكاليف، يترفع بنفسه عن ما يدنسها، بتكليف التلاميذ بما قد يعود عليه بمردود مالي أو المجاز لأعماله أو غير ذلك.

---

[١٢٢]- المرجع السابق، ص٢١٩

[١٢٣]- المرجع السابق، ص٢١٤

أمـا (هرانيت) مـن دراسته فقد توصـل إلـى أن مـن أهم الصـفات التـي يجب ان تتـوفر في المعلم الصبر، البشاشة، والمر، والعدل والشفقة»[١٢٤]

فالصبر يشمل تحمل أعباء هذه المهنة الشاقة التـي ألـزم نفسـه بالعمل بهـا، وتحمل كل ما يصادفه في عمله سواء من سـوء معاملـة الإدارة المدرسية، أو الموجهين، أو سـوء أخـلاق وتصـرفات بعـض التلاميذ، ولكـن عليـه توجيـه تلاميذه للاخـلاق الفاضـلة بالحكمـة، والنصـح والإرشـاد ، والابتعـاد عـن العقـاب البـدني، أو الـتلفظ بـالألفـاظ السـيئة، كمـا ينبغـي للمعلـم أن يتصف بالمرح ولكن يكون ذلك في حدود، ولا يكثر من ذلك، لأنـه بذلك يفقد مكانتـه واهتمـام تلاميذه واحترامهم له، ولكن لا بأس في خلال الدرس.

إذا شعر بـأن الملـل والسـأمة بـدت تـدب فـي تلاميذه، أن يميـل إلـى المـرح قليلا بحيث يـدب النشـاط فـي نفـوس تلاميـذه، إمـا بـذكر نكتـة هادفـة سـريعة، وعـدم عبوسـه فـي وجـوه تلاميذه، بحيث يكـون دوره أشـبه بـدور الشـرطي، الـذي يعطـي الأوامـر فقـط وعلـى غيـره تنفيذها سريعا بدون نقاش، وإنما يتعامل بما يشعرهم بـالمودة والاحتـرام، وأن يكـون عدلا فـي التعامل مع تلاميذه، لا يفرق بينهم في المعاملة.

كمـا أن لجنـة تربيـة المعلـم فـي الولايـات المتحدة الأمريكيـة مـن ضـمن الصـفات التـي أوردتها في المعلم ذكرت «أن يكون ذا طبع سليم، ولديه الشعور بـالأمانة والمسئولية»

ويتضـمن ذلـك التعامـل الصـحيح مـع التلاميـذ بعطـف وحنـان والتوجيـه السـليم، وحـثهم على مكارم الأخلاق والتحذير ممـا يسـيء إلـيهم ويتحمـل المسئولية الملقـاة علـى عاتقـه برحابـة صـدر دون ضـجر أو كلـل، يـؤدي عملـه بصـدق وإخـلاص، حـريص علـي مـا ينفـع طلابـه،لا يضيع الوقت فيما لا فائدة منه، فـإن ذلـك يولـد لـدى التلاميـذ الاحتـرام والتقدير للمعلم، وبحسـن معاملتـه لهـم يجعلهـم يقبلـون علـى دروسـه بمحبـة، وإخـلاص، يـؤدون مـا يطلبـه مـنهم بـنفس راضـية، يكـون لـه الحـب والتقدير، أمـا إذا تهـاون فـي عملـه أو لـم يـؤده بـالشكل الصـحيح، فـإن ذلك يسبب كراهيتهم له وعدم احترامه في أنفسهم، حتى لو أظهروا عكس ذلك.

- **عند الإمام أحمد بن حنبل**

ومن خـلال الاسـتعراض لمـا سـبق مـن الصـفات الأخلاقيـة التـي ينبغـي أن تتـوفر فـي المعلـم حسـب مـا يـراه علمـاء المسـلمين أو علمـاء التربيـة الحديثـة مـن الغـربيين، يتضـح أن الإمـام أحمـد بـن حنبـل قـد سـبقهم إلـى ذلـك وأورد بعـض الصـفات الأخلاقيـة التـي يجـب أن تتوافر في المعلم ومنها.

«أن يتحلى بالتواضع، قال عنه أحد تلاميذه يحيى بن معين: «مـا رأيـت مثـل أحمـد بـن حنبلصحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير»[١٢٥]

---

[١٢٤]- المرجع السابق، ص٢٣٢

ومن الصفات أيضا خشية الله ؛ لقوله «العالم من خشي الله»[١٢٦]. فعلى المعلم أن يلتزم بخشية الله ويحث تلاميذه على الالتزام بها .

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يتفقد تلاميذه إذا غابوا عن الدرس وكان يقوم بزيارتهم كما فعل مع «بقي بن مخلد» أحد تلاميذه حينما اعتل عاده وبشره بثواب الله حيث قال : «يا أبا عبد الرحمن أبشر بثواب الله، أيام الصحة لا سقم فيها، وأيام السقم لا صحة فيها اعلاك الله الى العافية ومسح عنك بيمينه الشافية»

وكان ينصح تلاميذه إلى ما فيه خيرهم ويحفظ عليهم علمهم حيث قال لأحدهم: "لا تحدث إلا من كتاب"

تعامله الحسن مع تلاميذه وخاصة ممن يفقدون القدرة على السؤال أو الإستفسار عن بعض ما يريدون فقد لاحظ الإمام أحمد- بالمسجد رجلا غريبا ومعه محبرة، ولم يسأل ذلك الرجل الإمام شيئا فقبل خروجه من المسجد وبعد انتهاء درسه قال للرجل الغريب: «الك حاجة ؟ فقال الرجل الغريب: تعلمني مما علمك الله» ثم دخل الإمام منزله وأحضر كتبا وجعل يملي على طالبه وهو يكتب حتى انتهى من ذلك[١٢٧]

وكان من صفات الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله التواضع والحلم، والحكمة وعدم التعجل أو الحقد، وكان عادة لا يوثر بعض طلابه لأمر من أمور الدنيا، يخاف الله في السر والعلن، دائم البشر، لين الجانب ليس فظا ولا غليظا» [١٢٨]

مما تقدم يمكن للمعلم في العصر الحاضر الاستفادة من تلك الصفات والتحلي بها ومنها احترام تلاميذه والسؤال عنهم في غيابهم، ومداومة النصح والإرشاد لهم، فينصحههم لما يفيدهم، ويحذرهم مما يسبب لهم الأذى، ويلحق بهم الضرر.

✍ ثالثا : الجانب السلوكي

● عند علماء المسلمين

يرى (ابن سحنون) أن على المعلم أن يعدل بين صبيانه – تلاميذه ، ويشير في ذلك الى حديث الرسول عـه «أيما مؤدب ولي ثلاثة صبيان من هذه الأمة، فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين»

أما الغزالي، فيرى أنه من الصفات التي يجب أن تتوافر في المعلم، تعويد الصبيان على الأخلاق الفاضلة، وأن يتسم المعلم بحسن الخلق»[١٢٩]

---

[١٢٥]- عبد الغني الدقر، ص٢٣٠
[١٢٦]- عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص٥٨
[١٢٧]- عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص١٩٠
[١٢٨]- المرجع السابق، ص٢١٨
[١٢٩]- سليمان عبد الرحمن الحقيل، مرجع سابق، ص٢٠٩

ويرى (ابن جماعة) أن على المعلم الالتزام بأداء تعليم العلم، وأن ينزه العلم عن المطامع ، وان يتجنب كل ما يسيء إلي سمعته»[١٣٠]

- **أما ما يراه علماء التربية الحديثة من الغربيين:**

فقد توصل «أوتو» بعد دراسة قام بها للتعرف على الصفات اللازمة للمعلم ومنها أن يكون عادة، بشوشا، أمينة، صادقا، مخلصا، وأن تكون أعماله اليومية، مطابقة للعقل وللمباديء التي يؤمن بها »

ويرى (سارتر وويلز) من خلال دراسته أن على المعلم التعاون، والمساعدة والاخلاص والانضباط الذاتي، والرصانة، والكرامة»

كما يرى (جرانيت) أن على المعلم «أن يكون محبا للاطفال، ويفهمهم» ويرى علماء التربية الحديثة أن على المعلم أن يكون ذا توجيه دميقراطي، ولديه يقظة مهنيةواهتمام بتحسين الذات»[١٣١].

- **عند الإمام أحمد بن حنبل**

وهذه الصفات التي ذكرها العلماء المسلمون أو علماء التربية الحديثة، لا تختلف عن الصفات السلوكية التي ذكرها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، بل قد تفوق على هؤلاء العلماء وزاد بعض الصفات التي ينبغي للمعلم في هذا العصر أن يلتزم بها **ومنها:**

أسداء النصح السليم لطلابه كما فعل الإمام أحمد بن حنبلحينما أرسل اليه أحد شيوخه يوصيه فقال له: «عليك بالصدق، فإنه إن قتلك الصدق، قتلت شهيدا، وإن عشت عشت سعيدة »[١٣٢].

وما كان يتصف به الإمام أحمدمن أخلاق فاضلة وصفات حميدة ومنها «بره بوالدته» وفضل البر بوالدته عن الخروج لطلب العلم»[١٣٣].

وكما فعله مع رجل غريب حينما رأه في المجلس وبيده محبرة ، ولم يسأل عن شيء فبادره الإمام أحمدبقوله له: «ألك حاجة ؟ ثم عندما علم برغبته في طلب العلم أملى عليه من الكتب التي كانت عنده « ومنها قوله عن محابر أهل الحديث «هذه سرج الإسلام».

فيا ليت معلمي عصرنا الحاضر يستفيدون من تلك الآداب ويطبقونها في حياتهم العملية.

١٣٠- إبراهيم حسن عبد العال، مرجع سابق، ص١١٣
١٣١- سليمان عبد الرحمن الحقيل، مرجع سابق، ص٢١٩
١٣٢-عبد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص٢٧٠
١٣٣-عبد الرحمن بن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٧

✍ المعلم قدوة لطلابه

إهتم علماء التربية بجانب القدوة من الوالدين، والمعلم لما لهم من أثر في سلوك الأبناء وقد دعا المربون المسلمون إلى اتخاذ قاعدة القدوة والمحاكاة أساسا للتربية «فالاطفال يأخذون بالتقليد والمحاكاة أكثر مما يأخذون بالنصح والإرشاد، قال عيينه بن أبي سفيان لمعلم ولده «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة عليك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت»

والطفل لا بد أن تكون له قدوة حسنة في أسرته (وفي والديه)، لكي يتشرب منذ طفولته المباديء الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع، والتلميذ في المدرسة لا بد له من قدوة يراها في كل معلم من معلميه يقتنع بما يتعلمه، ويرى فعلا أن ما يطلب منه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق، وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلا في تطبيقه، فلا بد للأب والمعلم - وكلاهما مرب - من التحلي بأفضل الأخلاق يستلهمانها من القرآن ومن سيرة الرسول ﷺ ويصبران على تطبيقها والتحلي بها»[١٣٤] .

ونظرا لما للمعلم من دور كبير التأثير المباشر وغير المباشر على تلاميذه، في جميع تصرفاته وتعامله وأقواله وأخلاقه، لذا فإنه يجب عليه أن يقتدي بأعلام المسلمين السابقين، وأن تكون قدوته الأولى بما جاء في كتاب الله، وما فعله رسول الله ﷺ بالعمل بما بعلم وما يقول وأن يكون عمله وتصرفاته وأخلاقه، مطابقة لما يقول ومطابقة للشريعة الإسلامية، لكي يقتدي به الطلاب، ويكون قدوة حسنة لهم، ويجب على المعلم أيضا أن يتعلم أمور الشريعة الإسلامية وخصوصا ما يتعلق بالعقيدة، ويطبقها في جميع أقواله وأفعاله وأخلاقه .... يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به".

وعلى المعلم أن يتواضع لطلابه، ويحترمهم، ويحثهم على الجد والاجتهاد ويكرم المجد ويشجعه على الاستمرار في اجتهاده، ويحث المقصر على الاستزاده من العلم والجد والاجتهاد ، والعالم والمعلم لهما أثر كبير في حياة الناس، وسلامة عقيدتهم ، وحسن عبادتهم ، فهم المرشدون إلى الحق والهادون إليه بإذن الله، ويشبه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله العالم بالطبيب الذي يعالج الأمراض، فالطبيب يعالج أمراض الجسد، ولكن العالم يعالج أمراض النفس والروح ، فإذا كان صادقا فيما يقول عامة به، هدى الله الناس على يديه، وإن كان غير ذلك، جلب على نفسه وعلى الآخرين الشقاء ، ويقول في ذلك الإمام أحمد بن حنبل«إن الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره»

١٣٤- عبد الرحمن النحلاوي، مرجع سابق، ص٢٣٠

وإذا إنشغل المعلم بالدنيا وجعلها همه الوحيد، ونسي الآخرة، واصبح عمله للدنيا فقط فو أشبه بالطبيب الذي يحضر الداء ليبيعه، فيجب الحذر منه والابتعاد عنه كي لا ينتقل مرضه إلى غيره .

أداب المتعلم

✍ التحصيل العلمي

اهتم كثير من علماء المسلمين السابقين وكثير من علماء التربية الحديثة بالطالب باعتباره أحد محاور العملية التعليمية، وأوضحوا الصفات التي ينبغي على طالب العلم أن يتصف بها.

اولا: الجانب التحصيلي

سوف نكتفي بذكر رأي (الغزالي) باعتباره أبرز من تولى الاهتمام بصفات طالب العلم وان بعض ما ذكره العلماء المسلمون لا يخرج عن الصفات التي ذكرها الغزالي **وهي:**

- على طالب العلم ألا يخوض في فن حتي يدرك الذي قبله فإن العلوم مرتبة ترتيبا طبيعيا
- وعليه أن يدرك أن علوم الدنيا ثمرتها في الحياة الفانية، وعلوم الدين في الحياة الباقية فليفضل الباقي على الفاني.
- وعليه أن يقصد بالعلم تحلية الباطن بالفضائل، وتخليته من الرذائل، ولا يقصد به عرض الدنيا، والرئاسة، ومماراة السفهاء، وينبغي عليه مع هذا ألا ينظر باحتقار إلى العلوم التي هي فرض كفاية أو مباحة مثل: الشعر والعلوم الدنيوية.
- وعلى طالب العلم أيضا أن لا يدع بحثا من بحوث العلم المفيدة إلا درسه فإن العلوم متفاوتة، وعليه ألا يخوض في بحث من بحوث العلم والمعرفة دفعة واحدة، بل يراعي التريث فإن العمر لا يتسع لجميع العلوم.

- **رأي علماء التربية الحديثة**

العلماء التربية الحديثة آراء أيضا عن الصفات التي ينبغي أن تتوافر في طالب العلم في الجانب التحصيلي بعضها قد يتفق مع ما ذكر الغزالي، وبعضها الآخر وان اختلف اللفظ فالمعنى متقارب ومن هذه الأراء، فقد أورد (د.الحقيل ملخصا عن أهم تلك الصفات في نظر علماء التربية الحديثة)

- على طالب العلم الجد والاجتهاد، وأن يسلح نفسه بالعلم، لكي يستطيع أن يجابه مشاكل الحياة، وأن يكون على إلمام بكل ما يتصل بعقيدته الإسلامية.
- وعليه التمسك بالإسلام في كل شئون حياته، كما أن عليه أن يعتمد على الله ثم على نفسه في التحصيل العلمي.
- وأن يشغل وقت فراغه فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع والخير، وأن يحافظ على الدراسة وأن يحترم المواعيد، وأن يقدر قيمة الوقت.

● **رأي الإمام أحمد بن حنبل**

هناك بعض الصفات التى أوردها الإمام أحمد لطالب العلم وسيق بها غيره من العلماء ويمكن لطالب العلم الاستفادة منها في عصرنا الحاضر عند تطبيقها ومنها: الإهتمام بأدواته وأوراقه المدرسية، وأن يحافظ عليها من الفقد والضياع، ومن العبث بها، فهذا الإمام أحمد بن حنبل حينما كان بمكة واعتدى اللصوص على أدواته، لم يسال عن شيء منها سوى الأوراق التي كان يدون الحديث بها، ولما علم بسلامتها لم يهتم بشيء آخر.

كما أن على طالب العلم الأ يرضى بالقليل من العلم، بل عليه الاستزاده منه وطلبه ما أمكن ذلك، وما وجد لذلك سبيلا ، فهذا الإمام أحمد رحمه الله هو صاحب العبارة المشهورة والتي تدل على حرصه على الاستمرار في طلب العلم رغم كبر سنه حيث يقول «مع المحبرة إلى المقبرة » وقال «طلب الاسناد العالي من سنة السلف». كما أن على طالب العلم الاهتمام بتعلم القرآن والسنة والعلوم الشرعية أولا ثم تعلم اللغة العربية، وألا يقصد بعلمه الحفظ فقط وإنما تكون غايته العظمى أن يتفقه في دين الله، ويتعلم كيف يستخرج الأحكام، ويستنبط الأدلة وأن يكون قصده من العلم أولا وجه الله، لأن ذلك يجعل علمه عبادة يثاب عليها وأن يعرف قيمة العلم وأهميته له في حياته في الدنيا والآخرة فالإمام أحمد يشبه العلم كالخبز والماء، ويعتبره أكثر أهمية فيقول «الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء، ثم يضيف إن العلم يحتاج اليه في كل ساعة، والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين».

وقد نبه الإمام أحمدرحمه الله إلى شيء لم يسبق إليه أحد من العلماء السابقين واللاحقين الا وهو الإهتمام بتدوين العلم والحرص على ذلك أشد الحرص، ونبه ايضا أن يكون التدوين بخط واضح مقروء، فإن سبب ضياع العلم رداءة الخط، وقد كان يوصي ابنه عبد الله بقوله «اذهب اكتب في المسجد عن هؤلاء الشيوخ تخف يدك» وعندما رأى أحد طلابه يكتب بخط دقيق أمره ألا يفعل وقال: «أحوج ما تكون إليه يخونك»

ومما تقدم يجب على طلاب العلم الاهتمام بالعلم والشعور بقيمته في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وألا يقف طالب العلم عند مؤهل معين، أو سن معين، بل عليه الاستمرار في

طلبه ما أمكن ذلك كما أن على طالب العلم الاهتمام بتدوين ما يتعلم وأن يكون التدوين بخط واضح حتى لا يتسبب في ضياع العلم، وهذا مما يمكن الاستفادة منه من آراء الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في هذا العصر الذي يشاهد فيه المعلمون عدم اهتمام طلاب العلم بجودة الخط وكثرة الأخطاء الإملائية، والنحوية وعدم اهتمامهم بتدوين ما يتعلمون، وأن أكثر همهم الدراسة والمذاكرة للنجاح واجتياز المرحلة فقط.

✍ ثانيا : أخلاق طالب العلم.

- **رأي علماء المسلمين**

كما اهتم المسلمون وعلماء التربية في العصر الحديث بالجانب التحصيلي لطالب العلم فقد اهتموا أكثر بالجانب الأخلاقي، لانه كما يرى الباحث لا يكون العلم مفيدة ما لم يتحل طالبه وحامله بالأخلاق الفاضلة، وقد ذكر بعض العلماء هذا الجانب وسوف يقتصر الباحث على رأي «الغزالي» أيضا لما سبق أن أوضح عند حديثه عن الجانب التحصيلي لطالب العلم وما ذكره الغزالي عن الجانب الأخلاقي لطالب العلم :

« أن على طالب العلم أن يطهر نفسه من الرذائل، الخبائث الدينية والأخلاقية».

فابتعاد طالب العلم عن السلوك السيء وكل ما يسيء لسمعته أو لسمعة أسرته وعلمه وتحليه بالأخلاق الفاضلة وابتعاده عن الرذائل، واحترامه لنفسه، وللعلم الذي يحمله وكل ما هو شائن، من الأخلاق أو من الصفات السيئة التي تتعلق بالفرائض، مثل عدم الصلاة أو الزكاة، أو احترام والديه، وزملائه أو غير ذلك من العادات، فابتعاد الطالب عنها واتصافه والتزامه بالأخلاق النبيلة، وتمسكه بتعاليم دينه الإسلامي، كلها أمور تعينه بتوفيق الله على التفوق والنجاح في دراسته، وإقباله عليها بصدر منشرح وبنفس راضية تعطيه حماسا للاستزادة من العلم، والرغبة في التفوق، والحصول على أكبر قدر من العلم النافع في الدنيا والآخرة .

- **رأي علماء التربية في العصر الحديث**

يرى علماء التربية في العصر الحديث أن على طالب العلم أن يتصف بالصفات الأخلاقية **التالية :**

أن يتحلى بالصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة، وأن يبتعد عن مواطن الشبه، وأن يتجنب عنها وأن يتصف بالصبر في مواجهة المشاكل التي تواجهه أثناء دراسته، وطلبة العلم وأن يحرص على احترام الآخرين - معلمين وزملاء وغيرهم - وعدم الخط من قدر زملائه مهما كان مستواهم الدراسي.

- **رأي الإمام أحمد**

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد أورد بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم يشمل بعضها ما سبق من آراء العلماء المسلمين وعلماء التربية الحديثة، فقد سبقهم إلى تلك الصفات وزاد عليها **ما يلي:**

أن يتصف طالب العلم بالجد والصدق والأخلاق الفاضلة، والهدوء عند طلب العلم وألا يترفع عن العلم، وقد كان الإمام أحمد رحمه الله متميزا بين أقرانه بسمت وجد، ونية صادقة من غير صخب، ولا ترفع، وقد ورث صفات أبيه وجده، من امتلاك النفس، وغلبة الصمت على الكلام، كما أن من الصفات الأخلاقية لطالب العلم والتي يجب أن يستفيد منها طلاب العلم في العصر الحاضر هي احترام أدوات الآخرين من

زملائهم، وان يتأدب معهم إذا احتاج إلى شيء من تلك الأدوات، فقد كان الإمام أحمد بن حنبل لا يجيز لأحد أن يكتب من محبرة أخر إلا بإذنه، ثم يكون ذلك دينا يجب قضاؤه، ولم يجز لأحد من الطلاب أن يلتقط أوراقا سقطت من صاحبها، وأوجب عليه أن يعرفها كاللقطة فيأخذها صاحبها بعد ردها إليه، كما أن على طالب العلم احترام مجلس العلم وأن يكون متسما بالوقار والاحترام من التلميذ المعلمه وان يقدر قيمة العلم الذي يتعلمه.

هذه بعض الأراء التي يمكن لطالب العلم أن يستفيد منها في عصرنا الحاضر من منهج الإمام أحمد وعلى المعلمين الاهتمام بتوجيه تلاميذهم للتحلي بها، ومتابعتهم في ذلك وتوجيههم إليها باستمرار، لأنها من اخلاق ديننا الإسلامي الحنيف ، ويجب على طالب العلم أن يتمسك بها وفي جميع أحواله، وتصرفاته.

✍ ثالثا : الجانب السلوكي

- **رأي علماء المسلمين**

سلوك طالب العلم يخبر عن مدى تعلمه وتأثير ذلك العلم عليه ، فالسلوك تطبيق عملي لحصيلة ما تعلمه الطالب، لذا فقد اهتم العلماء من قديم - بأن يكون سلوك الطالب سلوكا يتفق مع الشريعة الإسلامية ومع ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم. وقد أورد علماء المسلمين السابقين أهم الصفات السلوكية لطالب العلم. سوف يقتصر الباحث على ذكر أراء (الغزالي) في هذا الشان بسبب ما تقدم ايضاحه عند الحديث عن الجانب التعليمي لطالب العلم ومن الصفات التي **ذكرها الغزالي:**

على المتعلم أن لا يتكبر على معلمه، بل يلقي إليه زمام نفسه ، يفعل به ما يريده فالتكبر على المعلم يدل على مدى ما وصل إليه طالب العلم من الحمق والغباء وعدم احترامه للعلم، الذي يتعلمه، فكيف يحترم العلم من لا يحترم من يعطي العلم وهو المعلم

---

[١٣٥]- سليمان عبد الرحمن الحقيل، مرجع سابق، ص١٢٤

وإن احترام المعلم وتقديره، والشعور بأهميته وقميته لدى الطالب، مما يسهل له طلب العلم ويحقق له الاستفادة من المعلم ومن تقدير المعلم واحترامه، تنفيذ توجيهاته التي يحرص من خلالها على إقادة تلميذه، وزيادة حصيلته العلمية، وتأدب الطالب مع معلمه يزيده احتراما وتقديرا لدى معلمه، ويعطي المعلم الفرصة البذل المزيد من الجهد، والحرص على وقت الطالب، واستفادته ومن احترام المعلم الإنصات له حين يلقي درسه، ومتابعته خلال ذلك وعدم العبث أو اللعب بأي شيء، وعدم الإنشغال عن شرح المعلم، بل الإنصات اليه في هدوء وبادب واحترام، ومن احترام المعلم تدوين ما يكتبه المعلم على السبورة من فقرات الدرس التي يرى فيها تحقيق فائدة أكبر لتلاميذه، كذلك الأدب مع المعلم حين سؤاله أو حينما يطلب منه المعلم أن يتحدث عن فقرة أو يبدي رأيه فيها، فالقيام أثناء الكلام يعني احترام الطالب للعلم الذي يتعلمه، ويعكس مدى أدبه واحترامه لمعلمه، كذلك حل الواجبات التي يطلبها المعلم وتنظيم الدفاتر والعناية بها دليل اهتمام الطالب واحترامه لمعلمه وللعلم. كذلك مذاكرته لدروسه في المنزل تدل على اهتمامه بتحصيله والإستفادة مما أخذه من علم في المدرسة.

- **رأي علماء التربية في العصر الحديث:**

العلماء التربية في العصر الحديث آراء أيضا في الجانب السلوكي لطالب العلم **ومنها:** أن على المتعلم أن يتمسك بالقيم والمفاهيم الإسلامية، وأن يكون قدوة حسنة الزملائه داخل المدرسة وخارجها، وأن يعرف ما عليه من حقوق وواجبات دينية وأسرية، ووطنية وأن يبتعد عن منحرفي السلوك داخل المدرسة وخارجها، وأن يبتعد عن كثرة المزاح لأنها تسقط الهيبة وأن يساهم بقدر استطاعته في القضاء على العادات السيئة المنتشرة بين الطلاب كالميوعة والخنفسة، والتدخين، وعدم احترام المعلمين[١٣٦].

- **رأي الإمام أحمد**

هذه الصفات التي ذكرها علماء المسلمين وعلماء التربية الحديثة، قد سبقهم إليها الإمام أحمد بن حنبل وذكر من الصفات ما ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها، قبل أن يذكرها هؤلاء العلماء بزمن طويل وقد زاد عليها بعض الصفات **ومنها:**

احترام المعلم والعلم الذي يتعلمه طالب العلم، فقد كان أحب الناس إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وأفضلهم عنده، واجدرهم بتعظيمه المحدثون فقد قال عنهم أصحاب الحديث أمراء العلم، ومن عظم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله، كما قال الإمام أحمد عن أصحاب الحديث والمحابر التي في أيديهم «هذه سرج الإسلام». وهذا يدل أكبر دليل على احترام العلم والعلماء، ومدى ما

---

[١٣٦]- المرجع السابق، ص١٢٩

وصلا إليه من رفعة شأن وعلو مقدار، وما ينبغي على طالب العلم أو المجتمع حيالهم، ومن احترام المعلم وتواضع طالب العلم له. أن الإمام أحمد بن حنبل جاء إلى خلف بن هشام يسمع حديثه فاجتهد - خلف - أن يرفعه - فأبي وقال: لا أجلس إلا بين يديك - أمرنا أن نتواضع لمن نأخذ عنه العلم. وقال الإمام أحمد إجلال العالم وإجلال العلم صنوان.

كما أن على طالب العلم الرجوع إلى مصادره للإستفادة منها وعدم الاكتفاء باخذ العلم عن المعلم لأن في ذلك زيادة لثروته العلمية، فقد يختصر المعلم مراعاة لمستوى بعض الطلاب أو لعدم اتهامه بالخروج عن المنهج المقرر - لذا على طالب العلم الرجوع ما أمكن إلى المصادر التي يستطيع الاستفادة منها وخاصة طلاب الثانوية والجامعة وخاصة فيما يتعلق بأمور الدين فقد قال الإمام أحمد في ذلك «لا تقلد دينك الرجال، فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا ومن ترك الحديث ، وأخذ بقول الرجال فقد ترك من لا يغلط إلى من يتلط»

وعلى طالب العلم أن يتلقي العلم وهو في حالة وقار واحترام وهيبة، فقد كان تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وخشع بين يديه يهابون أن يردوه أو يحاجوه وغيرهم له أهيب.

كما أن على طالب العلم أن يجالس من هو أفضل منه علما وأخلاقا، وأكثر قدرة على حفظ العلم ، خاصة ممن يتصفون بالأخلاق الحميدة فهؤلاء لا غنى لأحد عنهم، وقد قسم الإمام أحمد رحمه الله طلاب العلم حسب تحصيلهم ومستواهم العلمي وقدرتهم في الإتقان إلى قسمين «قسم هم في علية القوم وهم أقلهم، فهؤلاء أولى بأن يسمع منهم ويتخذ الأصحاب من بينهم ولا غنى لأحد عنهم ، وقسم يتساوون في العلم والقدر وهم أكثر»

فرأي الإمام أحمد أن يجلس إلى أكبر عدد منهم فياخذ ما يثق به ويترك ما لايثق به. وفي هذا التحذير من الاختلاط لذوي الأخلاق الفاضحة وعدم الجلوس معهم . كما أن على طالب العلم أولا وأخيرا احترام والديه وطاعتهما والاعتراف بفضلهما والبر بهما فقد كان الإمام أحمديتخلف عن دروس العلم إذا كانت بعيدة ، وتحتاج إلى سفر خوفا من عدم رضا أمه وعدم مخالفة رغبتها فيقول الزملائه «أمي لا تدعني»

فهذه بعض الأخلاق والصفات التي يجدر بطلاب العلم في هذا العصر التخلق والتأدب بها خاصة، ما دخل على التعليم وما أصبح يتخلق به بعض طلاب اليوم من عدم احترام للعلم والمعلمين، واستعمال العلم في غير موضعه، وتلويث البيئة ببعض الكلمات الخارجة عن الدين الإسلامي وأخلاقه السمحة، وهذا ما نلاحظه جميعا من كتابات على الجدران من بعض من ينتمون إلى طلب العلم هم أبعد ما يكونون عن أخلاقه وآدابه.

وهي ما يستخدمه المعلم من أساليب ملائمة لمستوى التلاميذ واعمارهم الزمنية والعقلية، لتوصيل المعلومات المرادة اليهم بأسلوب يسهل عليهم فهمها وإدراكها.

وقد تنوعت طرق التدريس واختلفت بحسب اختلاف العلماء حيالها وبحسب النظم الدينية والسياسية والجغرافية والاقتصادية لكل بلد، وكذلك تختلف في البلد الواحد بحسب اختلاف المواد الدراسية وبحسب عمر الطلاب الزمني والمرحلة الدراسية التي يدرسون بها.

ويعرف (فينكس، ١٤٠٢) التدريس بأنه «عملية توجيه النمو الإنساني طبقا النموذج مختار»

ويرى الدكتور(سعيد اسماعيل،١٤٠٦): «أن طرق التدريس تختلف بحسب المواد الدراسية فمثلا : القرآن اكريم وهو المحور الرئيسي للدراسة نلاحظ أن القراءة أفضل وجه لتعليم القرآن الكريم»

إن الطرق التربوية تساعد المدرس على معرفة الظروف المناسبة لكي تصبح الدراسة شيقة وواضحة بالنسبة للتلميذ، ومناسبة لمستواه، ووثيقة الصلة بحاجاته، حتى يقبل عليها ويستفيد منها لتنمية قواه واظهار مواهبه، ودفعه إلى التفكير [١٣٧].

وتقسم طرق التدريس إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة مواقف **هي**:

- موقف يكون التلميذ فيه سلبيا يفرض عليه منهاج معين، ويقوم المدرس بعمليات الشرح والإلقاء.
- موقف ذاتي: أو نشاط ذاتي للتلميذ يعتمد فيه على نفسه في الدراسة والتحصيل ويقتصر عمل المدرس على الإرشاد والتوجيه (طريقة دالتون).
- موقف تعاوني: ويكون بتعاون المدرس والتلميذ فيما بينهما، تعاونا ديمقراطية في وضع الخطط وتنفيذها وتقويمها (طريقة الشروع) [١٣٨]

ومن حيث أهمية طرق التدريس في التعلم، نرى أنها من أهم الوسائل للتعلم وأكثرها فائدة بحيث تعمل على توصيل المعلومات والخبرات للتلاميذ في أقصر وقت وبأقل جهد ويبقى أثرها لدى التلاميذ خاصة كلما كانت مناسبة لمستويات التلاميذ وأعمارهم، وحيث إن الطريقة تؤدي إلى التعلم فهناك خصائص أساسية يفضل مراعاتها لكي يحقق التعلم أهدافه ومنها:

[١٣٧]- إبراهيم ناصر، مرج سابق، ١٩١
[١٣٨]- المرجع السابق، ١٩٢

أن يقوم التعلم على إيجابية التلميذ ونشاطه، وأن يؤدي هذا التعلم على تلبية الحاجات لدى التلميذ لأن وضوح الهدف والغاية وتلبيتها لحاجة التلميذ تجعل التعلم أكثر فائدة للتلميذ وتولد لدى التلميذ الرغبة في التعلم، وأن يقتصر دور المعلم على تهيئة الظروف المناسبة أمام كل تلميذ لكي يتعلم بنفسه، يجب أن يبدأ التعليم بواقع الفرد، وألا يتجاهل خبراته السابقة فالتعلم الجيد يبدأ بما لدى التلاميذ من خبرة ويعمل على تصحيحها وتوجيهها، أن يبدأ التعلم بالإدراك الكلي للمواقف ويتوقف على التفاعل المثمر مع البيئة، وينشأ عليه اكتساب التلميذ خبرة جديدة متعددة الجوانب من الواجب أن يؤدي التعلم إلى تعديل السلوك، أما إذا اقتصر دوره على تحصيل المعرفة فإن ذلك هو التعلم العقيم والعلم الذي لا ينفع، وأفضل التعلم ما يثير التفكير ويعمل على تنمية القدرات والابتكارات لدى التلميذ ، ويجب أن يهتم التعلم بالنواحي الفردية للتلاميذ، ومراعاة مستواهم وحاجياتهم»[١٣٩]

ويرى الإمام أحمد بن حنبل أن لطريقة التدريس أثر على مدى تعلم التلميذ وقدرته على التحصيل ويرى أن يكون الهدف من التعليم التفقه في الدين أولا، وتعريفهم بطريقة استخراج الأحكام واستنباط المسائل بحسب احوال التلاميذ ومستوياتهم الزمنية والعقلية وألا يركز المعلم جهده على حفظ التلاميذ للمعلومات المعطاة لهم فقط حيث يقول: «ألا تكون غايته - الشيخ أو المعلم - أن يحفظ طلابه ويجمعون، وإنما تكون غايته أن يعلمهم كيف يستخرجون الأحكام ويستنبطون المسائل، وأن يعلمهم التفقه في دين الله قبل ذلك»[١٤٠].

إذن فالإمام أحمد يرى أن الغاية من التعلم هو معرفة استنباط المسائل، واستخراج الاحكام والتفقه في الدين، وليس حفظ المعلومات، لأن الحفظ مهما بلغت قوته، فإنه سوف يؤدي حتما إلى النسيان، ولكن الفهم والقدرة على الاستنباط، واستخراج الاحكام، هي التي تبقى وتثبت لدى المتعلم، وهو يدعو بذلك المعلمين ويحثهم على التركيز على تعليم طلابهم وإفهامهم لما يعلمونهم، لأن الفهم أساس القدرة على الاستنباط، واستخراج الأحكام وليس الحفظ فقط فالحفظ في بعض المسائل والأحكام، يكون ضرورية، ولكن لا يكون حفظة بدون فهم، بل يكون حفظا بفهم أدى إلى الثبات والرسوخ للمعلومات في أذهان التلاميذ واتباع المعلم للطرق التربوية المناسبة لتلاميذه ، تحقق له الفائدة من التعلم ، وبها يظهر جهده ويستفيد طلابه ، أما التخبط في إلقاء المعلومات للتلاميذ، أو عدم قدرة المعلم على استخدام الطريقة المناسبة التي يوصل بها المعلومات إلى تلاميذه، كل ذلك يؤدي إلى تضييع الوقت على التلاميذ، كما يؤدي إلى عدم تحقيق الفائدة من التعلم، بل قد يؤدي الأمر إلى نفور التلاميذ من هذا المعلم ومن المادة التي يقوم بتعليمها، وحيث إن المعلم مؤتمن على فلذات الأكباد فعليه مسئولية كبيرة، وأمانة عظيمة ملقاة على عاتقه، فعليه أن يعمل جهده في

---

[١٣٩]- عبدالحميد سرحان الدمرداش (المناهج المعاصرة) الكويت، مكتبة الفلاح الطبعة الثالثة ، ١٩٨١م
[١٤٠]صرعبلا٨الغني الدقر، مرجع سابق، ص٨٤

اختيار الطرق التربوية المناسبة لتلاميذه والتي تحقق لهم أكبر قدر من المعلومات والمحافظة على أوقاتهم، وعدم إهدارها، لأنه محاسب أمام الله ﷻ عن ذلك، لذا على المعلم أن يحرص أشد الحرص على إفادة تلاميذه، وإكسابهم أكبر قدر من المهارات المعرفية وعدم إهمال الوقت وتضييعه فيما لا يعود على طلابه بالفائدة فالوقت ثمين وفي ضياعه في غير فائدة ضياع لطلابه «ولأن طرق التعليم أمر ذوقي، وأمانة مودعة عند المعلم، فمن أداها أثيب على أدائها ومن جحدها كان مطالبا بها»[١٤١].

مما سبق نوضح مدى اهتم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بأساليب وطرق التدريس ومدى ما تحققه من فائدة إذا أحسن المعلم استخدامها وفي استخدامها تسهيل للمعلم للقيام بعمله خير قيام ، وتسهيل للطالب في اكتساب المعلومات برغبة صادقة، وبشوق كبير ويستطيع اكتساب اكبر قدر من الفائدة، وبهذا يتضح من مدى ما وصل إليه علماء المسلمين من معرفة وإلمام بالأساليب التربوية وتأثيرها على تحصيل الطلاب، حيث سبقوا بذلك علماء القرن الرابع عشر الهجري، من العلماء الغربيين.

تعليم المرأة

لم تكن للمرأة في الجاهلية المكانة الطبيعية، بل كان بعض العرب يتذمرون ويكرهون ولادة البنات لأحدهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [سورة النحل: الآية ٥٨] فكان أسوأ خبر يسمعه أحدهم هو إخباره بأنه ولد له بنت، وكثيرا ما كانوا يدفنون بناتهم في التراب أحياء خشية العار وقد لامهم الله ﷻ في عملهم هذا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [سورة التكوير: الآية ٨] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكوير: الآية ٩] ثم جاء الإسلام، وجعل للمرأة المكانة الطبيعية التي إرادها الخالق ﷻ لها وقرر لها حقوقا كما قرر عليها واجبات تؤديها، فلها حقوق على والدها في حسن تربيتها والعناية بها، وعلى زوجها بالبر بها ومعاملتها بالحسنى وتوفير حاجياتها، وحسن معاشرتها، ثم على الابن بالعطف والرحمة بها والبر بها والاحسان اليها، خاصة في الكبر قال تعالى ﴿ .... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي

---

[١٤١]- ابن بدران، مرجع سابق، ص٢٠

عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَا . . . . ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٨] كما أقر الاسلام حق الملكية الفردية للمرأة

بقوله تعالى: ﴿ . . . . وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ . . . ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٢].

ومن الحديث قوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا ...» (متفق عليه) وقال رسول الله عنه: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، وضم أصابعه» رواه مسلم[١٤٢]

وقال: « من ابتلي من هذه البنات بشيء فصبر عليهن وأحسن اليهن كن له سترا من النار » متفق عليه[١٤٣]

وهذا يدل على إهتمام الإسلام بالمرأة، وإعطائها حقوقها كاملة، وصيانة عرضها وشرفها وإعطائها من الحقوق والواجبات ما يوفر لها الحرية، والأمن، والحياة الكريمة بعيدة عن الابتذال والامتهان والإكراه. كما اهتم الإسلام بتعليمها ما يتناسب مع طبيعتها الإنسانية، وصفاتها الجسمية، وقدراتها الانفعالية ، وقد جاء في الأثر «طلب العلم فريضة على كل مسلم » وهذا يشمل الرجل والمرأة - والله أعلم.

«إن الإسلام يريد من المرأة أن تبقى - كما هي فطرتها الأصلية - زهرة موقوفة على تعطير بيتها، وجوهرة مصونة في يد زوجها، وينبوعا قياسا بالعطف والحنان والتربية السليمة القوية لأولادها، يريد الإسلام المرأة ذات الدين ، صالحة الخلق، لتكون خير متاع الدنيا لزوجها ، وأفضل معلمة لولدها وأوفي راعية لشرف بيتها »[١٤٤]

أما ما يريده الخارجون على قانون الفطرة، المفسدون لنظام الحياة فهو ان تكون المرأة رجلا، باسم المساواة بين الجنسين، وبدعوى افتقادها للحرية والكرامة في ظل سيطرة الرجل عليها وهم - في الواقع - لا يبتغون من وراء ذلك إلا أن تخرج عن حماها المنيع، وأن تنزل من عرشها الرفيع، وتنسلخ من فطرتها الرقيقة الأبية إلى ميدانهم الصاخب، لتنطيع بطبعهم وتعمل عملهم، وتلهو لهوهم، وتنساق إنسياقهم في التلذذ والتهتك والانحلال، إنهم يريدونها سلعة وضيعة، كما يريدونها دمية ليضعوا صورها في إعلانات السينما ، وأدوات الزينة والغسل والعطور، وعلى اغلفة الكتب والمجلات ويوظفونها في

---

[١٤٢]- النووي ، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (رياض الصالحين) تحقيق عبد العزيز رباح وأحمديوسف الدقاق، دمشق، دار المأمون للتراث،الطبعة الرابعة، ١٩٠١ - ١٩٨١م، ص١٢٨.

[١٤٣]- المرجع السابق، ص١٣٨

[١٤٤]- أحمدمحمد جمال (محاضرات في الثقافة الإسلامية القاهرة - مطبوعة الشعب، الطبعة الثالثة ١٩٧٥م ص١٤٢

مكاتب التجارة والسياحة ... لتجذب الزبائن، فهم في الواقع يهينونها ويزعمون أنهم يكرمونها ، وشتان بين ما يريده الإسلام، وما يريده هؤلاء الخارجون على النظام»[١٤٥]

وعن تعليم المرأة يقول (الأستاذ/ أحمد جمال، ١٣٩٥) «يرسل النسائيون الدعاوى العراض الطوال عن جهل المرأة المسلمة، ويزعمون زورا: أن الإسلام يحرمها من التعليم أو يحرمه عليها، مع أن الإسلام لا يحرم تعليم المرأة بل يحض عليه، ويدعو إليه، ويجعله فرضا كما هو فرض على الرجل، ولكنه لا يذهب بعيدا في مدى تعليمها ما لا تحتاج إليه في بيتها ومعاملة زوجها، وتربية أولادها وشئون دينها، فعلى المرأة - في نظام الإسلام، أن تتعلم أحكام دينها وأركانه وواجباته وعباداته من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيره، وعلى المرأة كذلك- أن ترسخ عقيدتها الدينية، وتتوجه إلى السماء دائما لترفع بأعمالها وعقيدتها وتضحياتها في سبيل الزوج والأولاد، عن المستوى الأرضي المادي الحقير. ولكن الإسلام - وهو يحث المرأة على التعلم - يريد منها أن تتعلم كل ما تستطيع أن تعلمه بدورها المثيلاتها من النساء فتنتفع به بنات جنسها: كالطب النسائي، وطب الأطفال، والتمريض والتوليد، والتدريس في معاهد ومدارس البنات، وإدارة هذه المدارس النسائية. حيث تؤدي خدمة إنسانية ، ووظيفة نافعة من ناحية، وحيث تؤمن فتنتها والفتنة بها من ناحية أخرى إذ تؤدي عملها في محيط نسائي خاص والإسلام يحث على تعليم المرأة لمصلحة بيتها وأولادها، فأولاد الأم المتعلمة تتوفر فيهم عادة الصحة والذكاء ومكارم الأخلاق لأنهم يعيشون مع أم تغذيهم فكريا وعاطفيا وخلقية. إن المرأة كالرجل، ميزتها وقيمتها الخلق لا العلم، بل الخلق الحسن في المرأة مرغوب ومطلوب اكثر منه في الرجل.

وحيث إن ما ذكر سابقا هو ما يريده الإسلام من المرأة ولها، العفاف، وصون كرامتها وتعليمها ما تفيد به بنات جنسها، أو تخدم النساء مثلها في الطب، الصيدلة التمريض بحيث لا يودي ذلك إلى اختلاطها بالرجال، وتساعد بذلك زوجها في نفقات حياتها «فقد عملت أزواج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بغزل الصوف وقام هو ببيعه وهو بذلك يضرب المثل على وجوب العمل على الرجل والمرأة باليد والفكر»[١٤٦]

ومن عمل المرأة الذي يقره الإسلام، طلب العلم والتزود بالمعلومات وبخاصة ما يفيدها في أمور دينها، ويقوي عقيدتها، ويرسخ إيمانها، ويجعلها قادرة على تربية ابنائها تربية إسلامية قائمة بحقوق زوجها وأسرتها، ينشأ بذلك المجتمع الصالح، كذلك من أنواع العلم المطلوب للمرأة المسلمة ما يفيد في تعليم بنات المسلمين ويؤهلها للعمل في مدارس البنات، على اختلاف مراحلها، كذلك طلبها العلم لتعلم الطب النسائي، حتى تقوم بالكشف

١٤٥- المرجع السابق، ص١٤٢

١٤٦-عبد الحميد الجندي، مرجع سابق، ص١٤٩

وعلاج نساء المسلمين وبناتهم وكذلك تخصص التوليد وأمراض الأطفال والعمل في مجالات التمريض، كل هذه الأعمال أباح الإسلام بل أوجب على المرأة المسلمة تعلمها.

وقد كان للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله مجلسان للتدريس أحدهما في المسجد العموم تلاميذه والأخر خاص بالمنزل لتعليم أسرته، وقد روى عنه الحديث «نساؤه وبعض نساء طلابه»[147]

ومن ذلك نتبين نظرة الإسلام للمراة وتكريمها، وصونها عما يدنسها، ويذلها، وما ينبغي عليها تعلمه.

الأساليب التعليمية

✍ المناظرة:

تقوم المناظرة في الغالب بين عالمين أو شيخين، أو أكثر وتدور حول مسألة ما يبدي كل من المتناظرين وجهة نظره، والأدلة التي يستند إليها - إذا كان ذلك في حكم شرعي - أو يوضح المبررات والحقائق العلمية التي تؤيد وجهة نظره، ويتبارى في ذلك أعضاء المناظرة «المشاركون فيها، حتى يتم اقتناع الأطراف المتناظرة، واجتماعهم حول نظرة واحدة ، وراي واحد حول الموضوع المتناظر عليه.

ومن العصور التي كثرت فيها المناظرة، عصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. وذلك نتيجة إلتقاء الثمرات الفقهية والعلوم الإسلامية، حيث يعتبر ذلك العصر، عصر المناظرات بما فيها من جدل ونقاش، وكان ابن قتيبة يمثل معركة التقاء الثقافات، في كتابه اختلاف اللفظ فيقول: «كان المتناظرون في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع والمستعمل من الواضح وفيما ينوب الناس، فينفع الله به القائل والسامع وكان أكثر هذا التناظر في عهد ابن قتيبة» حيث خرج عن طلب الفائدة، وأصبح يستعمل للانتقاد، وإظهار لكل مذهب مذهبه ونقد غيره فصار فيما دق وخفي، وفيما لا يقع، وصار الغرض منه، الغوص عن غريبة، وردا على متقدم فهذا يرد على أبي حنيفة، وهذا يرد على مالك ....»[148]

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لا يحب الجدل، وهو بطبعه ودينه وورعه أبعد الناس عنه، ولكنه يتحرى البحث عن الحق، فإن اعتقد أنه وصل اليه التزمه، ودافع عنه المناقين له، والمتشككين فيه، ولكنه يعتمد في أدلته علي ما في كتاب الله وسنة رسوله .

وكانت هناك مناظرة بين الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله والإمام الشافعي رحمه الله حول تارك الصلاة» كما كانت هناك مناظرة بين الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله وبين

---

[147]- عبد الرحمن الجوزي. مرجع سابق، ص١٠

[148]- التركي ، د عبدالله عبدالمحسن (أصول مذهب الإمام أحمدبن حنبل) الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة الطبعة الثانية ، ١٣٩٧ه - ١٩٧٧م، ص٢٤

الجهمية بحضور الخليفة العباس، الواثق وقبله المعتصم حول «القرآن» وقول الجهمية أنه مخلوق[١٤٩]

أما في العصر الحاضر فيرى الباحث أن مثل تلك المناظرات معدومة، ولم يعد هناك مجال لها، ويرى أنه لوأعيدت لمناقشة كثير من الأمور التي تهم العامة، سواء في مجال التربية أوغيرها من المجالات، لأعطت مردودة إيجابيا على الحضور، ولاهتم العلماء بالبحث الدقيق كل فيما يخصه لإبراز جوانب قوته والجوانب التي يرى حسنها، والأخرى التي لا يفضلها، مع توضيح ما يراه من حقائق وحجج وبراهين لإثبات رأيه، فهو اكثر فائدة

✍ المذاكرة:

هذا النوع من الأساليب التربوية غير موجودة الآن وخاصة بين العلماء بينما كان موجودة بين العلماء قديما، فيجتمع عالمان أو اكثر، ليذاكر بعضهم البعض الآخر، وخاصة في مجال الحديث كما في عصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ليتأكد كل منهم من صحة السند والطريق التي أخذ بها الحديث، ومعرفة رجالاته.

قال الخلال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: كنت أذاكر وكيعا بحديث الثوري فكان إذا صلى العشاء الأخرة خرج من المسجد إلى منزله، فكنت أذاكره فريما ذكر تسعة أحاديث أو عشرة فاحفظها». وقال الترمذي سمعت قتيبة بن سعيد يقول كان وكيع إذا صلي العتمة فينصرف معه أحمد بن حنبل، فيقف على الباب فيذاكره وكيع فأخذ وكيع ليلة بعضادتي الباب ثم قال: يا أبا عبد الله أريد أن القي عليك حديث سفيان قال هات ...»

فالمذاكرة تفيد كلا من المتذاكرين ويستطيع كل واحد منهما أن يصحح ما لديه من معلومات، أو يتأكد من صحتها، لذا نرى أن هذا الأسلوب التربوي مفيد جدا، فلو تخصص لقاءات بين العلماء، وأساتذة الجامعات وبين المعلمين، ويعرض كل منهم رأيه، وما لديه من علم عن موضوع معين ثم يناقش زميله أو زملاءه في المعلومات التي قدمها ومدى صحتها من عدمها، أوما ينقصها خاصة أننا أصبحنا نعيش في زمن يمر سريعا، وتزداد المؤلفات والكتب في كل فن من فنون العلم بشكل كبير، قد لا يمكن العالم الإلمام بجميع جوانبها ففي عقد مثل هذه اللقاءات يعرض كل من العلماء ما اطلع عليه من أمور تخص هذا العلم أو ذاك وبذلك تتحقق فائدة كبيرة.

ويمكن أن يحضر هذه المذاكرة طلاب العلم للاستفادة منها، وزيادة المعلومات والتعرف على الكتب والموضوعات التي تهم كل منهم، وتساعده في تخصصه.

---

[١٤٩]- عبد الغني الدقر، مرجع سابق، ص٨٧

✍ القراءة:

وتكون باسلوبين:

قراءة الشيخ أو المعلم على الطلاب أو قراءة التلميذ على شيخه - معلم- وهذا الأسلوب التربوي يستخدم في عصرنا الحاضر في مادة القرآن الكريم، حيث يقوم المعلم بقراءة الآيات المطلوبة أمام تلاميذه وهم يتابعونه في المصاحف وبعد انتهائه من القراءة يقوم التلاميذ بإعادة القراءة لتلك الأيات فردا فردا حتى يتأكد المعلم من سلامة نطقهم وتجويدهم لها.

وهذه الطريقة تستخدم إذا كان عدد الطلاب قليلا بحيث يتمكن المعلم من سماع قراءة جميع تلاميذه، أما في حالة كثرة عدد الطلاب فيقوم المعلم بالقراءة ومن بعده التلاميذ يرددون ما يقرأه عليهم المعلم.

كذلك يستخدم هذا الأسلوب حاليا في مادتي القراءة والأناشيد بحيث يقوم المعلم بالقراءة ثم يتبعه بعض الطلاب إذا لم يكونوا جميعا، وبذلك تتم إجادة التلاميذ لقراءة هذا الموضوع أو يتأكد المعلم من إجادتهم له أو حفظهم لموضوع الأناشيد .

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يستخدم هذا الأسلوب حيث يقوم بالقراءة على شيخه، قال عبدالله ابن الإمام أحمدبن حنبل: حدثني أبي قال: «قرأت على يحيى بن سعيد وحميد بن عبدالرحمن»·

وقال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل«حدثني أبي وقرأته عليه» . ففي الفقرة الأولى قراءة الإمام أحمد بن حنبل على شيوخه، والثانية قراءة ابن الإمام أحمد عليه وكلتا الحالتين تعني قراءة التلميذ على أستاذه لمعرفة مدى إجادة التلميذ للقراءة، أو الموضوع المراد.

✍ الكتابة:

تعتبر من أهم وسائل التربية، فبها يتم حفظ العلم من الضياع والنسيان، وبواسطتها يتم نقل المعرفة، والثقافة عبر الأجيال، وهي الوسيلة للعلم والتقدم والحضارة على طول الأزمان وبها يقوم طالب العلم أو المعلم بتدوين ما يود الإحتفاظ به، أو الرجوع إليه، كما يتم بواسطتها تأليف الكتب ونقل المعارف من بلد إلى بلد، وهي وسيلة من وسائل نقل ثقافة المجتمعات بين الدول، وتعتبر أيضا احدى الوسائل التي تدعو للخير إذا أحسن استغلالها كما أنها قد تكون وسيلة من وسائل الغزو الفكري، وتقاس كل أمة في تقدمها العلمي والصناعي، باهتمامها بالكتابة والتدوين.

كما كانت الكتابة من وسائل الدعوة الإسلامية التي استخدمها الرسول عه يدعو فيها حكام البلاد الأخرى إلى الاسلام مثل: قيصر الروم وكسرى فارس، ومقوقس مصر وغيرهم «بعد صلح الحديبية حيث أرسل كتبه إلى هؤء مع بعض أصحابه » ومنهم (سليط

بن عمرو وعامر بن لؤي) إلى صاحب (اليمامة)، و(العلاء بن الحضرمي) إلى صاحب (البحرين) و(عمرو بن العاص إلى صاحب (عمان) و(حاطب بن أبي ثعلبة) إلى (المقوقس) صاحب الاسكندرية (مصر) (وحية بن خليفة) إلى هرقل ملك الروم) [١٥٠]

وقد كان العلماء الأجلاء يرسلون كتبهم إلى بعضهم للنصح والإرشاد والحث على التقوى وزيادة الطاعة لله ﷻ فمن ذلك كتاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى«يعقوب» يقول له فيه: «أما بعد: فإن الدنيا داء والسلطان داء والعالم طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره والسلام عليكم» وفي هذه الرسالة ما فيها من النصح والإرشاد، كما أن الإمام الشافعي رحمه الله، أرسل إلى الإمام أحمد بن حنبل– قبل المحنة - يخبره بما رآه في المنام حول المحنة ويبشره بها.

فالكتابة ضرورية جدا لطالب العلم حيث يدون ما يريد تعلمه، ليستفيد منه في مذاكرته وخاصة طلاب العلم الذين يدرسون في المدارس في العصر الحاضر، فعليهم الاهتمام بتدوين العلم وما يمليه أو يكتبه لهم المعلم لما في ذلك من الفائدة الجمة، والخير الكثيرومساعدتهم على التحصيل الجيد وأن يكون التدوين بخط واضح مقروء ويرى أن على المعلمين وخاصة من يجيد الخط أو معلمي مادة التربية الفنية، ومادة الخط، أولا أن يحسن اختيارهم لتدريس هاتين المادتين من قبل إدارة التعليم، ومديري المدارس ممن يجيد الخط ويتقنه .

أن يهتم أولئك المعلمون بتدريس هاتين المادتين بشكل جيد وخاصة مادة الخط بتدريب طلاب العلم على أسلوب وطريقة الخط الجيد ورسم الأحرف الرسم الصحيح ويكون ذلك بأنواع الخطوط خاصة (خط الرقعة) وخط (النسخ).

والإمام أحمد بن حنبل كان يوصي أبناءه بكتابة ما يتلقونه من مشايخهم، حيث قال لابنه عبد الله «اذهب اكتب في المسجد عن هؤلاء الشيوخ حتى تجف يدك»[١٥١]

كما أن الكتابة ضرورية للعالم بتدوين بعض ما عنده من علم، وتساعده في تأليف الكتب التي يفيد بها الناس، وتساعد على نشر العلم والثقافة بين أفراد المجتمعات، وبذلك يحفظ العلم من الضياع والفقدان بسبب عدم الكتابة.

✍ الرحلات:

كانت الرحلات إحدى الوسائل التي تستخدم في طلب العلم، فقد كان طلاب العلم يتنقلون من مدينة إلى أخرى، ومن بلد إلى بلد آخر لطلب العلم، وقد قام الإمام أحمد بن حنبل بعدة رحلات لطلب العلم داخل العراق، بين مدنه مثل الري، البصرة، الكوفة ... وكما

---

[١٥٠]- الطبري،ابو جعفر، محمد بن جرير (تاريخ الطبري) روائع التراث العربي، ص٨٥٢

[١٥١]- ابن العماد احنبلي، عبدالحي بن عماد الحنبلي (شدرات الذهب في أخبار من ذهب) بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، الجزء الثاني ، ص٢١

قام برحلات إلى خارج العراق حيث زار مكة عدة مرات لأداء فريضة الحج، وتقابل فيها مع الإمام الشافعي رحمه الله كما قام الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله برحلة إلى اليمن لتلقي العلم عن عالمها (عبدالرزاق الصنعاني)، وكان قد تقابل معه في مكة قبل الذهاب إلى اليمن، ولكنه فضل الرحلة إلى اليمن لمقابلته هناك والأخذ عنه، ولم يكتف بلقياه في مكة حيث لم يأخذ عنه شيئا، بل غضب من زميله في تلك الرحلة يحيى بن معين حيث أخذ موعدا من الشيخ عبد الرزاق لمقابلته في مكة والأخذ عنه، ولشدة اهتمام العلماء الأفاضل قديما بالرحلة في طلب العلم «فقد كانوا في العصورالأولى لا يعدون الرجل محدثا حتى يرحل إلى بلاد الإسلام، يلتقي بكبار علمائها وحفاظها - خاصة مكة المكرمة، والمدينة المنورة - فيروي عنهم، وينتقي، ويكتب ويصل سنده بسندهم»

أما في العصر الحاضر، فقد توجد ما يسمى برحلات داخلية لطلب العلم خاصة للمرحلة الجامعية، حيث ينتقل طلاب العلم من القرى أو المدن الصغيرة التي لا يوجد بها جامعات إلى المدن الكبيرة للدراسة بجامعاتها، كما قد توجد رحلات لطلب العلم إلى خارج البلاد وهو ما يسمى بالإبتعاث لإكمال الدراسة، ولكن مع توفر المؤسسات العلمية، وتقدمها أصبح هذا النظام قليلا جدة، لتوفر وسائل العلم، والجامعات التي تغطي الدرجات العلمية العالية في نفس البلاد وأصبح الابتعاث قاصرة على فئة محدودة وتخصصات نادرة .

ونحن نرى عدم الحاجة إلى السفر إلى خارج البلاد لتلقي العلم، ما دام ذلك متوفرة داخل البلاد، نظرا لما قد يلاقيه طلاب العلم في الخارج من مشكلات عديدة، بسبب اختلاف العادات والتقاليد، والأخلاق والأديان في البلاد التي يذهبون إليها، عنها في بلدهم الأصلي وذلك لتوفر جميع الدرجات العلمية والتخصصات داخل البلاد.

أما الزيارة للتعرف على حضارة البلدان المختلفة، والاطلاع على تقدمها ونهضتها ومعالم الحضارة بها، وزيارة المكتبات المشهورة بها للاطلاع على أحدث ما توصل اليه العلم في ذلك البلد فنرى أنه لا مانع من ذلك، شريطة أن يتزود طالب العلم بالتعمق بالدين الإسلامي وأن يلتزم بأخلاقه وآدابه الإسلامية خلال إقامته في ذلك البلد، بحيث يكون قدوة صالحة وداعية إلى الخير، وأن يتجنب الأماكن التي تسيء إلى سمعته وسمعة دينه وبلده.

✍ المراسلة:

كانت المراسلة من إحدى الأساليب العلمية التي كانت تستخدم في عصر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وقبله. فقد استخدم نبي الله سليمان ذلك الأسلوب عن طريق الهدهد الدعوة ملكة اليمن «بلقيس» للدخول في الإسلام.

كما استخدم هذا الأسلوب الرسول في دعوة الملوك والحكام للدخول في الإسلام. استخدم كثير من العلماء هذا الأسلوب ومنهم الإمام أحمد بن حنبل حينما أرسل إليه الخليفة المتوكل يسأله عن خلق القرآن فرد عليه بما يراه حول خلق القرآن .

أما في العصر الحاضر فاصبحت الإستفادة من هذا الأسلوب قليلة الفائدة ويقتصر كما يرى الباحث في هذا العصرعلى توجيه سؤالا لأحد المشايخ او العلماء الأفاضل للتعرف على حكم من الأحكام، والاستئناس برأيه في مسألة من المسائل ولم تعدلها تلك الأهمية السابقة.

توجه لكثيرمن مكاتب هيئة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية كثيرمن الأسئلة لمعرفة بعض الأحكام أوالمسائل المتعلقة بالدين. ونحن نرى أن تقوم إحدى دور النشرأو أحد العلماء المهتمين بجمع تلك الرسائل والإجابة عليها واصدارها في كتب لكي تعم منها الفائدة أكثر في كل بلد وعصر.

✍ التقريب وضرب الأمثلة:

كان هذا الأسلوب ولا يزال ذا أهمية كبيرة في سبيل توصيل المعلومة إلى طالب العلم وقد استخدم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله هذا الأسلوب في الرد على الجهمية في إنكارها لصفات الله ﷻ واستخدم في ذلك إحدى مخلوقات الله وهي النخلة وهي من الأشجار التي كانت معروفة في ذلك العصر في العراق.

أما في العصر الحاضر فهذا الأسلوب أسلوب تربويا ناجحا خاصة مع بعض الطلاب في تقريب المعلومة وتبسيطها لطلاب العلم في توضيح ما يصعب عليهم فهمه فيحاول تقريب المعلومة المرادة عن طريق ضرب الأمثلة أو الإستعانة في ذلك ببعض ما هو معروف في بيئة الطالب، ويستطيع إدراكه حسب مستواه العلمي وعمره الزمني وبذلك يستطيع المعلم إيصال تلك المعلومة إلي طلابه في وقت قصير وبجهد أقل.

✍ أسلوب الأسئلة

هذا الأسلوب كان أحد الأساليب التي كانت تستخدم في العصور السابقة للحصول على المعرفة وزيادة العلم، وكانت لها أهمية عظمى في الجانب التعليمي في تلك العصور. فقد كان طلاب العلم والعلماء يعتمدون عليها كثيرا في تلقي وإعطاء الدروس، والدليل على ذلك كثرة المسائل التي اشتهر بها ورويت عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ولكن يرى الباحث أن هذا الأسلوب التربوي في عصرنا الحاضر فقد كثيرا من أهميته وخاصة في التعليم في المدارس وسبب ذلك كما يرى الباحث أن التعليم في العصر الحاضر أولا: يعتمد على مناهج ومقررات دراسية محددة ومعروفة، ومهمة المعلم هي شرح تلك الدروس والموضوعات المحددة فقط دون الخروج عليها.

وثانيا: لقلة الأسئلة التي توجه من طلاب العلم للمعلم: إما بسبب فهمهم لجميع ما يعطيه لهم المعلم، وإما لأنهم يعتبرون السؤال عيبا، يقلل من قيمة الطالب لدى زملائه، وهذا الجانب نعتبره قصورا في فهم طلاب العلم، ويرى أن على المعلمين أن يشعروا طلابهم

بأهمية الأسئلة والاستفسار عن المعلومات التي تعطى لهم. كما يرى ان الدرس يجب أن يكون - خاصة في المرحلة الإبتدائية - بطريقة الحوار، الأسئلة من المعلم والإجابة من التلاميذ حتى تتحقق مشاركة التلاميذ في الدرس ويكون أكثر تشويقا وجذبا لانتباههم واهتمامهم اليه.

اما اكثر الأسئلة في عصرنا الحاضر فتوجه إلى العلماء والمشايخ بقصد الاستفسار عن حكم من الأحكام، أو مسألة من المسائل، يريد السائل الاستفسار عنها، وتكون في المواضيع العامة، وليست في حلقات العلم، ونرى أن مثل تلك الأسئلة يجب أن تجمع وتوضع في كتب وخاصة تلك الموجهة إلى العلماء الأفاضل من أعضاء هيئة كبار العلماء. وتجمع هذه الأسئلة مع الإجابة عليها وتوضع في كتب حتى يمكن الاستفادة منها لفئات كثيرة من طلاب العلم ، في شتى بقاع المعمورة - وقد طبعت بعض الكتيبات الصغيرة التي تجيب عن بعض الأسئلة التي توجه إلى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وفضيلة الشيخ محمد صالح ابن عثيمين - عن أحكام الصلاة والطهارة. ويرى الباحث حصر جميع الأسئلة المفيدة التي توجه لجميع كبار العلماء ونشرها في كتب حتى تعم الفائدة .

المنهاج:

المنهج في ظل التربية التقليدية لم يكن يتضمن سوى المقررات الدراسية، وذلك هو المفهوم الضيق للمنهج، ولقد ترتب على ذلك كثير من النتائج وخاصة فيما يتصل بوظيفة المدرسة وطريقة أدائها لهذه الوظيفة، فأصبح أداؤها قاصرة على الاهتمام بالجانب المعرفي وإهمال الجوانب الأخرى، وقد أدى ذلك إلى العزلة بين المدرسة والحياة إذ قلما ترتبط بحياة التلاميذ، كما أدى ذلك إلى إهمال الجانب التطبيقي، وإلى تقييد حرية المعلم ، حيث أصبح لا يستطيع أن يتحرك إلا في مجال شرح الدروس وتحفيظها وتسميعها»[١٥٢]

وبتحديد أهداف المنهج بالمقررات الدراسية نتج عن ذلك، عدم استطاعة المدرسة أن تحقق ما كان مامولا منها، ولم تستطع تحقيق رسالتها، نحو إعداد المواطنين القادرين على القيام بجميع مسئوليات الحياة وواجباتها، وأوجدت لذلك عزلة بينها وبين القيام بمسئولياتها في إيجاد الأجيال القادرة على القيام بمسئولياتها.

ثم بالنظر إلى وظيفة التربية، وأنها ليست قاصرة على تزويد الطلاب بالمعلومات فقط حيث أصبحت وظيفة التربية هي تعديل السلوك وفق مطالب وحاجات المجتمع عن طريق إعادة بناء خبرات الفرد وتعديلها، وتحقيق نمو الفرد في الاتجاهات المناسبة، وبذلك أصبح مفهوم المنهج الواسع يتضمن جميع ما تقدمه المدرسة إلى تلاميذها، تحقيقا لرسالتها الكبرى، في بناء البشر وفق أهداف تربوية محددة وخطة سليمة تساعد على تحقيق نمو

[١٥٢]-عبد الحيد سرحان الدمرداش، مرجع سابق، ص١٤

الأفـراد الشـامل جسـمية وعقليـا ونفسـيا واجتماعيـا وروحيـا ، وأصـبح يتضـمن، المقـررات الدراسـية، والكتـب والمراجـع الوسـائل التعليميـة، والنشـاطات والامتحانـات وأسـلوب التقـويم وطريقة التدري، والمرافق والمباني والمعدات »[١٥٣].

لقد أصـبح مـنهج المـادة الدراسـية يشـمل إحـدى هـذه المنـاهج، ومـنهج المـواد الدراسـية المترابطة الذي يحقق الترابط وثيق العلاقـات بين المـواد الدراسية، ومـنهج المجـالات الواسـعة والذي يعمل على إزالـة الحـواجز الفاصـلة بين مجموعـة المـواد سـواء فـي مجـال واحـد أو أكثـر ومناهج تـدور حـول اساسيات المعرفـة، يعتمد علـى التركيـز علـى أساسـيات المـادة ومفاهيمهـا بـدلا من الحقـائق »[١٥٤] وكـان مـنهج الإمـام أحمـد بـن حنبـل هـو القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة الشـريفة ومـا كـان عليـه صـحابة رسـول الله، وكـان يـرى أن يبتـديء طـالب العلـم أولا بـالقرآن الكريم، لأن ذلك يغرس في نفس المتعلم حبه وتعوده علـى القـراءة . يقـول فـي ذلـك حينمـا سـئل عن أحب شيء يبدأ به التعليم فقيل لـه: «أيما أحب اليك أبدا ابني بالقران أو بالحديث.

قـال: لا، بـالقرآن، فقيـل أعلمـه كلـه؟ قـال: إلا أن تعسـر عليـه فتعلمـه منـه، إذا قـرأ أولا تعود القـراءة ولزمهـا»[١٥٥].

فمـنهج الإمـام أحمـد رحمـه الله هـو القـرآن الكـريم ورأيـه أن يبـدأ تعلـيم الطـلاب بـالقرآن الكـريم منـذ صـغرهم لأن فـي ذلـك رسـوخه فـي عقـولهم، وتـأثيره علـى سـلوكهم، فـإذا كـان ذلـك صـعبا علـيهم أو علـى بعضـهم، فينصـح أن يـتعلم منـه مـا يسـتطيع أولا قبـل بدايـة تعليمـه أي شيء آخر.

كذلك فإنه كان يتمسك بما أفتى به صحابة رسـول عـه، لأنـه كـان يعلـم فضـلهم، ومـدى علمهم، ومكانتهم في الإسـلام. «وقد أجـاب الإمـام أحمـد رحمـه الله - فـي سـتين مسـألة بقـال الله وقال رسول الله عنه، ثم بما أفتى به الصحابة رضوان الله عليهم، ثم ما عليه سلف الأمة» .

عندما جعل الإمـام أحمـد بـن حنبـل رحمـه الله القـرآن الكـريم منهجـا للتربيـة كـان مقتـديا فـي ذلـك بسـيد الأولـين والآخـرين، نبينـا محمـد عـه، حيـث اقتصـر فـي تربيتـه لأصـحابه علـى القـرآن الكـريم ولـم يكـن ذلـك لقصـور او لعجـز فـي الثقافـة السـائدة فـي ذلـك العصـر، فقـد كانـت هنـاك العديـد مـن الثقافـات والحضـارات التـي كـان يمكـن للرسـول ع وسـلم أن يسـتعين بهـا فـي تربيته لأصـحابه مثـل الحضـارة الرومانيـة، الفارسـية والمصـرية ...، ولكنـه ا نظـر فـي حالهـا ونتائجهـا فوجـد أنهـا لا تصـلح لتربيـة الأجيـال، كمـا يصـلح القـرآن الكـريم ، لـذا نجـح ﷺ فـي تربيتـه، وكانـت النتيجـة أنـه اسـتطاع أن يصـنع جـيلا مـن الرجـال كـل مـنهم قـرأن يمشـي بـين النـاس،، وأيـن كـان هـؤلاء الرجـال العظـام يتلقـون تعلـيمهم؟ هـل كـان ذلـك فـي الأبنيـة الحديثـة

١٥٣- المرجع السابق، ص١٧
١٥٤- المرجع السابق، ص١٥٩
١٥٥- عيد العزيز سيد الأهل، مرجع سابق، ص٥٨

المتوفر بها جميع وسائل الراحة والتي توفر لهم ما يحتاجون اليه من ملبس، ومأكل وأدوات دراسية وسيارات تنقلهم إلى مدارسهم وتعيدهم منازلهم .... الخ ؟ لا، إنهم كانوا يتلقون تعليمهم في بيت الله «في المسجد » ذلك الصرح الشامخ الذي تخرج منه العلماء والقادة من أمثال أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم كثير. ثم تخرج من المساجد علماء الأمة فيما بعد أمثال: أحمد بن حنبل، مالك بن أنس وابن تيمية وابن القيم .. وغيرهم.

ذلك المنهج الذي استطاع به الرسول في مدة ثلاثة وعشرين سنة، أن يغير حال أمة العرب - بفضل الله - والمجتمع العالمي بعد ذلك.

فقد كان حال العرب قبل الإسلام يختلف عن حالهم بعده ، فقد أصبحوا سادة الدنيا بعد أن كانوا مستضعفين، وأمة واحدة بعد أن كانوا متفرقين، وأصبحوا إخوانا بعد أن كانوا أعداء دعاة إلى التوحيد الخير والصلاح بعد أن كانوا وثنيين عباد أصنام وأوثان، دعاة إلى الفساد والضلال، كما غير أيضا من حال الأفراد حيث استطاع أن يجعل من المخربين بناة حضارة وان يجعل من الجهلة أساطين علم، وأن يجعل من الوثنيين ربانيين، وأن يجعل من قطاع الطرق دعاة إلى الأمن والسلام، بأي شيء فعل ذلك؟ إنه بفضل الله ثم بفضل المنهج التربوي الذي اتبعه الرسول عليه مع أصحابه، ولأنه لم يستمع إلى أفكار الآخرين، فيما يسمى بالنظريات التربوية الحديثة، وإنما رباهم على المنهج الرباني الذي تربى عليه.

فالنظريات التربوية الحديثة تهتم بالماديات، وتهتم ببناء الجسم، ولكنها تغفل الاهتمام بالروح، والقرآن الكريم يهتم بالروح وبالجسم معا. لذلك كان منهج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، القرآن الكريم لذا يرى الباحث أنه يجب الاهتمام بالقرآن الكريم، فهو دستورنا وهو قائدنا الى الخير إذا طبقناه وتعلمناه، كما كان يتعلمه العلماء السابقون، قادنا إلى النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة، كما يرى الباحث انه يجب الإهتمام بتعليم التلاميذ من بداية المرحلة الإبتدائية القرآن الكريم والتركيز عليه، مع إعطاء قدر من القراءة والكتابة يتمرن عليها، ولكي تتحقق الفائدة من التعليم، اما إرهاق التلميذ من الصف الأول بعدد من المواد الدراسية والمقررات، فإن ذلك يتسبب في تشتيت ذهنه، وقلة تحصيله، فنرى أبناءنا من بداية العام الدراسي الأول لهم يحملون على ظهورهم كميات كبيرة من المقررات الدراسية وأدوات الكتابة وغيرها ، يعجزون عن حملها، وتثقل كواهلهم من حملها، فكيف يتعلمون جميع ما فيها؟

إلزامية التعليم

اهتم الإسلام منذ بداية نزول الوحي على الرسول عنه بالعلم والتعليم لأهميته القصوى في حياة الأمة .

ثم اهتم الرسول عن بتعليم أصحابه القرآن حين نزوله عليه، واهتموا بتعلمه وتطبيق أحكامه في حياتهم، وفي غزوة بدر كانت الفدية لبعض أسرى قريش تعليم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة» هذا يدل على أهمية التعليم. وقد قرر ذلك الرسول حين قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلمه" والآيات والأحاديث التي تحث على طلب العلم كثيرة جدا.

وفي العصر الحاضر اهتمت الدول بنشر التعليم بين شعوبها، وأخذت تنفق الأموال الطائلة في سبيل نشره، ومكافحة الأمية، ولكل بلد مرحلة تعليمية معينة يكون التعليم فيها إلزاميا لجميع أبنائه حسب مستوى ذلك البلد التعليمي والاقتصادي، وبعض الدول مثل المملكة العربية السعودية لم تكتف بإلزامية تعليم أبنائها، بل جعلت هناك مكافات مادية لطلاب العلم، لتحثهم على تحصيله والاستمرار في ذلك، ووفرت المقاعد الدراسية لجميع الطلاب في جميع المراحل مع تقديم كافة التسهيلات، من مباني حديثة، ووسائل تعليمية ومختبرات .... كما قامت بتأمين نقل الطلاب من منازلهم إلى مدارسهم بسيارات خاصة تؤمنها الجهة المسئولة - مثل وزارة المعارف أو الرئاسة العامة التعليم البنات، أو الجامعات.

لم يقتصر الإهتمام بتعليم البنين فقط وإنما شمل الاهتمام البنات أيضا، مع توفير جميع الوسائل التي تساعدهن على التعليم دون اختلاط بين الجنسين. ومن اهتمام المملكة العربية السعودية بالتعليم أنها جعلت ثلاث هيئات رسمية تشرف اشرافا فعليا على التعليم وهي: وزارة التعليم العالي، ووزارة المعارف، والرئاسة العامة لتعليم البنات، عدا الخدمات التعليمية التي تقدمها وزارة الدفاع والطيران والحرس الوطني، ووزارة الداخلية، والإدارة العامة للتدريب المهني .

كما قامت وزارة المعارف بافتتاح مدارس محو الامية وتعليم الكبار في مختلف مناطق المملكة وبعدد وافر من المدارس التعليم من فاتهم سن التعليم، كما تقوم في كل عام بافتتاح عدد من المدارس الصيفية لتعليم الكبار في الهجر البعيدة وتكون مدة الدراسة فيها طوال فصل الصيف، كما افتتحت الوزارة أيضا المدارس الليلية لمن أرادوا اكمال دراستهم المتوسطة والثانوية ليكملوا فيها تعليمهم، كما قامت الرئاسة العامة التعليم البنات في المملكة بافتتاح العديد من مدارس محو الأمية لمن فاتهن قطار التعليم في صغرهن، وخصصت مكافأة مالية مقدارها ألف ريال لمن تتم مرحلة محو الأمية وتعليم الكبار.

كما تقوم الرئاسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بتدريب الطلاب على مختلف المهن والحرف، وتقدم لهم المكافآت المجزية، وإعانة تصل إلى مائة ألف ريال للمتخرج لفتح محل يزاول فيه ما تدرب عليه.

واجب المجتمع تجاه المعلمين وطلاب العلم

لا يمكن لأحد أن يغفل أثر المجتمع وأهميته القصوى في عملية التعليم وتأثيرها في سلوك أبنائه، ويعتبر المجتمع احد الدعائم الأساسية لعملية التربية، فهو يساعد على تعزيز الأخلاق الحميدة ورسوخها عند أبنائه من طلاب العلم، إذا كان مجتمعا صالحا، كما يساعد في سلامة عقيدتهم، وبناء شخصياتهم وأخلاقهم الفاضلة. وقد يكون المجتمع مدمرا لعقيدتهم وأخلاقهم الإسلامية، إذا كان مجتمعا غير صالح، وقد يخلق لدى أبنائه شخصيات مزدوجة حيث يتعلم هولاء الأبناء الأخلاق الحميدة الإسلامية في المدرسة ثم يجدون في المجتمع عكس تلك الأخلاق والصفات، فتنشأ لدى أفراده الازدواجية وانفصام الشخصية، والمجتمع في الإسلام كتلة واحدة مترابطة متماسكة، يتعاونون على الخير، والبر، ويتناهون عن المنكر، يحرص بعضهم على سلامة البعض الآخر، يشاطرونهم افراحهم وأحزانهم، يقفون معا وقت الشدة يتحابون في الله، يتفقدون بعضهم، فيزورون المريض ويواسون المحزون ويشاركون في الأفراح والأتراح وقد قال الرسول عن المجتمع في الإسلام وعن العلاقة بين أفراده: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» (صحيح البخاري٣٧/٤). وعن تأثير المجتمع ودوره في حياة أبنائه يقول (د/ ابراهيم ناصر، ١٤٠٤ه) «مما لا شك فيه أن المجتمع مدرسة كبيرة يتلقى فيها الفرد دروس عملية كثيرة، قد لا يتيسر له أن يتلقاها في حياته على مقاعد الدراسة العادية، ومن المجتمع يكتسب الفرد ما لديه من السلوك، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الفرد يتلقى من المجتمع دروسا مختلفة الأنواع والصور»

كما أن المجتمع لا يغفل الدور المهم الذي تقوم به المدرسة لتعليم أبنائه، وما تبذله من جهود في سبيل تحقيق سعادة المجتمع ونجاحه، وإعداد أبنائه إعدادا سليما على أسس علمية مبنية على عقيدة إسلامية صحيحة حتى يصبحوا بذلك من أفراد المجتمع الصالحين وليقوموا بخدمة هذا المجتمع خير قيام، كذلك المعلمون، فهم الذين يتحملون المسئولية في اعداد أبناء المجتمعات إعدادا سليما صالحا، ليكونوا خيرعون لمجتمعهم، وبناة صالحين لهذا المجتمع يقدمون لهؤلاء الأبناء حصيلة علمهم وتجاربهم في الحياة ويتحملون في ذلك الكثير من الجهد والعناء، بنفوس راضية، وقلوب مفعمة بالحب والإخلاص للمجتمع وأبنائه رغم ما قد يجدونه من سوء معاملة من بعض طلابهم، أو بعض أفراد المجتمع، وقد يغفل المجتمع الدور الكبير والمهم الذي يقوم به المعلمون في سبيل تعليم أبنائهم، ولا يقدرون ما

يبذلونه من جهد، وما يعانونه من متاعب في سبيل ذلك، مما يولد العتب في نفوس المعلمين على ما يلاقونه، وما يجدونه من سوء معاملة المجتمع لهم.

يتناسى أبناء المجتمع أن مهنة التعليم هذه هي مهنة الأنبياء وأن العلماء هم ورثة الأنبياء في الأرض وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «والواجب على المسلمين أن يقدموا خيارهم، في الصلاة، وأهل الدين، والأفضل منهم أهل العلم بالله تعالى، الذين يخافون الله ويراقبونه»

وهو بذلك يحث المجتمع على الاهتمام بالعلماء وطلاب العلم واحترامهم وتقديرهم وتقدير ما يقومون به من جهد في تحصيل العلم، ومكانتهم التي رفعهم الله إليها، وقال صالح بن أحمدبن حنبل: سمعت أبي يقول: "من عظم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله ومن حقرهم سقط من عين رسول الله، لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله"

وفي هذا تصريح بوجوب الاهتمام والتقدير والإحترام لأهل العلم وطلابه، فمكانتهم عظيمة ودورهم خطير، ومسئوليتهم جسيمة، فبصلاحهم تصلح المجتمعات ، وبإخلاصهم وبجهدهم تنهض الأمم، وينتشر العلم، وتحتل الأمة المكانة المرموقة بين دول العالم.

كما يقول الإمام أحمدرحمه الله حينما أقبل عليه أصحاب الحديث وبايديهم المحابر فأوما إليها وقال: «هذه سرج الله» لعظم أهميتها، وعلو مكانها، «وقد أشار القرآن الكريم إلى دور المعلمين من الأنبياء وأتباعهم، وإلى أن وظيفتهم الأساسية دراسة العلم الإلهي وتعليمه كما أشار القرآن إلى أن من أهم وظائف الرسول م تعليم الناس الكتاب والحكمة وقد بلغ من شرف مهنة التعليم أن جعلها الله من جملة المهمات التي كلف بها رسوله .. ويتضح من ذلك أن للمربي وظائف **أهمها**: التزكية والتطهير والسمو بالنفس لمعرفة بارئها وإبعادها عن الشر، والمحافظة على فطرتها

التعليم أي نقل المعلومات والعقائد والمعارف إلى عقول المؤمنين وقلوبهم ليطبقوها في سلوكهم وحياتهم» أي أن المعلم مربي ومؤدب معا، ولذا فينبغي أن تشمل كلمة التربية على التعليم والتاديب، بتوجيه السلوك وتهذيب الأخلاق.

لذا يجب على أفراد المجتمع احترام العلماء، وطلاب العلم وتقديرهم للدور الهام الذي يقومون به، لأنهم أسس وعماد الأمة، في أي زمان ومكان، ومن عوامل تطورها ونهوضها والمجتمع الذي يقوم أفراده باحترام العلم والعلماء وتقدير ما يقومون به، وما يبذلونه من جهود مجتمع متحضر واع، فبدون العلماء والمعلمين لا تقوم للمجتمع قائمة ولن يبلغ المجتمع من التقدم والرقي والإزدهار شاوة بعيدة، إلا بالإهتمام بالعلم والعمل على توفير الراحة للعلماء وتيسير سبل العلم لطلابه، وتوفير ما يحتاجونه في سبيل طلبه.

ومن جهة التقدير والإحترام لدور المعلم، وما يبذله، يجب أن يقام حفل تكريمي في نهاية كل عام دراسي، يتم فيه تكريم المعلمين المثاليين، وأن تكون في وسائل الاعلام من

«تلفاز وإذاعة، وصحافة، برامج توضح جهود المعلمين، وتحث أبناء المجتمع على احترامهم وتقدير جهودهم، وتوضيح ما يعانون من مصاعب جمة، خلال تأديتهم عملهم سواء من المسئولين المباشرين عنهم ، من مدراء المدارس من تعنت وعدم احترام وتقدير إلى الوجه واسلوبه في التوجيه الذي يستخدمه مع المعلم

كما يجب ان يكون هناك في نهاية كل عام دراسي حفل كبير يتم فيه تكريم المعلمين المثاليين، مع نشر ذلك في وسائل الإعلام، تشجيعا لهم، وحافزا لغيرهم من المعلمين للسير على نفس الطريق، والجد والاجتهاد، ليحصلوا على ذلك التكريم وأن يخصص أسبوع في العام الدراسي لتكريم المعلم تشارك فيه جميع القطاعات في كل منطقة، مع مساهمة وسائل الاعلام وتتضمن برامجه، توضيح دور المعلم، وإبراز ما يقوم به من جهود .... ويكون ذلك مثل الأسابيع التي تقام سنويا مثل اسبوع المرور، المساجد، الشجرة .... كما يتم طبع ملصقات وتوزيعها عن أهمية العلم، ودور المعلم .... فذلك يعطي للمعلم بعض المكانة والاحترام المفقود حاليا .

الفصل الرابع

المضامين التربوية قبل عصر الإمام ومساهمته في تطويرها

المبحث الأول: الفكرالتربوي حتى عصرالإمام

- الفكرالتربوي في عصرالسيرة
- العهدالمكي
- العهد المدني
- الفكرالتربوي في عصرالراشدين
- الفكرالتربوي في العصرالأموي
- أهم سمات الفكرالتربوي قبل عصرالإمام أحمد.

المبحث الثاني: تطورالفكرالتربوي في عصرالإمام أحمد والسمات المميزة له

- المؤسسات التربوية
- المناهج التعليمية
- الطرق التعليمية السائدة في هذا العصر
- تعليم المرأة
- الرحلات العلمية
- البعثات التعليمية
- سمات الفكرالتربوي في عصرالإمام

المبحث الثالث: مساهمة الإمام في تنشيط وتطوير الفكرالتربوي

- أولا: رحلته العلمية
- ثانيا: تصانيفه
- ثالثا: تدريسه
- رابعا: نشاط تلاميذ الإمام
- خامسا: علمه في الجرح والتعديل
- سادسا: محاربة علماء الكلام

الفصل الرابع

المضامين التربوية قبل عصر الإمام ومساهمته في تطويرها

المبحث الأول: الفكر التربوي حتى عصر الإمام

✍ الفكر التربوي في عصر السيرة:

اهتم الإسلام بتعليم الإنسان منذ بداية الدعوة، فأول أية أنزلت على الرسول -ﷺ- تحث على القراءة، وهي وسيلة من وسائل التعلم، وركز الرسول -ﷺ- على العلم النافع وتعوذ من غيره فقال: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع[١٥٦].

وقد امتزجت معاني الوحي الإلهي في شخصه ﷺ ليعطي لنا صورة حية، فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه، قالت: «فإن خلق نبي الله -ﷺ- كان القرآن[١٥٧].

✍ العهد المكي:

كان الصحابة ﷺ يتشوقون سماع الآيات القرآنية وهي تنزل على رسول الله ﷺ وتعلم أمور عقيدتهم ودينهم.

وهذا الوحي الإلهي لا بد له من كتاب فكان الصحابة يكتبون ما ينزل على رسول الله ﷺ من الوحي[١٥٨] ومن كتاب الوحي معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت. وفي بداية الدعوة كان النبي ﷺ يعلم أصحابه مبادئ الدين الجديد في بيته، بالإضافة إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم[١٥٩]

وكانت أهداف التعليم في هذه المرحلة تتركز على تثبيت العقيدة الإسلامية في النفوس وهدف الرسول صلى الله وسلم إلى نشر هذا الدين عن طريق البعثات التعليميةفأرسل معلمة إلى المدينة المنورة قبل الهجرة بعامين، ليعلم أهلها القرآن الكريم وشعائر الدين الجديد.

١٥٦- مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي٢٦/٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل ومن نام عنه أومرض

١٥٧- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المجلد الثاني /٨٠.

١٥٩- ابن هشام، السيرة النبوية ٢٠٣/١الحاشية.

✍ في العهد المدني

كانت الهجرة النبوية تمثل مرحلة انتقال من إطار الجماعة إلى إطار المجتمع الواسع والدولة الإسلامية الناشئة، ومن هنا كانت النقلة الكبيرة في طبيعة الفكر التربوي وفق النظام الفكري الجديد..

إن أول عمل قام به الرسول ﷺ في المدينة المنورة بناء مسجد قباء[١٦٠] ثم تلاه المسجد النبوي الذي استمر دوره التعليمي إلى يومنا هذا حيث ما زالت الحلقات العلمية تتوالى في أفنيته.

و في الجانب الشمالي من المسجد كان هناك مكان لأهل الصفة، وهو ماوى الفقراء الذين ينشدون العلم والعبادة وكان الرسول ﷺ يشجعهم على العلم والعبادة بقوله « افلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ أيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث، خير له من ثلاث، وأربع، خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل.

. وكانت هناك «دار القراء » التي نزلها عبد الله بن أم مكتوم ومصعب بن عمير عند نزولهم في المدينة المنورة بعد معركة بدر[١٦١].

ووجدت مكتبات خاصة مثل مكتبة أبي هريرة التي احتوت على مجموعة كبيرة من أحاديث الرسول ﷺ[١٦٢]

لقد ظل القرآن الكريم محورا أساسية لمناهج التعليم في العهد المدني وذلك يظهر من أشارة النبي ﷺ الي تعلمه وتعليمه، فقال:

خياركم من تعلم القرآن وعلمه"[١٦٣] وعندما دخل المسلمون المدينة المنورة شبرع مصعب بن عمير وابن أم مكتوم يعلمان الناس القرآن الكريم[١٦٤]

وظهر إهتمام الرسول ﷺ بتعليم الكتابة في حادثة أسرى بدر عندما افتدى كُل أسير مقابل تعليم عشرة من المسلمين الكتابة والقراءة.

وتلبية لحاجات المجتمع ومتطلباته المستجدة، كان الهدف التعليمي الإهتمام بالمتطلبات التشريعية إضافة إلى تثبيت العقيدة التي أخذت كل الإهتمام في العهد المكي، وقد ظهر ذلك من خلال توضيحة -ﷺ- وتطبيقه له بقوله: "العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل

١٦٠- ابن كثير، السيرة النبوية،٢٥٠/٢و ٢٩٣

١٦١- منبر الدين أحمد: دور المجالس والحلقات في النظام التربوي الإسلامي التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات،٢٨٦/١، نقلة عن المقريزي: المواعظ والاعتبار ١٩٢/٦ والسيوطي: حسن المحاضرة، ١٤٢/٢

١٦٢- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله٨٩/١

١٦٣- ابن ماجه: السنن، ٧٧/١ المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه. قال الألباني (حسن صحيح).الألباني صحيح سنن ابن ماجه٤٢/١

١٦٤- ابن سعد، الطبقات، ٢٤٣/١

أية محكمة أوسنة قائمة أو فريضة عادلة " وقد طبق ذلك عملية فعند جلوسه في المسجد كان يعلم القرآن الكريم، وفرائض الإسلام وشرائعه.

واهتم ﷺ بالتربية البدنية فقد حث على ذلك بقوله: علموا أبناءكم السباحة والرماية[١٦٥]

وقد فسح المجال الصحابة لتعلم اللغات الأجنبية، وأمر بعضاً منهم بتعلمها، من ذلك أمره لزيد بن ثابت بتعلم السريانية واليهودية[١٦٦].

وتلبية لدعوة الرسول -ﷺ- في التعلم بقوله: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) تلبية لذلك؛ رحل زيد بن وهب إلى الرسول -ﷺ- وتوفي وهو في الطريق[١٦٧].

ومن أجل نشر التعليم قام النبي -ﷺ- بايفاد بعض الصحابة إلى المدن والأمصار. فقد بعث معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن ليعلما أهلها القرآن الكريم كما كان قد بعث مصعب بن عمير إلى المدينة.

وكانت طرق التعليم السائدة، القراءة والإملاء، فالرسول -ﷺ- عندما يقرأ القرآن على محابته، فيكتب زيد بن ثابت الوحي، والرسول بدوره يملي عليه، وبعد فراغه من الكتابة يقرأ زيد ما كتب.

ومن أهم أساليب التعلم السؤال والحوار والأمثلة: فقد كان الرسول -ﷺ- يسأل أصحابه في جلساته وأحاديثه، ومن ذلك سؤاله لهم عن الشجرة بقوله: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي، فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبدالله بن عمر ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يارسول الله. قال: هي النخلة[١٦٨] والصحابة أيضا يسألونه مستفسرين عن أمور دينهم، فقد سأله أحدهم في المسجد بقوله: «يا رسول الله، من أين تأمرنا أن نهل؟ فقال الرسول ﷺ: «بهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ويهل أهل الشام من الجحفة .

واهتم الرسول -ﷺ- بأسلوب الموعظة حفظة لأصحابة من أن تنفر أنفسهم عن العلم فيقول عبدالله بن مسعود: « كان النبي -ﷺ- يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة

١٦٥- المناوي: فيض القدير. ٢٢٧/٤. يقال عنه (صحيح).

١٦٦- الترمذي: السنن،١٦٧/٤ أبواب الإستئذان والآداب، باب في تعليم السريانية، قال الألباني: (حسن صحيح) الألباني: محيح سنن الترمذي، ٣٤٩/٢، انظر ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق

١٦٧- الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث /١٩٧

١٦٨- البخاري: صحيح البخاري،٢١/١ كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا

علينا[١٦٩]). كما يعتبر الحفظ من الطرق التعليمية المنتشرة، فالصحابة يسمعون الأحاديث النبوية الشريفة من الرسول -ﷺ- ثم يحفظونها منه.

ومن ملامح الفكر التربوي في هذا العصر تعليم المرأة المسلمة، فقد حث النبي -ﷺ- على تعلمها بقوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم[١٧٠]"، ولفظة مسلم تشمل الرجال والنساء على السواء، ورغب ﷺ بتأديبها بقوله: " ثلاثة لهم أجران ... ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها "

ولم يمنع الحياء المرأة من التعلم، فقد أثنت عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار بقولها: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياة أن يتفقهن في الدين.

فقد حرصت المرأة على التعلم عن الرسول غير متوانية، فحفظت الأحاديث النبوية وقامت برواياتها، فعائشة رضي الله عنها- زوجة الرسول روت الحديث النبوي عنه وأسماء بنت يزيد روت أحاديث عن الرسولﷺ كذلك تعلمت القرآن من رسول الله -ﷺ- عندما كان يقرأ على أصحابه في خطبة الجمعة.

✍ الفكر التربوي في عصر الراشدين:

استمر الخلفاء الراشدون في سياستهم التعليمية، السياسية التي اختطها الرسول -ﷺ- مع بعض التغيرات التي فرضتها طبيعة المجتمع.

اهتم الخلفاء الراشدون بالتعليم ففي خلافة أبي بكر الصديق ﷺ قام زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم، بناءا على طلب أبي بكر، وكتبه في صحف وعرضه على سعد بن العاص[١٧١].

أما الخليفة عمر بن الخطاب فقد اهتم بالتربية السلوكية، فعندما دخل عليه أحد أبنائه وكان قد تسرجل وارتدي ثيابا حسنة، ضربه عمر حتى بكى، فسألته حفصة: لدم ضربتسه؟ قال عمر: رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه[١٧٢].

وقام عثمان بن عفان بجمع الناس على حرف واحد في القراءة، وجعل السور الطويلة مع الطويلة والقصيرة معاً، ووزع نسخة منها إلى الأمصار الإسلامية[١٧٣].

١٦٩- البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي -ﷺ- يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا

١٧٠- ابن ماجه: السنن: ٨١/١ ، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. قال الألباني: (صحيح). الألباني: صحيح سنن ابن ماجه، ١/ ٤٤.

١٧١- ابن النديم: الفهرست ١٢٢ وأنظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المجلد الثاني /١٣٥

١٧٢- السيوطي: تاريخ الخلفاء /٢٢٩.

١٧٣- ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق،٤٤٨/٥ وأنظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ٢٩٤

أما الإمام على قلة اهتماماته العلمية التي شارك فيها في مجال التعليم، فأوصي كميل في العلم بقوله: العلم خير من المال، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك، والمال تفنيه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق. والعلم حاكم والمال محكوم عليه [١٧٤].

ولعناية الخلفاء بالعلم قاموا بانشاء المؤسسات التعليمية في الأمصار التي فتحوها ففي خلافة عمر بن الخطاب بعث إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة، وإلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة، وغيرهم من الولاة ليتخذ كل منهم مسجدا للجماعة وللقبائل مساجد[١٧٥]

وسار الولاة على سياسة عمر، فبنى عمر بن العاص مسجدا في مدينة الفسطاط، ووقف عليه ثمانين من الصحابة.

وظهرت المكاتب نتيجة للفتوحات الإسلامية وكثرة أبناء المسلمين، فأمر عمر بإنشاء الكتاتيب ووضع عليها معلمين لتعليم الصبيان[١٧٦].

بقي الهدف الاسلامي من التعليم إقامة حكم الله وهو الهدف الذي يسعى المسلمون لتحقيقه، فركزوا على القرآن الكريم، لقرب عهدهم من عهد السيرة النبوية، ومن الأمثلة على هذا الإهتمام بالقرآن ما قام به عبدالله بن مسعود بتعليم أهل الكوفة القرآن عندما بعثه عمر بن الخطاب ولشدة اهتمام عمر به طلب عدم الإشتغال بغيره. وظل هذا الإهتمام لدي عثمان بن عفان، فحث على تعلم القرآن بقوله: «كل من تعلم القرآن وعلمه فهو ممن اصطفاه الله من بني آدم»[١٧٧]. أما تفسير القرآن فاهتموا به معتمدين على تفسيره ﷺ وقد برع أبو بكر بعلم الأنساب واهتم به لأهمية هذا العلم."

وسري الإهتمام بالتربية البدنية لصحابة الرسول ﷺ فطلب عمر بن الخطاب بكتاب بعث به إلى ساكني الأمصار بقوله: أما بعد فعلموا أولادكم العلوم والفروسية ورووهم ما سار به من المثل و مسن من الشعر[١٧٨]. وحصل توسع في إطار الطرق التعليمية لكثرة الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، فاتسع نطاق المناظرة للحاجة إليها في الوصول إلى الحق، فقد ناظر عثمان بن عفان. السعاة عليه والمطالبين بخلعه مرة بعد أخرى، وكذلك ناظر علي يهوديًا[١٧٩].

والتنمية الطاقات والملكات اهتم الصحابة بمذاكرة العلم خوفة من نسيانه، فقال علي بن أبي طالب: "تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم إن لم تفعلوا يدرس علمكم" .

---

[١٧٤] - ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله١/٦٨

[١٧٥] - المقريزي: الخطط٢/٢٤٦

[١٧٦] - ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ، ٢٢٦-٢٢٧

[١٧٧] - ابن سحنون: آداب المعلمين /٨٢

[١٧٨] - الجاحظ: البيان والتبين ٢/ ١٨٠.

[١٧٩] - السكوني: عيون المناظرات، ١٦٥-١٦٧

أمـا تعليم المـرأة فنـال الإهتمـام الكبيـر، فالخليفـة عثمـان بـن عفـان ﷺ كـان قد وضـع للرجال وللنساء قارئ واحد، سليمان ابن أبي خثيمة.

ولبت المـرأة الدعوة إلـى التعليم وسـعيت لتعليم نفسـها فاتجهت أول مـا اتجهت لتـتعلم القرآن الكريم"[١٨٠].. ولأهمية دور المرأة في التعليم كـان بعض الصحابة يتوجهون إلى بيت عائشة -رضي الله عنها- يسألونها فيما يشكل عليهم من الحديث والفرائض، ويجدون عندها علما، لعلمها بهما.

استمرت البعثـات التعليميـة من أجل نشـر هذا الـدين ليقومـوا بـدورهم فـي هذا المجـال فأوفـد عمـر بـن الخطـاب عبـدالله بـن مسـعود معلمـة إلـى الكوفـة «ليقـرئهم القـرآن ويعلمهـم الشرائع والأحكام[١٨١] .

وبعث عمـر أبـا موسـى الأشـعري إلـى البصـرة لتعليم أهلهـا القـرآن الكـريم والسـنة النبوية وكذلك معاذ وعبادة وأبا الدرداء ليعلموا القرآن والفقه في بلاد الشام.

✍ الفكر التربوي في العصر الأموي:

شجع معظم خلفاء بني أمية العلم، فمعاوية بن أبـي سفيان اهتم بسماع أخبـار الماضـين وأمر بتدوينها.

واتجه عبد الملك بن مروان اتجاهـة أدبيـة وعلميـة فأحب الشـعر وتذوقـه وقـام بتعريب الدواوين، وتعريب كتب الكيمياء والعلوم[١٨٢]

وأحب عمـر بـن عبد العزيـز العلم فـاهتم بـالمنهـاج التربـوي ليتخذ اتجاهـة أخـر إضـافة إلـى مـا كـان عليـه، فـاهتم بـالحديث النبـوي الشـريف، وأمـر بتدوينـه تدوينـة رسـميا وكلـف ابـن شهاب الزهري بذلك[١٨٣]

بنيت فـي هذا العصـرعدة مؤسسـات تعليميـة ونشـر العلم من خلالهـا فشيدت المسـاجد ومن أشهرها: المسجد الجـامع فـي القيـروان الـذي بنـاه عقبـة بـن نـافع عند فتحـة لأفريقيـة، سـنة (٦٠ هـ) وكذلك جامع دمشق الذي شيده الوليد بـن عبد الملـك سـنة (٨٨هـ)"[١٨٤]. وعقدت فيـه مجالس علمية[١٨٥].

وتم بنـاء جـامع الزيتونـة فـي تـونس، وقـام ببنائـه عبد الله بـن الحبحـاب سـنة (١١٤ هـ) وقد تلقـى المسلمون فيـه دروسـا فـي تفسير القـرآن الكريم، وأحاديث الرسـول ﷺ والمعلمـون

---

[١٨٠]- ابن الجوزي: صفة الصفوة ٧٢/٢

[١٨١]- ابن سعد، الطبقات ٧/٦ انظر: خليفة خياط: الطبقات، ٣٦/١ والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤٧/١

[١٨٢]- الجاحظ: كتاب الحيوان ١٤٩/٥، وأنظر يوسف العش: الدولة الأموية /٢٣١.

[١٨٣]- البغدادي: تقييد العلم/١٠٦ وابن عبد البر: جامع بيان العلم ٩١/١-٩٢

[١٨٤]- عمر الشيباني: تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية /٨٠-٨١.

[١٨٥]- ملكـة أبيض: مؤسسـات التربيـة العربيـة فـي الشـام حتـى أواسـط القـرن الرابـع الهجـري، التربيـة العربيـة الإسلامية المؤسسات والممارسات

فيه من كبار التابعين، ومن الذين تلقوا العلم على كبار الصحابة والمحدثين الأوائل[186]. وأنشنت الصالونات الأدبية، وكان الخلفاء يجلسون فيها للحديث في جوانب علمية متنوعة[187] وكذلك البيمارستان وفيها معاهد التدريس الطب والصيدلة. ونشأت في هذا العصر مدارس مذهبية وفكرية منها مدرسة الحديث ومدرسة أهل الرأي.

ظل القرآن الكريم والحديث الشريف، الإطار الرئيسي للمنهاج التربوي في هذا العصر ويظهر ذلك جليا من خلال وصايا الآباء لمؤدبي أولادهم. أوصى عتبة بن أبي سفيان مؤدب ولده عبد الصمد بقوله: «علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيتركوا، ولا تدعهم منه فيهجروا، وروهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه وكذلك وصية هشام بن عبد الملك المؤدب ولده.

واتجه الأمويون لتفسير القرآن الكريم عن طريق القصص، فمسلم بن جندب الهذلي قص القرآن في المسجد النبوي في خلافة عمر بن عبد العزيز

ثم اطلع الأمويون على علوم الأمم الأخرى للإستفادة منها مع الحفاظ والحرص على سلامة العلوم الدينية من العبث والدس، وعلى اللغة العربية من فساد اللسان العربي. فقام العلماء بترجمة للعلوم ومنها كتب الكيمياء، وتعريب اللدواوين، إذن بقي القرآن الكريم والحديث الشريف إضافة للأدب ومنها الشعر وعلوم الأوائل، بقيت المناهج الرئيسية في هذا العصر.

واستمر الإهتمام بالتربية البدنية لدى الأمويين فأوصى الحجاج مؤدب بنيه **بقوله:** "علمهم السباحة قبل الكتابة فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم "[188]

ومن الطرق التعليمية في هذا العصر، طريقة القراءة، فالناس كانوا يصلحون مصاحفهم على قراءة عطية بن قيس الكلابي[189].

واعتبرت طريقة المذاكرة، بل أصبحت من الطرق المحببة للعلماء فقد جاءت جماعة إلى أم الدرداء فتحدثوا عندها، فقالوا لها: أملناك يا أم الدرداء.

فقالت: «ما أمللتموني، لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئا أشفي النفسي من مذاكرة العلم »[190] وراعي العلماء نفسية المتعلم، فاهتموا بطريقة التشويق خوف الملل

---

[186]- محمد القطري: الجامعات الإسلامية. /٨٨-١١

[187]- عبد الله الدائم: التربية عبر التاريخ

[188]- ابن قتيبة: عيون الاخبار ١٦٦/٢

[189]- ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، التربية العربية الإسلامية
١٢٠/١

[190]- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله

والتدررج خوف النسيان. فالزهري (ت ١١٤هـ) كان يحدث ساعة ثم يترك طلابه يتحدثون بأحاديث أخرى خلال الدرس، وكذلك أوصى تلميذه يونس بأخذ العلم مع الليالي والأيام ولا يأخذه جملة.

أما المرأة فأخذت حظا وافرة من التعليم، فتعلمت في الكتاب[١٩١] فتعلمت الكتابة أمثال رملة بنت معاوية التي كتبت إلى أبيها تشكي آل أبي عاص[١٩٢]

بالأضافة إلى الكتابة تعلمت القرآن الكريم فقد قرأت حفصة بنت سيرين (ت ١٠١هـ) القرآن وعمرها اثنتا عشرة سنة. وساهمت المرأة في إعطاء دروس للنساء فعلمت مولاة أبي أمامة النساء القرآن والسنة والفرائض والفقه في مسجد حمص.

كما نشطت في المشاركة في مجالسة العلماء ومذاكرتهم من أمثال أم الدرداء. وقد زاد نشاط الرحلات العلمية والتبادل الثقافي في هذا العصر، فرحل عبد الله بن زيد أبو قلابة في حديث بلغه عن رجل من أهل المدينة. ولم يكتف العلماء بالرحلة إلى بلد واحد، بل تتعددت المناطق التي رحلوا إليها فرحل مكحول بن كسرى (ت ١١٣هـ) في طلب العلم إلى العراق والمدينة والشام

وانتشر هذا العلم عن طريق البعثات التعليمية، فبعث عمر بن عبد العزيز يزيد بن عبد الرحمن (أبو مالك) والحارث بن يمجد الأشعري إلى بني تميم ليفقهانهم في الدين ويقرئان عليهم القرآن. وكذلك بعث عمر عشرة من فقهاء التابعين إلى إفريقيا منهم عبد الرحمن بن رافع، وسعيد بن مسعود التجيبي [١٩٣]

✍ أهم سمات الفكر التربوي قبل عصر الإمام أحمد:

- أولا: كان الرسول -ﷺ- هو المعلم الأول في مسيرة الأمة التربوية، فاستهلها بتعليم الصحابة القرآن الكريم، وبقي القرآن والسنة هما المنهاج الأساسي رغم اتصال الأمة بالعلوم الأجنبية عن طريق ترجمتها في عصر الأمويين.
- ثانيا: الإهتمام بنشر مبادئ الدين الأسلامي. وتم ذلك عن طريق التبادلالثقافي والقيام بالرحلات العلمية مما أدى إلى تطوير الفكرالتربوي
- ثالثا :وجدت المؤسسة التربوية منذ قيام الدولة الإسلامية، فبنى ﷺ المسجد، وتابعه الصحابة، والتابعون في تشييد المساجد، وإنشاء الكتاتيب.
- رابعا: تزايد الإهتمام بتعليم المرأة، فتعلمت الكتابة وقراءة القرآن، ثم نشطت وقامت بدور فعال في نشر العلم.
- خامسا: تنوع الأساليب التربوية المستخدمة في التعليم في هذه الفترة.

---

[١٩١]- الجاحظ: البيان والتبين
[١٩٢]- ابن عساكر: تراجم النساء /٩٥.
[١٩٣]- ابن سحنون: آداب المعلمين/٢٥

- سادسا: الإهتمام بالجانب التطبيقي للفكر التربوي، فكان العلم مقترنة بالعمل، ولم يكن فصل بينهما، مما أثرى الحضارة الإسلامية.

المبحث الثاني: الفكر التربوي في عصر الإمام والسمات المميزة له:

إن عصر الإمام أحمد هو عصر الإزدهار العلمي، نظرا لاحتكاك العرب بغيرهم وامتزاج الثقافات الأجنبية الهندية والفارسية واليونانية في الثقافة العربية، وتشجيع الخلفاء العباسيون على العلم والتعلم، فقد وردت لنا أخبار عن الإهتمامات العلمية لبني العباس. فالخليفة المنصور اشتهر بطلب علم الحديث والأنساب، وله أقوال تربوية ومنها نصيحته لولده **بقوله:** «أي بني أستدم النعمة بالشكر والمقدرة بالعفو، والطاعة بالتألف والنصر بالتواضع والرحمة للناس .

أما الرشيد فله مجالس علمية في المناظرات الشعرية والمناقشات الفقهية وقد شغف ابنه المأمون بالعلم حتى أنه كان ينام والدفاتر هول فراشه وكذلك كان الواثق يحمل علمأ في مجالات شتى أما المتوكل فقد اتجه اتجاها علمية نحو المذهب السني، فاهتم بالمحدثين وأكرمهم، وكان يجزل لهم في العطاء.

وهذه الإهتمامات لم تنحصر في دائرة الخلفاء بل تجاوزتهم إلى العلماء أنفسهم فاعتبروا أن العلم أجل من السلطان(١٩٥).

في مثل هذه البيئة الثقافية ازدهرت الحركة الفكرية التربوية، فأنشئت المؤسسات التربوية، واتسعت دائرة الحلقات التعليمية، وطورت المناهج، فقام العلماء بالترجمة والتأليف في مختلف فروع العلم والمعرفة، ونشطت حركة التبادل الثقافي فقام العلماء برحلاتهم العلمية وأرسلت الوفود التعليمية لنشر العلم بين الناس.

✍ **المؤسسات التعليمية**:

استمر وجود الكتاتيب في العصر العباسي ومارست نشاطها التربوي بشكل فاعلفالشافعي وأحمد بن حنبل تلقوا تعليمهم الأولي في هذه الكتاتيب، بعدها ينتقل الطالب إلى الديوان ليمرن على التحرير والكتابة.

يقول الإمام الشافعي: كنت يتيمة في حجر أمي فدفعتني في الكتاب(١٩٦) . ويقول أيضا "لم يكن لي مال فكنت أطلب العلم في الحداثة، أذهب إلى الديوان استوهب الظهور أكتب فيها. والإمام أحمد تعلم في الكتاب والديوان."(١٩٧)

---

[١٩٤]- محمود شفشق وأخرون: تاريخ التربية /١٩١.

[١٩٥]- السيوطي: تاريخ الخلفاء ٤٣٩/٤٤٠

[١٩٦]- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله١/١١٧- ١١٨

[١٩٧]- ابن الجوزي: المناقب: ٢١

بعدها ينتقل التلميذ إلى المسجد، فنمي نشاط الحركات التعليمية التي تعقد في المساجد في هذا العصر إضافة إلى تشييد بعض من المساجد التي مارست نشاطها التعليمي. يقول الإمام الشافعي: «فلما ختمت القرأن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فالمسجد يعتبر أعلى مرحلة في التعليم في هذا العصر، ومن المساجد التي كثرت الحلقات التعليمية في أفنيتها جامع دمشق وكان فيه حلقة السعيد بن عبد العزيز التنوخي (ت ١٩٧هـ) وكان يدرس فيه الحديث والفقه. وجلس عاصم بن علي (ت ٢٢١هـ) في مسجد الرصافة وألقى دروسه العلمية فيه.

وغصت بغداد بالحلقات التعليمية فهي حاضرة العالم الإسلامي، ومركز الخلافة فجامعها أصبح محط أنظار العلماء، فكان للإمام الشافعي حلقة تعليمية في المسجد الجامع فيها عند قدومه اليها سنة. (١٩٠هـ) وكان في الجامع إما نيف وأربعون حلقة أو خمسون حلقة فلما دخل بغداد ما زال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم: قال الله وقال الرسول، وهم يقولون قال أصحابنا حتى ما بقي في المسجد حلقة غيره .

فهو يدعو إلى العودة للأصول الصحيحة القرآن والسنة، فأعجب الإمام أحمدبطريقته مما جعله يلازمه طيلة إقامته في بغداد[١٩٨].

وكذلك كان للإمام الشافعي زاوية تعليمية في جامع عمرو بن العاص في مدينة الفسطاط وازدادت الحلقات التعليمية في المسجد الحرام، وكان لعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٠٠هـ) حلقة تعليمية فيه، وتلقى عليه العلم الأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة وغيرهم[١٩٩]

ومن مظاهر تطور الحركة الفكرية التربوية انشاء بيت الحكمة لنسخ الكتب وترجمة العديد منها في مختلف العلوم، وقد ازدهرت فيه الحركة العلمية في عهد المأمون بن الرشيد.

وساهمت المنتديات الأدبية في عهدي الرشيد والمأمون في هذه النهضة العلمية فأصبحت ملتقى العلماء في مختلف التخصصات إضافة إلى نشاطها الواسع في المناظرات الفقهية والأدبية.

وظهرت حوانيت الوراقين في مطلع قيام الدولة العباسية، ولم يقتصر نشاطها على بيع الكتب، ولكنها ساهمت في النهضة العلمية، فباعة هذه الحوانيت كان معظمهم من الأدباء ولهم اهتمامات تربوية[٢٠٠]. ولمنازل العلماء دور في هذا النشاط التربوي الواسع تردد العلماء على منزل الأعمش لتلقي العلم عنه". وظهرت المدارس الفكرية والمذهبية

١٩٨- ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية٥٦/١
١٩٩- أحمدأمين: ضحى الإسلام٤٧/٢ وأنظر عبد الرحمن مبالح: تاريخ التعليم في مكة المكرمة /٣٨-٣٩
٢٠٠- أحمدشلبي: تاريخ التربية الإسلامية /٩٢.

التـي اعتمـدت علـى الأصـول مثـل مـذهب الإمـام أبـي حنيفـة (ت ١٨٢هـ) ومالـك بـن أنـس (ت ١٧٩هـ) والشافعي وأحمد بن حنبل[٢٠١]

✍ **المناهج التعليمية**:

تطورت المنـاهج التعليميـة تطورا ملحوظـا في هذا العصـر مـع العنايـة بـالعلوم الدينيـة أكثر من غيرهـا، والتركيز على القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويبدو هذا الإهتمـام بـالقرآن والحـديث[٢٠٢] مـن خـلال الوصـايا التربويـة، فأوصـى الخليفـة الرشـيد الأحمـر(ت ١٩٤هــ) مؤدب ولده الأمين بتعليمه القرآن والحديث، وتنسب للإمـام الشـافعي وصـية بعث بها لمؤدب أولاد الرشيد يطلب فيها تعليمهم القرآن والحديث. فقام المؤدبون بتعليمهم القرآن. فعبيدة بن حميد الحذاء،علم محمد بن الرشيد القرآن الكريم[٢٠٣]."

ونضجت الدراسـات الدينيـة فـي هـذه الحقبـة، فلم يعد الإهتمـام بتفسـير القـرآن الكـريم يقتصـر علـى توضـيح المعـاني بـل تجـاوز إلـى أمـور أخـرى، نظـرا لإخـتلاف مشـارب المفسـرين، ومـن الأمثلـة علـى ذلـك اهتمـام بعـض المفسـرين بالجانـب اللغـوي مثـل المفسـر الراغب الأصـفهاني فـي «مفردات القـرآن ، ومـنهم مـن ركـز علـى الجانـب العقلـي مثـل كتـاب «التفسير الكبير» للفخر الرازي. وتطور علم التفسير فأصبح يأخذ طابعـة منظمـة مرتبـة فـي ترتيـب السـور والآيـات عنـد تفسيرها[٢٠٤]. أمـا علـم الحـديث فقد دون فـي العصـر الأمـوي وتوسع في هذا العصـر، فاشتهر كثير من العلمـاء بتدوينـه ومنهم الإمـام أحمد بـن حنبـل الذي قـام برحلاتـه المتعـددة، وتـابع مسـيرته تلاميـذه الإمـام البخـاري، والإمـام مسـلم أصـحاب الصحاح.

وقد ألفت عدد من المسـانيد، مثـل مسند الإمـام أبـي حنيفـة، والشـافعي، وأحمد بـن حنبـل وغيرها.

وهذه النخبـة من العلمـاء هم من فقهـاء هذا العصـر، وأصحاب المذاهب الفقهيـة الـذين وضعوا لنا أصولها، وكانت لهم مؤلفـاتهم فـي هذا المجـال، وبقـي عصـرنـا يهتدي بهـا. وظهـر علم التصـوف، علم مستقل له قواعد وأصول و مبـادىء واتجاهـات ومنـاهج بعد أن كـان الزهد سـلوكة بسيطة كمـا هوعنـد الصـحابة مـن أمثـال أبـي بكـر وعمـر، ومـن هـذا التصـوف نشـأ التصوف السني. وظهرمجموعة من العلماء أمثال الحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ).

وزاد الاهتمـام بـالعلوم اللغويـة للمحافظـة علـى سـلامتها مـن الثقافـات الدخيلـة، ومـن علمـاء هـذا العصـر الخليـل بـن أحمـد(ت ١٧٠هــ) صـاحب معجـم العـين، والأصـمعي

---

[٢٠١]- الشيرازي: طبقات الفقها../٦٧/١٣٤

[٢٠٢]- المسعودي: مروج الذهب: المجلد الثاني/٣٢٤

[٢٠٣]- محمد بن حبيب: المحبر، ٤٧٨.

[٢٠٤]- عمر الشيباني: تطور التعليم العالي /١١١-١١٢.

(ت ٢١٩هـ). أما حركة الترجمة فقد نشطت نشاطا واسعة في هذا العصر، فاهتم الخلفاء العباسيون بالترجمة فقاموا بترجمة الفلسفة، والطب، والنجوم، والمنطق وغيرها.

وظهرت العلوم البحتة مثل الرياضيات، وعلم الفلك، والعلوم الطبيعية والتجريبية مثل الكيمياء، وعلم الطبيعة، والحيوان والنبات وغيرها، والعلوم التطبيقية مثل الطب والصيدلة.

وفي الأندلس سارت الحركة الثقافية في بعض جوانبها كما هي عند أهل المشرق فكان الاهتمام بالعلوم الدينية أولا، ثم العلوم الفلسفية والأدب شعرأ ونثر

✍ **الطرق التعليمية السائدة في هذا العصر:**

الحفظ والإملاء والقراءة هي طرق شاعت في هذا العصر. فصيانة للحديث النبوي قام العلماء بحفظه فأبو يوسف صاحب أبي حنيفة، كان يحضر المحدث ويحفظ منه ما يقارب الستين حديثة، بعد ذلك يقوم ليمليها على الناس[٢٠٥]. وتطورت طريقة الإملاء. لكثرة الطلاب واتساع المجالس بحيث أصبح هناك مستمل مثل هارون المستملي. والإمام الشافعي اشتهر بحفظه، فحفظ الموطأ ظاهرة وبعدها قرأه على الإمام مالك.

واسترسل الناس في القاء الأسئلة داخل الحلقة التعليمية، فكتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة هو إجابات عن الأسئلة التي كان يطرحها تلاميذه عليه. ولتفتيق الأفكار أنصب الاهتمام على المناظرات فالمأمون اهتم بها، وكان يخصص لها وقت محددة هو يوم الثلاثاء. ونمت هذه الطريقة نظرا لاعتناق الدولة مذهب الاعتزال القائم على الحجج العقلية.

وظهرت مناظرات فقهية كثيرة منها مناظرة الإمام أحمد بن حنبل في قضية خلق القرآن مع المأمون واسحق بن ابراهيم وغيرهم من علماء المعتزلة التي سوف نتحدث عنها ان شاء الله.

✍ **تعليم المرأة:**

تلقت المرأة تعليمها عن طريق ندوات علمية تعقد للنساء فكان للإمام أحمددروس خاصة يعقدها في المساء للنساء.

وساهمت المرأة في نشر العلم من أمثال ريحانة زوجة الإمام أحمد التي روت عنه الحديث النبوي."[٢٠٦]

---

[٢٠٥]- ابن خلكان، وفيات الاعيان٦/٣٧٩

[٢٠٦]- ابن الشطي: مختصر طبقات الحنابلة /٢٠.

✍ الرحلات العلمية:

نشطت حركة الرحلات العلمية. حتى أن بعض الخلفاء قاموا بهذه الرحلات التلقي العلم فالمنصور رحل قبل تولية الخلافة وكذلك الرشيد رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطة على الإمام مالك.

ومن العلماء الذين قاموا برحلات علمية الأوزاعي (ت ١٠٧هـ) فيقول: خرجت الى الحسن وابن سيرين فوجدت الحسن قدمات، ووجدت محمد بن سيرين مريضاً، فدخلنا عليه نعوده، فمكث أياما ثم مات .

ولم يكتف العلماء بالرحلة الى منطقة واحدة بل تعددت المناطق التي رحلوا اليها فابن المبارك (ت ١٨١هـ) وهو من رواة العلم. رحل الى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة."

✍ البعثات التعليمية:

استمر نشاط البعثات التعليمية في هذا العصر، وقد اصطحب بعض الولاة العلماء معهم إلى المناطق التي ولوا عليها، فعندما جاء صالح بن على والية على الشام في خلافة المنصور صحب معه جماعة من العلماء منهم المحدث اسحق بن عبد الله بن أبي فروة المدني، وقد حدث بالشام، وروى عنه أهلها العلم . ولاهتمام المأمون بتراث الأمم القديمة أرسل مجموعة من العلماء إلى القسطنطينية وجزيرة قبرص، ليزودوا بيت الحكمة بهذا التراث، وترجمته الى اللغة العربية. [٢٠٧]

✍ سمات الفكر التربوي في عصر الإمام

- أولا: اتساع حركة التأليف والإبداع في مختلف فروع العلم والمعرفة.وبشكل خاص الدراسات الدينية والتركيز على علوم القرآن والحديث، مع الإهتمام بالعلوم الأخرى نتيجة إزدياد حركة الترجمة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ومن هذه العلوم الفلسفة والمنطق والطب.
- ثانيا:ازدياد الحلقات التعليمية بشكل كبير، حتى أن جامع بغداد كان يغص بالعلماء الذين يفدون إليه لإلقاء دروسهم.
- ثالثا: اتساع نطاق الرحلات العلمية والتبادل الثقافي بين العلماء.
- رابعا: ظهور المذاهب الفقهية، الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وما زالت الأمة تتبع مذاهبهم في الوقت الحاضر.
- خامسا:ظهور المدارس الفكرية المختلفة، كالمعتزلة، والقدرية، وأهل الحديث.
- سادسا: اتساع حدة النزاع بين بعض هذه المدارس مثل أهل الحديث وأهل الكلام.

---

[٢٠٧]- أحمدالعبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي /١٠٨.

المبحث الثالث: مساهمة الإمام في تنشيط وتطوير الفكر التربوي:

أولا: رحلته العلمية:

نضجت الحركة العلمية في عصر الإمام أحمد، ومن مظاهر هذا النضج كثرة المصنفات العلمية، وكثرة رجال الحديث النبوي المشهورين بالحفظ والاتقان، حرصا منهم على سلامة السنة النبوية من الوضع.

ساهم الإمام أحمد في هذه المسيرة التربوية، فتابع الحركة العلمية، وذلك بقيامه بجمع للحديث النبوي من منابعه ليسمع الحديث من راوية نفسه، والتثبت منه، فرحل إلى مناطق متعددة "الكوفة والبصرة، ومكة والمدينة، واليمن والشام والجزيرة" .

وهذه الرحلات التي قام بها الإمام تحمل في طياتها اهدافسة، وهي طلب الإسناد العالي والهدف الآخر هو جمع أكبر مادة علمية من الحديث. فحفظ الحديث النبوي من أول ما تلقاه يقول: مات هشيم وأنا ابن عشرين سنة، وأنا أحفظ ما سمعت منه[٢٠٨] . تلقي الإمام أحمدالعلم أولا في عاصمة الخلافة الإسلامية و مسقط رأسه بغداد، تلقاه على أكبر شيوخها المقيمين والزائرين

لم يكتف الإمام بعلم بغداد، بل ش رحاله إلى الكوفة وهي منارة من منارات العراق الساطعة في العلم، وكان ذلك سنة ثلاث وثمانين ومائة، وحرص الإمام على الأخذ عن أكبر شيوخها[٢٠٩]، وظل الإمام أحمدحريصة على أخذ العلم من أفواه العلماء، فبقيت رحلاته العلمية تتوالى، فرحل إلى البصرة سنة ست وثمانين ومائة، وسنة تسعين، وأربع وتسعين ومائة، وسنة مائتين، فسمع من المعتمر بن سليمان، وبشر بن المفضل، وزياد بن الربيع وابن أبي عدي. ونزل عند يحيى بن سعيد، وسمع من عبد الصمد وأبي داود البرساني وغيرهم من الشيوخ.

وزاد نشاطه العلمي في السفر الى واسط حيث تم اللقاء مع أكبر شيوخها يزيد بن هارون[٢١٠]، وخرج الإمام أحمد إلى مكة المكرمة سنة سبع وثمانين ومائة وسنة احدى وتسعين وست وتسعين وسبع، وثمان وتسعين ومائة. واجتمع بعلمائها.

وفي احدى رحلاته إلى مكة نوى أن يرحل الى صنعاء اليمن مع يحيي بن معين ليجتمع بأشهر علمائها وهو عبد الرزاق الصنعاني، فالتقى معه في مكة، ولكن الإمام أحمد رفض أن يأخذ عنه إلا أن يرحل إليه ويقيم عنده، خوفا من أن يفسد نية نواها لله، دليل على

---

[٢٠٨]- أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ٢١/١

[٢٠٩]- أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد١/٣١ . وانظر وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق٧/٢٢٨ المزي تهذيب الكمال ١/٤٤٧ وانظر الذهبي: تاريخ الإسلام/ ١١.

[٢١٠]- ابن الجوزي: المناقب/٢٧ ، وانظر المزي: تهذيب الكمال:٤٤٩/١-٤٥٠

صدق المقصد والهدف والغاية، ولاعتبار النية الله، فلم ينقض العهد مع الله، فخرج الإمام سنة سبع وتسعين ومائة الى اليمن فأقام هناك ما يقارب السنتين[٢١١]

ورحل الإمام أحمد الى الشام فسمع في حمص من أبي اليمان الحكم بن نافع، ويزيد بن عبد ربه وغيرهم. ورغم قيامه بهذه الرحلات الواسعة تمنى أن يرحل الى الري وكان العائق ماديا.

✍ **ثانيا: تصانيفه**

هذه الرحلة العلمية أثرت في النضوج الفكري لدى الإمام أحمد، فتنوع نتاجه العلمي فصنف في عدة موضوعات، مما يدل على ثقافته الواسعة.

ومن أشهر هذه المصنفات «المسند» الذي بدأ بوضعه منذ أن تلقي الحديث النبوي. وقد رتب الإمام أحمدمسنده على أسماء الصحابة، وضمنه نحو ثلاثين ألف حديث أخذت من سبعمائة وخمسين ألف حديث[٢١٢].

واحتل المسند مكانة رفيعة بين مصادر الحديث الشريف لابتعاد الإمام عن رواية الحديث عمن عرف بالكذب "لم يخرج إلا عمن ثبت عنده صدقه، وديانته، دون من طعن في أمانته".

ومما يزيد من أهمية المسند أقوال العلماء فييسه مثل ابن المديني بقوله: هذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث[٢١٣]. فهو يؤكد ما قاله الإمام أحمدلابنه عبد الله احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إمامة، ويقول ابن الجزري: إذا اختلف الناس في سنة عن رسول الله -ﷺ- رجع إليه[٢١٤]

ومما زاد في اهمية المسند أنه أصبح موضع اهتمام علماء الحديث فقامت دراسات حوله مما أثرى الفكر التربوي. مثل خصائص المسند لابن المديني والمصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد(ت ٨٣٣هـ) وهما منشور ان في طلائع كتاب المسند والقول المسدد في الذب عن المسند لابن حجر (ت ٨٠٢هـ) وذيل القول المسدد للمحدث المدراسي (ت ١٣٠٠هـ). وهذان الكتابان منشوران في أخر المسند المحقق.

جاءت مصنفات الإمام أحمد حسب متطلبات العصر الذي يعيشه، ومما ألف فيه العلماء المعاصرون له. ومن مصنفات الإمام التي أثرت الفكر التربوي الإسلامي "كتاب الايمان" رد فيه على خصوم السنة قولهم أن كل الناس في الايمان سواء، فخلاصة كتابه أن

٢١١- أبو نعيم: الحلية، وأنظر العليمي: المنهج الأحمد

٢١٢- أبو موسى المدني: خصائص المسند٢١/١، من طلائع كتاب المسند، ابن الجوزي: المناقب /١٩١، ابن السعدي الجوهر المحصل /٤٩.

٢١٣- ابن المديني: خصائص المسند، ١/٢١ من طلائع كتاب المسند

٢١٤- ابن الجزري: المصعد الأحمد، ٣٠/١، من طلائع كتاب المسند

الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقول والعمل هما الايمان، لذا فليس كل الناس فيه سواء ما جاء في الكتاب وهو مرتكز تربوي لتصفية الإيمان من الشوائب، وأخذه كما أخذه السلف.

وقد أسهم الإمام أحمد في كتابه«الصلاة» في أغناء فكر الأمة، والتأكيد على أهمية هذه الفريضة المباركة.

وقد أسهم الإمام أحمد في كتابيه «الرد على الزنادقة» و«الرد على الجهمية» في التصدي للفكر الوافد، وبين من خلالهما الفكر التربوي الإسلامي النابع من الأصول. وهذان الكتابان منشور ان تحت اسم عقائد أهل السلف، ففي كتابه الرد على الزنادقة بين شك الزنادقة في القرآن، وادعائهم التناقض فيه، فاتبع منهجاً موضوعية في الرد عليهم، فأورد قول الزنادقة ثم الرد عليهم واعتمد في ذلك على تفسير القرآن بالقرآن نفسه [٢١٥]

أما الكتاب الآخر الرد على «الجهمية» وهي فرقة من المعتزلة، فرد عليهما في مسألتين سادتها في ذلك العصر وهما مسألة خلق القرآن ومسألة الصفات.

ونبغ الإمام أحمدفي مواجهة الظروف الطارئة في تصانيفه، فكان كتاب الأشربة يتضمن ما ورد عن الرسول ﷺ بشأن الأشربة المحرمة، وما ورد عن الصحابة والتابعين حول هذه الاشربة بتأكيد تحريمها[٢١٦]

وقد تجرد الإمام أحمد للحق والحقيقة ففي كتاب فضائل الصحابة، وضح الإمام أحمد أن الخلافة يجب أن تكون في أبي بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. فعندما سئل ما تقول في علي وعثما ؟ أجاب: عثمان ثم علي.

رد الإمام على أقوال كانت تردد أن الخلافة يجب أن تكون في علي ثم أبي بكر وعمر وعثمان. اعتبر الإمام مخالفة ترتيب الصحابة هو طعن على صحابة رسول الله ﷺ مع أنه لم ينتقص من حق الإمام علي، يقول: في الخلافة أبي بكر وعمر وعثمان، فسئل فعلي بن ابي طالب أجاب: "علي بن أبي طالب من أهل البيت لا يقاس به أحد".

وفي كتابه «السنة» صنف عدة بحوث منها أراء العلماء في الجهمية وأقوالهم في القرآن وأنه غير مخلوق، وغيرها من البحوث مما أعطى لنا منهج تربوية هدفه له كلمة الأمة خوفا من أن تنزلق في براثن الجدلية الذي يؤدي الى انقسام الأمة، وهذا ما نحتاجه اليوم. مما أثرى الفكر التربوي الإسلامي بهذه البحوث الهادفة التي اتفقت مع التصور الإسلامي الصحيح اللقضايا المطروحة

وقد ذكر المترجمون للإمام هذه المصنفات وغيرها من المصنفات «المسند» التفسير» وهو مائة ألف وعشرون ألف حديث «الناسخ والمنسوخ» و«التاريخ» و«حديث

---

[٢١٥] - عقائد أهل السلف: المقدمة /١٧-١٨.

[٢١٦] - الإمام أحمدبن حنبل: الأشربة، المقدمة /٢

شعبة» والمقدم والمؤخر في القرآن «وجوابات القرآن، و الفضائل» و«الفرائض» و«الرد على الجهمية» و«الرد على الزنادقة» وغيرها[٢١٧]

وللإمام مصنفات أخرى هي «الزهد» و«الورع) [٢١٨].

✍ **ثالثا: تدريسه**:

نشطت الحلقات التعليمية في المساجد في عصر الإمام أحمد، وغص جامع بغداد بهذه الحلقات، والإمام أحمد أحد هؤلاء العلماء الذين أدوا رسالتهم في ممارسة النشاط التعليمي.

الم يجلس الإمام أحمد للتدريس بصورة فعلية قبل سن الأربعين، فإذا ما سئل عن مسألة أفتى فيها من باب عدم كتمان العلم امتثالا لأمر الشريعة. فقد علم الإمام أحمد في هذه الفترة في الحديث والفقه وأفتى في المناسك في مسجد الخيف سنة ثمان وتسعين ومائة. وعندما بلغ سن الأربعين سنة أربع ومائتين جلس الإمام أحمد للتدريس وبصورة فعلية.

لم يواصل الإمام أحمد التدريس، بل انقطع عنه في فترات إلى أن امتنع عن التحديث وكان امتناع أحمد عن التحديث في أيام المحنة. ولكن بعد موت المعتصم وتولى الواثق كثر أخذ الناس عن الإمام فقطع الحديث دون منع من السلطان، ولكن أبلغ الحسن بن علي بن الجعد قاضي بغداد ابن أبي دؤاد بأن الإمام يحدث، فبلغ الخبر للإمام أحمد، فامتنع عن التحديث..

وعاد في أوائل عهد المتوكل إلى التحديث فيقول: «ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا هذا[٢١٩]. بعدها امتنع الإمام أحمدعن التحديث إلى حين وفاته، وذلك أن المتوكل أرسل إليه ليعلم ابنه المعتز، فرفض الإمام لأنه أقسم ألا يحدث حتى يموت، واعتبر الإمام القرب من السلطان شيئا يكرهه، وتدريس المعتز قربان منه، فالإمام يكرهه. للإمام أحمدمجلسان: عام وخاص. أما العام فكان عدد الحضور ما يقارب خمسة الاف أو يزيدون على ذلك، أما مجلسه الخاص فيعقده في منزله، وقد تلقى عليه العلم في منزله ابناه عبد الله وصالح وحنبل أبن عمه.

وللإمام في مجلسه آداب وطرق تدريسية سيتم الحديث عنها في فصول لاحقة من هذا البحث إن شاء الله.

٢١٧- أبو يعلى، طبقات الحنابلة. ٨/١. العليمي: المنهج الأحمد، ١٩/١ . وأنظر الداورودي: طبقات المفسرين، ٧٢/١

٢١٨- ابن السعدي: الجوهر المحصل /٤٩

٢١٩- حنبل بن اسحق: ذكر محنه الإمام أحمد/٨٥

✍ رابعا:نشاط تلاميذ الإمام:

للإمام أحمد صلة في التراث التربوي، فهو يشغل حيزا كبيرة فيه، فصدى نشاطه التربوي نجده - بالإضافة إلى ما سبق - في مؤلفات تلاميذه التي أعطت صورة واضحة عن الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي في ذلك العصر. مما دفع الحركة العلمية إلى الإمام.

ومن تلاميذه الذين لهم إسهامات في مسيرة الفكر التربوي:

١. الإمام البخاري (ت٢٦٥هـ) صاحب كتاب «الجامع الصحيح» «والتاريخ»
وغير ذلك من التصانيف.

٢. مسلم بن الحجاج (ت ٢٩٠هـ) صاحب الصحيح، صنف المسند الصحيح وله
كتاب «العلل»، وكتاب «الكني»، وكتاب « أوهام المحدثين» وغير ذلك

٣. أبو اسحق الحربي (ت ٢٨٠هـ) من تصانيفه كتاب « غريب الحديث» دلائل النبوة »، والنهي عن الكذب. وغيرهم من التلاميذ..

ومن اتباع الإمام أحمد الذين سمعوا من تلاميذه وأصحابه وساهموا في حركة التأليف في الفقه الحنبلي:

١. أبو بكر الخلال: الذي أخذ في التصنيف في جامع علم الإمام وتفسير غريب حديثه وعلله

٢. وأبو القاسم الخرقي: وله مصنفات في المذهب الحنبلي وأهمها المختصر في الفقه .

✍ خامسا:علمه في الجرح والتعديل:

تكلم الصحابة ومن بعدهم التابعون في هذا العلم لوجوبه على المسلمين حفاظا على الشريعة الإسلامية.

وفي بداية القرن الثاني الهجري صنفت الكتب في هذا العلم لمعرفة أحوال الرواة ومن أشهر النقاد في الجرح والتعديل، الإمام أحمد بن حنبل من طبقة يحي بن معين (ت ٢٣٣هـ) فتكلم عن كثير من الرجال دون أن يخرج عن حد الإعتدال[٢٢٠]

ومن هؤلاء الذين تكلم الإمام أحمد فيهم إخلاصا للحديث النبوي لمعرفة الحق زياد بن الجارود الثقفي، قال الإمام أحمد عنه "متروك الحديث "[٢٢١] وعندما سئل عن حسام بن

---

[٢٢٠]- ابو زهو: الحديث والمحدثون /٤٥٤-٤٥٦ .
[٢٢١]- ابن أبي حاتم: المجروحين، ٣٠٦/١

الملك قال: أرى الناس قد تركوا حديثه. وهذه المعرفة التربوية في نقد الرواة أفادت في المنجزات العلمية في الحديث النبوي الشريف.

✍ **سادسا: محاربة علماء الكلام**

ترعرع تيار الاعتزال في عهد المأمون فطغي العقل فيه على النص، مما أدخل الفساد على العقيدة الإسلامية وأدى إلى انحرافات في مفاهيمها.

دافع الإمام أحمد عن صفاء العقيدة الإسلامية وواجه هذه الأباطيل والترف الفكري البعيد عن السلف، فتصدى لهم بالحجج المقنعة من الكتاب والسنة.

كره الإمام أحمد الكلام حتى الجلوس مع المتكلمين، فعندما جاءه نفر خائف من انتشار الكلام والإعتزال، لأن ابن أبي دؤاد أمر بتعليم الصبيان في الكتاتيب أن القرآن مخلوق. جاء هذا النفر إلى الإمام أحمد، فتصدى لهم بالدليل عن طريق المناظرة، فمنعهم من نشر أرائهم وغير ذلك من ثباته مما سنتحدث عنه في الفصل الأخير، إن شاء الله.

الفصل الخامس

آراؤه التربوية

المبحث الأول: آداب العالم والمتعلم

- أولا: آداب العالم في نفسه ويشاركه فيها المتعلم
  - ✓ التحلي بالقيم الخلقية الرفيعة
  - ✓ اتباع الأثر
  - ✓ التنزه عن الشهرة
  - ✓ صيانة العلم والابتعاد عن السلطة
  - ✓ المحافظة على القيام بشعائرالإسلام
  - ✓ تجنب المزاح
  - ✓ التفرغ للعلم وتقليل الاشتغال بالدنيا
  - ✓ الاهتمام بنظافة نفسه
- ثانيا: آداب العالم في درسه
  - ✓ كمال الأهلية
  - ✓ كيفية الجلوس
  - ✓ القاء درسه
  - ✓ معاملة تلاميذه بالتساوي وإكرامه الفقير
  - ✓ احترام التلاميذ
  - ✓ الشفقة على التلاميذ
  - ✓ تقديم النصح والإرشاد لتلاميذه والدعاء لهم
  - ✓ تدوين بعض آرائه الفقهية
  - ✓ ختمه الدرس
- ثالثا: آداب المتعلم مع شيوخه
  - ✓ التواضع
  - ✓ عدم تخطي الناس في المجالس
  - ✓ إجلال وتعظيم الشيخ
  - ✓ أخذ العلم من علماء ثقة

المبحث الثاني: مفهوم الزهد والورع عند الإمام أحمدوأثرهما في التربية السلوكية مفهوم الزهد والورع

- أولا: معالجة النفس الإنسانية
- ثانيا: ورعه وزهده في مجال العلم
- ثالثا: ورعه وزهده في السلطة والسلطان والصدقات
- رابعا: ورعه وزهده في الطعام واللباس

المبحث الثالث: أهداف التعليم الإسلامي وخصائصه، ومناهجه، وطرق تدريسه عند الإمام أحمدبن حنبل

- أولا: أهداف التعليم عند الإمام أحمد

- ✓ تحقيق مرضاة الله ﷻأوابتغاء مرضاة الله
- ✓ تهذيب الأخلاق
- ✓ طلب النافع من العلم
- ✓ الإخلاص للعلم
- ✓ نشر العلم والمحافظة على السنة
- ثانيا: خصائص التعليم الإسلامي
- ✓ تنوع مصادر التلقي عن الشيوخ
- ✓ الملازمة أو المصاحبة
- ✓ الإهتمام بالحفظ
- ✓ اقتضاء العلم والعمل
- ✓ الاستمرارية في التعليم
- ✓ التبكير في طلب العلم
- ثالثا: المناهج التعليمية عند الإمام أحمد بن حنبل
- رابعا: طرق التدريس عند الإمام أحمد

الفصل الخامس

آراؤه التربوية

المبحث الأول: آداب العالم والمتعلم:

بين الرسول -ﷺ- مكانة العالم وفضله بقوله: إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. ويتطلب التعليم ممن يتقلده أن يتحلى بآداب كريمة حتى يكون على مستوى الرسالة التي يؤديها يقول الإمام الغزالي: من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيمة وخطرا جسيما[٢٢٢]. ويزداد فضله رفعة عندما يتحلى باداب وصفات حميدة، نائية بنفسه عما يحط من قدره .

✍ أولا: آداب العالم في نفسه ويشاركه فيها المتعلم:

لقد تمثل الإمام أحمد الخلق الإسلامي الرفيع قولا وفعلا، وتحلى في سلوكه بالقيم الرفيعة، ليكون قدوة لغيره امتثالا لقوله تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة» ومن آدابه وخصاله:-

١. التحلي بالقيم الخلقية الرفيعة .

وأول هذه الأخلاق التقوى، وهي أفضل ما يتحلى به المرء لأنها الأساس وعليها تتوقفي الأعمال، فعند وداعيه لابن المديني عند سفره إلى مكة أوصاه بتقوى الله بقوله: الزم التقوى قلبك، فهو دائم الخوف من الله والتذكر للموت، حتى إنه يمنعه أكل الطعام والشراب فلا يشتهيه، فهانت عليه الدنيا.

فالعلماء هم أشد خشية وخوفا من الله، ومن أخلاقه الصدق وعكسه لا يكون عليه المؤمن،قال الشافعي في صيدق الإمام: رأيت ببغداد شابة إذا قال حدثنا، قال الناس كلهم صدق، قيل من هو؟ قال: أحمد بن حنبل ومن صدقه أنه لا ينظر إلى نصراني وفي ذلك يقول: «لا أقدر أن أنظر الى من افترى على الله وكذب عليه». لافترانهم وكذبهم على الله.

ولأهمية الصبر في حياة المؤمن الصادق نجد أن الإمام أحمد كان صابرا في طلبه للعلم فتحمل المشاق والمصاعب في سبيله، فإذا نفد زاده وعدته في طلبه العلم، كان يعمل بنفسه حتى يواصل الطلب.

ومع نفاد نفقته فقد كانت نفسه عفيفة، فعرض عليه أصحابه مالا عندما انقطعت نفقته فرفضها الإمام امتثالا لقوله ﷺ: «ازهد في الدنيا، يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس

---

[٢٢٢]- عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند الإمام الغزالي /١٨٧.

يحبوك». ولم يفتخر الإمام أحمد بأنه من العرب، ولا بما يحمل من صفات خير وصلاح في أمره، امتثالا لقول ﷺ:" أن الله أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"

ومن كريم خلقه الجود إذ يجود ويتبرع لمن يطلب منه، فعن ابن عباس قال فلرسول الله ﷺ أجود بالخيرمن الريح المرسلة. وكان الإمام أحمدكريم مع ضيفه يقول: كل الطعام مع الإخوان بالسرو، ومع الفقراء بالإيثا، ومع أبناء الدنيا بالمروءة [٢٢٣] مع إدراكه لمعنى الجود والايثار دون إسراف بقوله: لو أن الدنيا حتى تكون في مقدار لقمة ثم اخذها آمرز مسلم فوضعها في فم اخيه المسلم لما كان مسرفأ

ومن أخلاقه اعراضه من القول القبيح، فلا يقل إلا مذاكرة الحديث، وذكر الصالحين والزهاد يغض بصره، ويبش في وجه من يلاقيه

وقد جمع خصاله البوشنجي فقال عنه: ما رأيت احدة في عصر ابي عبد الله ممن رأيت أجمع منه ديانة، وصيانة، وفقها، وعلمية، و أدب نفس، وكرم خلق، وثباتا.

٢. اتباع الأثر:

أكد الإمام أحمد العودة إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلم يتوان في المحافظة على السنة النبوية واتباعها يقول: "فهذه السنة الزموها تسلموا" وقد شهد له علماء عصره بذلك يقول الميموني: "ما رأيت مصليا قط أحسن صلاة من أحمد بن حنبل، ولا أشد اتباعا للسنن منه وكان الإمام أحمد دائما يدعو اللهم أمتنا على الإسلام والسنة.

واستمر الإمام يتبع السنن الى أخر لحظات عمره، ففي مرضه طلب تخليل أصابعه [٢٢٤]وتبع الأثر، فبلغه أن طاوسا كان يكره الأنين فما أن إلا في الليلة التي توفي فيها.

٣. التنزه عن الشهرة

حتى تكون للعلم الفائدة المتوخاة، لا بد أن يقصد منه التقرب الى الله ﷻ ولا يقصد به حب الشهرة لمماراة السفهاء ، فلا ينتظر مديحة أو ثناءا. يقول ﷺ: إن أغبط الناس عندي لمؤمن خفيف الحان، ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه، وأطاعه في السر، وكان غامضة في الناس لا يشار اليه بالأصابع، وكان رزقه كفافة فصبر على ذلك، ثم نقر بأصبعيه فقال: عجلت منيته قلبت بواكيه قل تراثه.

فالشهرة عند الإمام أحمد هي ابتلاء من الله، فهو دائما يتمنى الموت ويشتهي المكان الذي لا يكون فيه أحد من الناس، ويقول: لو وجدت السبيل الخرجت حتى لا يكون لي ذكر

---

[٢٢٣]- العليمي: المنهج الأحمد١/٢٠

[٢٢٤]- أبو نعيم: الحلية ١٨٣/٩ وانظر السبكى، طبقات الشافعية ٣٤/٢ قال رسول الله ﷺ: "إذا توضأت لخلل الاصابعه " الترمذي: السنن، ٢٩/١ أبواب الطهارة، باب ما جاء في تخليل الأصابع. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

امتثالا لما قاله الرسول ﷺعندما جاءه اعرابي فقال: يا رسول الله، أي الناس، خير قال: رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وابتعد الإمام عن كل ما يؤدي به إلى الشهرة من التزين بلباس القراء وإظهار النسلك.

٤. صيانة العلم والابتعاد عن السلطة:

ترفع الإمام أحمد عن السلطة وأموالها، واعتبر السلطان داء بل هو شر دام، فقد كتب الى سعيد بن يعقوب يقول له: «أما بعد فإن الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب فإذا رأيت الطبيب يجر الداء الى نفسه فاحذره». لذا فالإمام أحمد عندما عرض عليه منصب قاض في اليمن زمن هارون الرشيد رفضه وترفع حتى عن أموالهم، فعندما بعث المأمون أموالا الى أصحاب الحديث، أخذوا كلهم إلا الإمام أحمد فإنه رفض.

ابتعد الإمام عمن اقترب من السلطان، كما فعل مع أقرب الناس إليه، إبنه صالح وعمه حتى أنه أمر بسد الباب بينه وبينهم، بسبب قبولهم هدية السلطان.

قال الأوزاعي: ما شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور أميرة[٢٢٥]

٥. المحافظة على القيام بشعائر الإسلام:

حافظ الإمام أحمدعلى القيام بشعائر الإسلام، فكان كثير الصلاة، فهو يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، وعندما ضعف جسمه بعد المحنة أصبح يصلي كل يوم مئة وخمسين ركعة"، فيصلي بين المغرب والعشاء ثم ينام بعد العشاء وقت يسيرة، بعدها يقوم ويصلي الى حين الصباح.

وكان كثير التلاوة لكتاب الله فكان يختسمه مرة في الأسبوع ويستغرب من طالب علم لم يقم لاحياء ليلة، وفي ذات ليلة كان عنده أحد العلماء فوضع عنده ماءا، وفي الصباح نظر الى الماء فوجده كما هو، فقال: يا سبحان الله، رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل . وكان يواصل الصيام، حتى في محنته يفطر من صومه كل ثلاثة أيام على تمر وسوق وأحيانا يفطر ليلة وليلة لا يفطر.

٦. تجنب المزاح

ابتعد الإمام أحمد عن المزاح والضحك فعند حضوره مجلس يزيد بن هارون مزح يزيد مع مستمليه فتنحنح أحمد، فضرب يزيد بيده على جبينه. وقال: "ألا أعلمتوني أن أحمدها هنا حتى لا أمزح ". فهم يزيد بن هارون انزعاج أحمد من المزاح والضحك بتنحنه. قال الإمام علي كرم الله وجه: " إذا ضحك العالم ضحكة مج من العلم مجه" [٢٢٦]

٢٢٥- شفيق زيعور: الفكر التربوي عند العليوي /١٦

٢٢٦- الماوردي: أدب الدنيا والدين /٢٠٢

٧. التفرغ للعلم وتقليل الاشتغال بالدنيا:

تفرغ الإمام أحمد للعلم فلم يتشاغل عنه بكسب أو تجارة، وعند نفاذ نفقته كان يشتغل بالكتابة ليأخذ أجرا وأحيانا يشتغل بنسج التكل، يبيعها وينفق.

ومن أراد الآخرة فليصرف نظره عن الدنيا وملاذها، فالدنيا والآخرة لا تجتمعان في قلب. قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ . . . . ﴾[سورة الأحزاب: الآية ٤] فزهد الإمام أحمدفي الطعام واللباس، والمناصب وغيرها من مغريات الدنيا.

أراد فوران أن يبعث للإمام بخف قائلا له: "عندي خف ابعث به اليك فسكت، فلما عاد اليه قال: يا أبا محمد، لا تبعث بالخف، فقد شغل قلبي" قال الشافعي: «لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح .

٨. الاهتمام بنظافة نفسه:

اهتم الإمام أحمد بتنظيف ثيابه، وأكثر من العناية بنفسه، وبدنه، وشعر رأس فهذا منهج تربوي عملي.

✍ **ثانيا: آداب العالم في درسه**

- **كمال الأهلية:**

جلس الإمام أحمد للتدريس وعمره أربعون سنة، فالعالم لا يتولى التدريس إلا إذا اكتملت أهليته، ومن كمالها العلم بالقرآن والسنة.

فعندما سئل الإمام أحمد عن كفاية المفتي من الحديث النبوي، يكفيه مئة ألف؟ أجاب «لا» إلى أن قيل له: يكفيه خمسمائة ألف؟ قال: أرجو.

- **كيفية الجلوس**

اهتم الإمام أحمد بجلسة العالم، فإذا خرج إلى درسه لم يتصدر بل كان يجلس حيث يجد مكانة للجلوس، ويجلس جلسة القرفصاء؛ اقتداء برسول الله ﷺ فعن أنس قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون مقعدة من كراهيته لذلك.

ورأت احدى النساء الرسول -ﷺ- وهو قاعد القرفصاء[٢٢٧] ومن آداب الإمام أحمد في جلسته أنه كان لا يمد قدمه في المجلس، فالوقار والسكينة تعلوه في مجلسه

---

[٢٢٧]- أبو داود: سنن أبي داود.٢٦٢/٤، كتاب الأدب، باب في جلوس الرجل

● القاء درسه

وكان مجلس الإمام أحمد مجالس الآخرة، فلا يذكر فيها شيئا من أمر الدنيا، إما اذا ذكر العلم فيتكلم به. ولا يلقي الإمام در سه إلا إذا سأله أحد، قائلا له: "لبيك لبيك ". وإجابته تكون من القرآن أو السنة أو عن الصحابة والتابعين ولا يعتمد فيها على الذاكرة على الرغم من حفظه واتقانه لأنه يعتبر الكتاب أحفظ شيء، فلا يحدث علمه إلا من الكتاب، وقد أوصي يحيى بن معين بعدم التحديث إلا من كتاب بقوله: "لا تحدث المسند إلا من كتاب[٢٢٨] وقال عنه ابن المديني: "إنه لا يحدث إلا من كتاب والنافية أسوة حسنة". وكان أحيانا يقول: لا أدري إذا لم يكن عنده في المسألة شيء .

● معاملة تلاميذه بالتساوي وإكرامه الفقير

لم يميز الإمام أحمدبين الغني والفقير في مجلسه، بل على العكس فهو أكثر ميلا وإكراما للفقراء، ويشهد له تلاميذه بذلك، قال المروزي: لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أحمد، كان مائة إليهم، مقصرة عن أهل الدنيا .

● احترام التلاميذ

احترم الإمام أحمدتلاميذه، ولم يتوان في تقديم عذره لهم عندما رأى ذلك من الواجب عليه، جاء الإمام إلى بيت ابنه صالح ليلقي درسه، فحدث تلاميذه بحديث الأحنف بن قيس عندما جاء من السفر وقد غيروا سقف بيته، فرد عليه التلاميذ «أما ترى إلى سقف بيتك ؟». فقال الإمام: "معذرة إليكم، إني لم أره، لا أدخله حتى تغيروه "، فتقديم العذر دليل التقدير والاحترام.

● الشفقة على التلاميذ

المعلم مثل الوالد لولده، قال ﷺ: "إنما أنا لكم مثل الوالد لولده ، ويدعى ﷺ إلى الرفق بقوله: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" مرالإمام أحمد بهارون الجمال وهو يلقي درسه، وكان جالسا في الفيء بينما تلاميذه في الشمس، فعاد اليه في المساء وقال له: جزت عليك اليوم، وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى إذا قعدت، فاقعد مع الناس .. أشفق الإمام أحمد على تلاميذ هارون الحمال. فمن الأولى أن يكون أكثر رحمة وشفقة على تلاميذه.

---

[٢٢٨] - ابن العماد: شذرات الذهب ٩٧/٢

●**تقديم النصح والإرشاد لتلاميذه والدعاء لهم**

قدم الإمام أحمد النصح لتلاميذه امتثالا لقوله ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. نهى الإمام تلاميذه عن كتابة العلم عمن يأخذ عروضاً دنيوية[٢٢٩] وأرشدهم ودلهم على أصحاب الآثار والسنن، وحذرهم من أخذ العلم عن أصحاب الأهواء قال الاسفرايني: «سمعت أحمد بن حنبل سئل عمن نكتب في طريقنا، فقال: «عليكم بهناد وبسفيان بن وكيع، وبمكة ابن أبي عمر، وإياكم أن تكتبوا يعني عن أحد من أصحاب الأهواء قليلا ولا كثيرة، عليكم بأصحاب الآثار والسنن. وقد نصح ابن عمه اسحق عندما رآه يكتب خطأ دقيقة بقوله: «لا تفعل، أحوج ما تكون إليه يخونك» وغيرها من المواقف

دعا الإمام أحمد لتلاميذه بأحسن الأدعية، فعندما طلب جعفر بن يعقوب الصفار أن يدعو لهم الإمام قال: اللهم إنك تعلم أنك لنا على أكثر مما نحب، فاجعلنا لك على ما تحب. اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسموات ....

●**النهي عن تدوين بعض آرائه الفقهية**

نهى الإمام أحمد عن تدوين مسائله، فهو يكره كتابة رأيه، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله، ولو أراد ذلك لكانت له تصانيف عديدة، ولنقلت عنه كتب كثيرة، فكانت تصانيفه المنقولات)، مع أنه سمح لبعض تلاميذه كتابة رأيه حياء منهم."

●**ختمة الدرس**

كان من عادة العلماء إذا انتهى الدرس أن يقول عبارة تدل على انتهاء الدرس فالإمام أحمد عند انتهاء درسه يقول لتلاميذه: "إذا شئتم" فهذا أدب تربوي لإشعار التلاميذ بإنتهاء الدرس".

✍ ثالثا: آداب المتعلم مع شيوخه

كما أن للعالم أدابة يجب مراعاتها، كذلك للمتعلم آداب يتخلق بها لأنه مسؤول عن تصرفاته تجاه نفسه والمجتمع وتجاه شيخه، فالإمام أحمد تخلق بأخلاق المتعلمين وتأدبهم مع شيوخهم، ومن هذه الآداب:

١) التواضع

وهو من مكارم الأخلاق، قال ﷺ: "ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " وقال عمر بن الخطاب: "تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ليتواضع لكم من تعلمونه" تواضع الإمام أحمد لشيوخه، وأكثر ما كان تواضعه ليحيى بن معين، وهو أكبر منه بسبع سنين ، وبالمقابل احترمه وعظمه شيوخه"

---

[٢٢٩]- الشعراني، الطبقات الكبرى، ٥٦/١

ومن عظيم تواضعه حضوره مجلس خلف للاستماع لحديث أبي عوانة، فأراد خلف أن يرفعه، فرفض الإمام أحمد قائلا: لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

٢) عدم تخطي الناس في المجالس:

جعل الضحاك بن مخلد يذم تلاميذه في مجلسه لعدم فقههم، فردوا عليه بأن هناك فقيها سيلحق بهم، ويقصدون الإمام أحمد، وعند مجيئه، قال الضحاك: «تقدم» قال الإمام: «أكره أن أتخطى الناس» فقال أبو عاصم: «هذا من فقهه» وأخذه فقال: وسعوا له فوسعوا فدخل فأجلسه بين يديه. فأعطي لنا أدبة أنه من أتي مجلسا فليجلس حيث انتهى به مكان الجلوس.

٣) إجلال وتعظيم الشيخ:

احترم الإمام أحمد شيوخه وعلمهم، فقد حضر الإمام مع بعض علماء عصره في مجلس يحيي القطان بعد العصر يستمعونه يحدث، ويسألونه عن الحديث، وهم وقوف ريثما تحين صلاة المغرب، لا يجلسون هيبة وتعظيمة لشيخهم.

وصف وكيع تواضع الإمام أحمد في مجلسه بحضور الإمام وعمرو بن الناقد، فقال عمرو بن الناقد للإمام: يا أبا عبد الله، إن الشيخ يكرمك فما بالك لا تتكلم؟ فقال الإمام أحمد: إن كان يكرمنسي فينبغي أن أجله . ومن أجلاله الشيخه وتوقيره له عدم الانتقاص منه واعطائه حقه، فكان يقول عن الإمام الشافعي: «إن الشافعي مكنه الله تعالى من أنواع العلوم حتي عجز لديه المناظرون من الطوائف وأصحاب الفتوى». والاعتراف بفضل شيخه عليه يقول عن الإمام الشافعي: " ما حمل أحد محبرة ولا مس قلما إلا ولك فضل في عنقه منه "

وقد أكرم شيخه بالإكثار من الدعاء له حتى سأله ابنه عن سبب كثرة دعائه للإمام الشافعي، فقال له: "يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنياء وكالعافية للناس "

ومن احترامه لهم ألا يحدث بحديثهم وهم أحياء، إلا إذا ارتحل إليهم وسمع منهم فسئل مرة أن يملي حديثا لعبد الرازق، فأجاب: "عبد الرازق حي". فأراد بذلك أن يأخذ الحديث كما ينبغي أن يأخذه المحدش فيقول لأحد شيوخه: "لا تشتغل بي إنما أريد أن أخذ العلم على وجهه"

٤) أخذ العلم من علماء ثقة:

قال ابن سيرين: "أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم". تلقي الإمام أحمد علمه على كبار شيوخ عصره والموصوفين بالثقة والحفظ والإتقان، ومنهم يحيى بن معين

الإمام الشافعي، عبد الرزاق الصنعاني، وعلي بن المديني، ووكيع بن الجراح، وغيرهم من العلماء المماثلين لهم منزلة في العلم والورع والتقوى والاتقان.

المبحث الثاني: مفهوم الزهد والورع عند الإمام أحمدوأثرهما في التربية السلوكية

✍ مفهوم الزهد والورع

معني الزهد في اللغة: ضد الرغبة، والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة[٢٣٠].

أما في الاصطلاح فقد عرف بعدة تعريفات منها: أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل، فهو أخص من الورع، إذ هو ترك المشتبه وهذا زهد العارفين[٢٣١].

وعرفه أخرون بأنه: ترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله من مطعم وملبس وغير ذلك[٢٣٢]. كما قال الإمام أحمد: إنما هو طعام دون طعام و لباس دون لباس.

والزهد المشروع: هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله كما في الحديث الشريف: الزهادة في الدنيا ليس بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك[٢٣٣]

وعرف الإمام أحمد الزهد بقوله:"هو قصر الأمل واليأس مما في أيدي الناس"

أما الورع في اللغة فهو الكف عن المحارم، والتحرج منه، وتورع من كذا، ثم استعير للكف عن المباح والحلال"

وفي الاصطلاح: اجتناب الفعل واتقاؤه، والكف والامساك عنه، والحذر منه، وهو يعود الى كراهة الأمر والنفرة منه، والبغض له: فإنه الإمساك عما قد يضر، فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر.

وفسر ابن تيمية معنى الزهد من خلال مفهوم الورع بقوله: كل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد، من غيرعكس .

أما الإمام أحمد فقد تناول الزهد وبين معناه وبين زهد الأوائل من الأنبياء ثم الصحابة ثم التابعين وتابعيهم، أما في كتابه «الورع» فقد أجاب فيه عن مسائل سئل عنها

٢٣٠- ابن منظور، لسان العرب،١٩٦/٣

٢٣١- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون١٠٧/٣

٢٣٢- ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة /٧٤

مدللا على بعض إجابته من أقوال الرسول ﷺ والسلف الصالح، وأعطى لنا فكرة تربوية روحية في كتابه الزهد متبعة منهج السلف، وقد وصف ابن كثير هذا الكتاب بقوله: «لم يسبق إلى مثله، ولم يلحقه أحد فيه.

✍ **أولا: معالجة النفس الإنسانية**

جاء منهج الإمام أحمد في الزهد والورع في عصر أثر الترف والبذخ بألوان الترف والثراء، فأعطى نموذجة مثالية من حياة العلماء الذين لا يفكرون برفاهيتهم، بل ينظرون إلى الحياة بجدية، فاهتموا بقضايا مجتمعهم الدينية، ليعود بهم إلى الصفاء الروحي الذي عاشه الأسلاف فدعا وسط هذا الترف الى التربية الخلقية متمثلة بالزهد والورع.

بدا الإمام أحمد بمعالجة النفس الإنسانية، فكان اهتمامه بالجوهر والداخل، ونقي النفس من الأدران والفساد، ليتصل بالله عز وجل، فاعتبر الزهد هو طريق للآخرة مستشهدا بقول أبي واقد الليثي: تابعنا الأعمال فلم نجد عملا أبلغ في طلب الآخرة من الزهادة في الدنيا واعتبر الزاهد من أفضل المؤمنين امتثالا لما قاله ﷺ عندما قيل له: «من يؤمر بعدك»: قال: أن تؤمروا أبا بكرؓ تجدوه أمينة زاهدة في الدنيا، راغبا في الآخرة.

إن جوهر الإنسان هو قلبه فدعا الإمام الى تطهير القلب، فالقلب كما يقول الرسول ﷺ- "مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله" فالتزم الإمام التقوى لإصلاح القلب وتطهيره وهي زاد للمؤمن، وراحة القلب والبدن، فعند وداعه لابن المديني أوصاه بالتقوى بقوله: "اجعل التقوى زادك " وهي أفضل ما يدخل الجنة قال ﷺ: " أكثر ما يلج به الإنسان الجنة تقوى الله ﷻ وحسن الخلق" مستشهدا بقوله ﷺعندما جاءه رجل يريد السفر قال له: «زودني» فقال: «زودك الله التقوى» وإذا غمر القلب بالتقوى لا بد من الاهتمام بالنية حتى يصلح العمل، فيقول موصيا ابنه عبد الله: "يا بني أنو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير". فالنية هي الصدق الباطني وعندما سئل الإمام: بما بلغ القوم حتى مدحوا ؟ قال: بالصدق وسئل بأي شيء ذكر الأئمة ووصفوا؟ قال: ما هو الا الصدق الذي كان فيهم. وعندما سئل ما هو الصدق ؟ قال:«هو الإخلاص» وقيل له ما هو الإخلاص ؟ قال الزهد. مستشهدا بقول الحسن بن أبي الحسن في تفسيره قول الله تعالى: "وتبتل إليه تبتيلا" قال: «أخلص إليه إخلاصا»

فالصدق يؤدي الى اخلاص النية، ومتى ما أخلصت النية فلا بد من الزهد، فيصبح القلب كريمة يقول: " إن لكل شيء كرمة، وكرم القلب، الرضى عن الله عز وجل".

لذلك فإن التربية السلوكية عند الإمام بنيت على أساس التقوى، فلا بد أن يكون في حالة خوف وخشية دائمة من الله وهي تمام التقوى، مدللا بقول أبي الدرداء: "إن اتمام التقوى، أن يتقي الله العبد في مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن

يكون حراماً، يكون حجابة بينه وبين الحرام " فيخاطب نفسه لتكون دائمة الخشية وثابتة لا تغتر بقوله: "يا نفس انصبي والا فستحزني"، وكان الرسول يتعوذ من عدم خشوع القلب بقوله ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع" . وطلب الإمام أحمدلها السلامة بقوله: "اللهم سلم سلم " وهذا دعاء الرسول ﷺ"اللهم سلم سلم وسلامتها يكون بوعي القرأن" يقول: "عزيز علي أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن " فالقرأن يصفي القلب ويسمو بالفكر ليرتقي بالإنسان ويبعده عن الدنيا مستشهدا بقول وهب بن منبه: "اعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا وأوشكها رد اتباع الهوى ". وقول ابن المبارك: "الزهادة في الدنيا راحة للقلب والجسد " فالقليل من الدنيا - من وجهة نظر الإمام - يجزي بينما كثيرها لا يجزي، والقليل منها يكون أقل للحساب لذا فابتعد الإمام عن الدنيا ولم يذكرها لأنه يعتبر فتنتها داء ويجب الحذر منه فالهدف منها إطاعة الله ﷻ ليفوز بالآخرة فتعلق بالملأ الأعلى، فما يصيبه من ألم فيها فهو هين فابتعد عن كل ما يشغله عن الآخرة مما جعله يتوكل على الله، ومفهوم التوكل عنده هو: قطيع الاستشراف باليأس مما في أيدي الناس.

وحتى يبتعد الإمام عن الشهرة ومزالقها التجأ في بعض الأحيان الى العزلة والخلوة فهي أروح للقلب، وفضل المكان الذي لا يكون فيه أحد من الناس فتمنى أن ينزل في شعب من شعاب مكة حتى لا يعرفه أحد. فالشهرة ابتلاء من الله لعباده امتثالا لما قاله ﷺعندما جاءه اعرابي فقال: «يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره. ولقوله ﷺ: « إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من الصلاة ... وكان غامضة في الناس لا يشار اليه بالأصابع فالخلوة تبعده عن مديح الناس لأن مديحهم استدراجة به، فكره الإمام اللقاء لأنه يشغله عن أمرالآخرة بقوله:" يتزين لي وأتزين له، كفى بالعزلة علما".

ورعه وزهده في مجال العلم:

اهتم الإمام أحمد بتوافر النية في طلب العلم، فالعالم المسلم يتحلى بتربية خلقية في طلبة العلم، فعندما سئل الإمام عن توافر النية أجاب: هذا شرط شديد، وقوله: أما لله فعزيز ولكن حبب إلي شيء فجمعته[٢٣٤]

ولا بد لطالب العلم من الخشوع والخشية الله"ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم بالخشية" ومما يدل على خشيته وخشوعه أنه عندما كان يسئل عن مسألة لا يعلمها يجيب بقوله لا أدري . .

---

[٢٣٤]- ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٤٤/١٠

و من درع الإمام أحمد في علم الحديث أنه كان يتشدد في الإسناد وأحيانا بيتساهل فإذا كان الحديث في الترغيب والترهيب، وفضائل الأعمال، فيتساهل في إسناده، ربما يكون هذا ورعاً منه. أما في مجال الحلال والحرام فيتشددوا في ذلك. لذا فهو يكتب الحديث من ستة وجوه أو سبعة لضبطه. وهذا دليل على عناية الإمام بالسنة، واهتمامه بالتثبت من السند لتمييز الحديث القوي من الضعيف.

ومن عظيم ورعه أنه لا يحدث إلا من كتاب مع شهرته بالحفظ. وحتى تكون للعلم الفائدة المرجوة منه، دعا الإمام الى ممارسة التعليم كما ورد في قول معاذ بن جبل «اعلموا ما شئتم أن تعلموه فلن تؤجروا حتى تعملوا» وقول أبي الدرداء : أن أخوف ما أخاف إذا لقيت ربي تبارك وتعالى أن يقول لي قد علمت فماذا عملت فيما علمت. فالعالم الصادق في نظره من يزهد في الدنيا ويقبل على الآخرة لذا لابد أن يكون للعالم ورد من الليل ويستغرب من أصحاب العلم الذين لا يكون لهم ورد في الليل

✍ ورعه وزهده في السلطة والسلطان والصدقات

ابتعد الإمام أحمدعن السلطة والسلطان مستشهدا بقول مطرف بن الشخيرفي دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من شر السلمان وشر ما تجري به أقلامهم، فلم يقبل صلة السلطان وهداياه فامتنع من قبول هدية المتوكل التي بعثها له ففرقها قبل أن يتم ليلته[٢٣٥] وابتعد عما له علاقة بأموالهم. أصلح عبد الله دار أمه وكان الإمام يأخذ منها درهما بحق الميراث فتركه الإمام تورما، ويعلق أبو يعلى على ذلك بقوله: إنما تؤرع من أخذ حقه من الأجرة خشية أن يكون أنفق على الدار مما يصل إليه من مال الخليفة، ومكث الإمام ثلاثة أيام دون طعام فخبز له أهله بالعجلة في تنور صالح فأبى أن يأكل لأن صالحة قد أخذ من أموالهم، ورفض الإمام الصدقات فعندما بعث له موسى بن حماد ثلاثة آلاف دينار من ورشته الحلال ردها الإمام علي، مستشهدا بموقف أبي ذر عندما بعث له حبيب بن أبي سلمة وهو أمير الشام ثلاثمائة دينار ردها عليه وعندما أعطاه أحمدالدورقي ألف دينار قال له: «و رزق ربك خير و ابقى» فشجع أولاده على العمل مستشهدة على ذلك بفعل داود عليه السلام الذي كان لا يأكل إلا من عمل يده فقال ﷺ: «إن داود عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده».

لقد ابتعد الإمام عن كل مظهر من مظاهر الغني، معظمة الصبر على الفقر بقوله: ما أعدل بالصبر على الفقر شيئا، تدري الصبر على الفقر أي شيء هو؟ وقال: كم بين من يعطي من الدنيا ليفتتن، إلى أخر تزوى عنه، وللوصول إلى الإيمان الحقيقي لابد أن يكون

٢٣٥- أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ٩٥/٢-٩٧ ، العليمي: المنهج الأحمد١/٢٧-٢٨

الفقر أحب إليه من الغني مسشتهدة بقول ابن مسعود: د لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان ....، حتى يكون الفقر أحب إليه من الغني لاعتباره أن هذه الدنيا هي فتنة للإنسان. فالغني غالبا ما يجعل الإنسان يبصر وينسى نعمة الله عليه فيتنحى به عن الإيمان الحقيقي.

✍ ورعه وزهده في الطعام واللباس

إن أكل الحلال هو أساس لاطمئنان القلوب وليونتها. ولا بسلم للإنسان الحلال حتى يكون هناك حاجز من الحلال بينه وبين الحرام، فاكتفي الإمام بالقليل من الطعام فلا يأكل إلا الكسرة يصب عليها الماء ويضع الملح ويأكلها. وكان قوت أهله مقدار ما تبيعه والدة صالح من الغزال بدرهمين.

ابتعد الإمام عن الشبهات، فلا يطعم عياله إلا طيبا طلب منه ولده زبيبة فقال له: اذهب فخذ من البقال بحبه. فالإبتعاد عن الشبهات يؤجر عليها المرء بقوله: عندما سئل أيؤجر الرجل في تركه الشبهات؟ قال: كيف لا يؤجر وابن عمر يقول: «ما شبعت من طعام منذ أربعة أشهر»،فكان الإمام يمكث دون طعام متبعة السلف، فأبو ذر يمكث ثلاثين يوما دون طعام إلا ماء زمزم وابن الزبير يمكث سبعة أيام، والإمام أتته ألوان الطعام والفاكهة فما ينظر إليها، ولا يذوقها بل أنه يواصل الصيام، فكان خوف الله يمنعه من أكل الطعام والشراب، قال الحسن: «الرجاء والخوف مطيتا المؤمن»ويشعر بالغبطة والفرح لعدم وجود شيء عنده

وترك الإمام اللباس تواضعة فامتثل قوله ﷺ: من ترك أن يلبس صالح الثياب وهو يقدر عليه تواضعة لله تبارك وتعالى دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره الله تعالى في حلل الإيمان أيتهن شاء، مستشهدة بقوله ﷺ: ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخمال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء، ففلسفية الإمام في الزهد الإبتعاد عن الدنيا ولفظها من رئاسة وأموال متعففة.

المبحث الثالث: أهداف التعليم الإسلامي، وخصائصه، ومناهجه، وطرق تدريسه عند الإمام أحمد بن حنبل

✍ أولا: أهداف التعليم عند الإمام أحمد:

التعليم الإسلامي له أهداف ومقاصد، فهو لم يكن عبثا، أو هوى في النفس وتطلعات دنيوية، فالشيخ لا بد وأن يكون واضعا نصب عينيه مقاصد لتحقيق ما يصبو إليه من الإرتقاء بالمجتمع الإسلامي ليكون مجتمعة ربانية مربية على الفضائل، بعيدا عن الرذائل.

- **تحقيق مرضاة الله ﷻ أو ابتغاء مرضاة الله:**

اهتم الإمام أحمد بالرقابة الذاتية في تعليمه، فصلته بالله دائمة في سره وعلانيته فامتثل قوله تعالى «ولكن كونوا ربانيين»، فوجه قلبه وضميره إلى الله. ففي تحديثه قصد وجه الله وشهد له ابن معين بقوله: ما رأيت من يحدث لله إلا ثلاثة، وذكر منهم أحمد بن حنبل[٢٣٦]

- **تهذيب الأخلاق**

و على الشيخ أن لا يهتم فقط بإلقاء المعارف على طلابه، بل لا بد أن يكون له اهتمام بسلوكهم من أجل بناء جيل قوي من الناحية الفكرية والسلوكية مع. لذا فهو قدوة لطلابه فكرة وخلقاً، فكانوا يتعلمون منه الأخلاق كما يتعلمون العلم، فقد روى أبو بكر المطوعي بقوله: "اختلفت إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ المسند على أولاده فما كتبت منه حديثة واحدة إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه". فاهتم بأخذ الأخلاق من الإمام اهتمامه أخذ الحديث.

- **طلب النافع من العلم**

لم يكن العلم للهو أو إضاعة الوقت أو اكتساب مال أو جاه، لكن العلم عند الإمام سم في الهدف، وعلى في الخلق، وتحقيق فائدة لنفسه ولأمته، فالإمام حرص حرصا شديدا على ذلك فقام برحلاته العلمية المتعددة، قال أحمدالدورقي:

لما قدم أحمد بن حنبل من عند عبد الرزاق، رأيت به شحوبة بمكة، وقد تبين عليه النصب والتعب، فكلمته، فقال: "هين فيما استفدنا من عبد الرزاق"، ولم يمنعه الحياء من السؤال وطلب العلم، فرفع حجاب الحياء عن السؤال للفهم والإدارك، فالإمام دائم الإستفادة من علماء عصره يسألهم فيجيبوه، ففي حديث رسول الله ﷺ: "أخنع اسم عند الله رجل

---

[٢٣٦]- الذهبي: سير الأعلام١١/١٩٧

تسمى ملك الأملاك "قال عبدالله: «قال أبي» سألت أبا عمر الشيباني عن أخنع اسم عند الله فقال: "أوضع اسم عند الله عزوجل" فكان يسأل عن معاني الحديث من رجالات الحديث أنفسهم.

- **الإخلاص للعلم:**

لا تتحقق الفائدة من العلم إلا بالإخلاص فالإمام أحمد أخلص لله في علمه، مقدمة ومؤثرة إياه، مقبلا على طلبه، تاركة ما يلهيه عنه، غير متشاغل بتجارة أو كسب حتى بلغ منه ما أراد، ومن إخلاصه أخذه العلم عن الأكابر، فتلقي العلم على أشهر شيوخ عصره من محدثين وفقهاء، وسماعه من الأستاذ نفسه دليل على إخلاصه، وفي كيفية أخذه الحديث أي الإسناد فيتساهل في الإسناد إذا كان الحديث في فضائل الأعمال والترغيب، أما في الحدود والكفارات والفرائض فيشدد على ذلك، وطريقة كتابة الحديث من أكثر من وجه، وكتابته إياه عمن ثبت صدقه وديانته(٢٣٧)

ومن صدق وإخلاص الإمام عدم التصنع أو التكلف في أخذ العلم، جاء الإمام أحمدويحيى بن معين إلى قتيبة بن سعيد عند قدومه بغداد، فتذاكروا الحديث، فقام الإمام وجلس بين يدي قتيبة، فقال قتيبة: «يا أبا عبدالله، إجلس مكانك» فقال الإمام: " لاتشتغل بي إنما أريد أن أخذ العلم على وجهه "، فإذا تحقق هذا الهدف عند الإمام، فمن المحتم أن يبتعد عن المراءاة يقول: "إظهار المحبرة من الرياء "، وقوله ﷺ: "من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار "

وقد اتبع الإمام أحمد ما أراده الإسلام من العلم فعند ذهابه إلى الصلاة يحضر معه كتاب الأشربة والإيمان وعلى استعداد لتلقي الأسئلة، لذا رفض أن يأخذ عليه عرضة دنيوية زائ؟ فيقول: "لا تكتبوا العلم عمن يأخذ عليه عرضا من الدنيا". وفي نشرة للعلم حافظ الإمام أحمدعلى السنة النبوية فلا يتحدث بكلام المعتزلة يقول لإبنه عبدالله: «عليكم بالسنة والحديث» وينهاهم عن الخوض في الجدال والمراء في الدين.

---

[٢٣٧]- السبكي: طبقات الشافعية، ٣١/٢

✍ ثانيا: خصائص التعليم الاسلامي

للتعليم الإسلامي خصائص وسمات تميزه عن غيره، وقد أوضحها الإمام أحمد وهي

- **تنوع مصادر التلقي عن الشيوخ**

طلب الإمام أحمد العلم من معظم شيوخ عصره المشهورين، في معظم مناطق العالم الإسلامي، فرحل إلى البصرة سنة ست وثمانين ومائة وسنة تسعين واربع وتسعين ومائة وسنة مائتين، فسمع من المعتمر بن سليمان، وبشر بن المفضل، ومرحوم، وزياد بن الربيع وابن أبي عدي. ونزل عند يحيى بن سعيد، وعبد الصمد وأبي داود الترمذي وغيرهم هذه الرواية تبين تنوع مصادر تلقي العلم عن الشيوخ. أما تنوع الأماكن، سمع الإمام من ابن عيينة، وابن علية وهشيم بن بشير وسمع من كثير من الكوفيين والبصريين، وأهل الحرمين واليمن والشام والجزيرة وأخذ العلم عن عدة فرق، فعندما سئل الإمام عن أخذ العلم عن الجهمي والقدري وغيرهما من أهل الأهواء ؟ قال: نعم إذا لم يكن يدعو إليه، ويكثر الكلام فيه، فإما إذا كان داعيا فلا.

- **الملازمة أوالمصاحبة**

اعتاد علماء الإسلام مصاحبة شيوخهم في تلقيهم العلم عنهم، فهي تقوي الأواصر وتزيد الفائدة ولقد لازم الإمام أحمد شيوخه، ومنهم هشيم الذي لزمه الإمام سنة ثمانين ومائة واحدى وثمانين وثنتين وثلاث وثمانين ومائة، وكذلك صاحبه ولزمه تلاميذه ومنهم عبد الملك بن عبد الحميد الميموني (ت ٢٧٤) يقول: صحبت أبا عبدالله على الملازمة من سنة خمس ومائتين إلى سنة سبع وعشرين ومائتين فصحبه اثنين وعشرين سنة[٢٣٨] .

- **الإهتمام بالحفظ**

لا بد من الحفظ في العلم وخاصة علم الحديث. فالإمام أحمد كان كثير الحفظ وهناك روايات عديدة تبين ملكة الحفظ القوية عند الإمام الصادرة عن ذكائه يقول أبو زرعة لابنه عبدالله: «أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له وما يدريك ؟ يقول: ذاكرته . وقال ابنه عبدالله: «كتب أبي عشرة آلاف حديث لم يكتب سوادة في بياض إلا حفظه ، وقال سعيد بن عمرو: «يا أبا زرعة، أأنت أحفظ أم أحمد؟ قال: بل أحمد، قلت: كيف علمت؟ قال: وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء اسماء الذين حدثوه، فكان يحفظ كل جزء سمعه، وأنا لا أقدر على هذا وغيرها من الروايات.

---

[٢٣٨]- ابن حجر؛ تهذيب التهذيب. ٩/٢٠٠. وانظر العليمي: المنهج الأحمد /١٧٠.

- **اقتضاء العلم العمل:**

العلم دون عمل لا فائدة منه، وما الفائدة من العلم إن لم يكن خلقة مغروسة في النفس الإنسانية، فالفكر يجب أن يترجم إلى سلوك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف: الآية ٢]

ويقول معاذ بن جبل «اعلموا ما شئتم أن تعلموه فلن تؤجروا حتى تعملوا [٢٣٩] فاعتبر الإمام أحمد أن العلماء هم حملة الرسالة السماوية فإذا ما فسدوا فسد بفسادهم الناس. فكان متبعا للسنة، عام؟ بمقتضاها. يقول عن نفسه: ما كتبت حديثه عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به حتى جاء في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا، فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت وتسرى واختفى ثلاثة فطبق الإمام أحمد هذا المبدأ من مبادئ التربية الإسلامية.

الاستمرارية في التعليم إن الإسلام لم يضع حدا معينا للتعليم فقد جعل التعليم مطلبة للإنسان ما دام حيا لأن العلوم بحر زاخر، إذا لم يستمر الإنسان في طلب العلم وزاد فيه لابد أن يتلاشى، وقد سبق الإمام هذا المبدأ التربوي الإسلامي بقوله: «أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر»

- **التبكير في طلب العلم**

شغف الإمام أحمد بالعلم، منذ صغره، وبگر في طلب الحديث وعمره ست عشرة سنة" مما زاد من ملكة الحفظ عنده، حتى أنه جمع مادة علمية غزيرة من حديث رسول الله ﷺ من أشهر علماء عصره.

✍ ثالثا: المناهج التعليمية عند الإمام أحمدبن حنبل:

تشكل المناهج التعليمية دورة كبيرة في العملية التربوية، فلا يستطيع المعلم القيام بواجبه دون معرفة المناهج التدريسية التي سوف يقوم بتعليمها.

والمناهج التعليمية في عهد الرسول -ﷺ- ركزت على القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وبقيت مستمرة حتى عصر الإمام أحمد. لذا ركز الإمام أحمد على القرآن الكريم أو لا فعندما سئل: «ايما أحب إليك، أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا بالقرآن

[٢٣٩]- الإمام أحمد، الزهد/١٩٩.

فقيل: أعلمه كله؟ قال: لا إلا أن يعسر عليه فتعلمه منه، ثم قال: " إن قرأ أولا تعود القراءة ولزمها " واهتسم الإمام بنوعية القراءة فاعتبر القراءة بالالحان بدعة [٢٤٠].

وفضل القراءة السهلة [٢٤١] وكره الهمز «لأن الكوفيين أصحاب همز وقريش لا تهمز. بعد القرآن تأتي السنة النبوية، والأثر عن الصحابة وتابعيهم.

يقول الإمام: عليكم بالسنة والحديث فهو لا يتكلم إلا من الكتاب الكريم والسنة النبوية أو عن صحابة رسول الله أو تابعيهم، أما ما عدا ذلك فالكلام لا

يحمد عنده، جاء أبوسعيد البلخي إلى الإمام فسأله، فأجاب الإمام، وعندما سأله مسألة لا تعني الإمام، رد عليه بقوله: «يا هذا مجلسنا مجلس مذاكرة حديث رسول الله صلى عليه وسلم وحديث أصحابه، فأما الذي تريد أنت فعليك بابن أبي دؤاد» واهتم الإمام بتفسير الحديث والفقه. فعندما كان في مسجد الخيف علم الناس الفقه والحديث والمناسك، وأمور العقيدة من خلال مناظراته وعند خروجه إلى الصلاة يأخذ معه كتاب الإيمان والأشربة مبتعدا عن علم الكلام بقوله: «لا يفلح من تعاطي الكلام ولا يخلو من أن يتجهم» ويحذر الإمام منه، وهناك كثير من الروايات الواردة عن الإمام والتي توضح ذلك. واهتم الإمام بعلم السلوك فيعلم تلاميذه الأخلاق من خلال سلوكه فاهتمامه بأمر الآخرة وابتعاده عن أمر الدنيا هو جوهر مناهجه.

✍ رابعا: طرق التدريس عند الإمام أحمد:

كانت للإمام أحمدطرق تدريسية اتبعها في نشره للعلم وهي:

- **القراءة:**

ألقي الإمام أحمد معارفه في مجال الحديث على طلابه من خلال القراءة فقرأ مسنده على ولديه وحنبل بن اسحق، و قال أبو بكر المطوعي: اختلفت إلى أبي عبدالله اثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده

- **الحفظ:**

حفظ الإمام أحمد تلاميذه الحديث فعن ابراهيم بن خالد قال: «كنا نجالس أحمد فيذكر الحديث، ونحفظه، ونتقنه [٢٤٢]

- **المذاكرة**

حتى يحفظ العلم لا بد من مسذاكرته، فالإمام أحمد ذكر وكيع بحديث سفيان، ووكيع يذهب أحيانا مع الإمام أحمد في العتمة فيقفان على الباب المذاكرة الحديث وكذلك أبو زرعة

---

[٢٤٠]- الذهبي: سير الأعلام

[٢٤١]- أبو يعلى: طبقات الحنابلة

[٢٤٢]- النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١١١/١

ينزل عند الإمام أحمد فيذاكره كثيرة فيقول:«ما صليت اليوم غير الفريضة، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي» وتذاكر الحديث أيضا مع اسحق بن راهوية ويحى بن معين وأصحابهم في العراق.

- **الإملاء**

تبع الإمام أحمد طريقة الإملاء الشائعة في عصره يقول صالح عن الإمام: دخل يوما إلى منزلي فدعاني ثم أملى علي حديث الأحنف بن قيس وقال المروزي: سمعت أبا عبدالله يقول: كنت أذاكر وكيعا بحديث الثوري، فكنت أذاكره، فربما ذكر تسعة عشرة حاديثا فاحفظها فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث، أمل علينا فأمليها عليهم .

- **المناظرة والسؤال:**

انتشرت المناظرة والسوال في عصر المأمون نتيجة لإنتشار حركة الاعتزال والخلاف القائم بينها وبين المذاهب الأخرى(٢٤٣) ولهذه الطريقة أهمية يقول عنها الزرنوجي مطارحة ساعة خير من تكرار شهر(٢٤٤) واتبع الإمام أحمد هذه الطريقة في محنته ومواجهته المعتزلة وستتناولها الباحثة في الفصل الأخير أن شاء الله، وكذلك مناظراته مع الإمام الشافعي ومنها مناظرته في تارك الصلاة، قال الشافعي: يا أحمد أتقول إنه يكفر ؟ قال أحمد نعم، الشافعي إذا كان كافر فبم يسلم؟ قال: يقول: لا إله إلا الله محمدا رسول الله. الشافعي فالرجل مستديم لهذا القول لم يتركه، قال: يسلم بأن يصلي. الشافعي: صلاة الكافر لا تصح ولا يحكم بالإسلام بها. فسكت الإمام أحمد. فالمناظرة تقوم على أساس الحوار والنقاش بالأسئلة والأجوبة للوصول إلى حقيقة من الحقائق لا تحتمل الشك واتبع طريقة السؤال فيما عدا المناظرات، فعند خروجه للمجلس لا يتكلم إلا إذا سئل، ويخرج معه كتاب الأشربة والإيمان لتلقي الأسئلة. ومن الذين يسألونه محمد بن نصر المروزي يسأله في الحديث والفقه، وكان لا يحب أن يدون فتواه ورأيه وسمح لبعضهم تدوينها حباءأ منه.

٢٤٣- الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية /٤١٦.

٢٤٤- الزنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم /٨٨.

الفصل السادس

محنة الإمام أحمد بن حنبل وأثرها التربوي

المبحث الأول: نظرة تاريخية من فتنة القول بخلق القرآن

- محنة الإمام أحمد أيام المأمون
- محنة الإمام أحمد أيام المعتصم
- محنة الإمام في أيام الواثق
- محنة الإمام أيام المتوكل

المبحث الثاني: ثبات الإمام في مواجهة الانحراف العقائدي ودعوته للعودة الى الأصول الصميمة بين تمرين أو تبديل والأثر التربوي لذلك.

- التقية والإكراه
- الدعاء
- الصدق
- التمسك بكتاب الله وسنة رسوله
- المناظرة والسؤال الموعظة
- العفو
- القدوة

المبحث الثالث: أهم الآثار التربوية للمحنة

- للعلماء مسؤوليات ودورتربوي في مواجهة الباطل والتصدي له ولو صدر من الحكام
- الفرقان بين الحق والباطل
- ترتب على القول بخلق القرآن أمورفقهية وأخرى كان لها أثرفي جرح الرواة وعدالتهم -
- انتصار المذهب السني وانهزام الاعتزال بالعودة الى الأصول
- تقوية الصلة بالله والإعتزاز به وحده
- اتقاء الشبهات
- الفتنة أشد من القتل
- محافظة الإمام أحمد على مبدأ اساسي من مباديء التربية الإسلامية وهو الحرية.
- ازدادت حركة الحنابلة ومنزلتهم رفعة.
- تنقية وتطهير النفس الإنسانية
- الثبات والصبر على المبدأ الصحيح

الفصل السادس

محنة الإمام أحمد بن حنبل وأثرها التربوي[٢٤٥]

المبحث الأول: نظرة تاريخية عن فتنة القول بخلق القرآن

بدأ الخلاف بين أصحاب الحديث وأصحاب الكلام في مدينة البصرة عندما اعتزل واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) حلقة شيخه الحسن البصري، وبدأ يقرر أصوة بعيدة عن مذهب السلف، وسمي أتباع واصل بالمعتزلة. أما القول بخلق القرآن فأول من قال به الجعد بن درهم (ت ١١٨هـ) فقتله خالد القسري والي العراق بالكوفة. واستمر القول بخلق القرآن لدى اتباع الجهم بن درهم من المعتزلة ومنهم الجهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ). وفي زمن الرشيد في دولة بني العباس ظهر بشر بن غياث المريسي (ت ٢١٨هـ)، وقال بخلق القرآن ولكن الرشيد توعده بقوله: «بلغني أن بشر بن غياث يقول: إن القرآن مخلوق، ولله علي إن أظفرني به لأقتلنه » وظل بشر متوارية الى أن مات الرشيد، فدعا الى القول بخلق القرأن فزين المعتزلة للمأمون القول بخلق القرآن فاعتنقه، فاتخذ المأمون الاعتزال وانحرف المعتزلة به، فكتب الى اسحق بن ابراهيم صاحب الشرطة ليدعو الناس لهذه المقالة. وأول من امتحنه عفان بن مسلم فلم يجب فقطع عطاؤه، وكان يعطى في الشهر الف درهم. أصبح الإعتزال مذهب الدولة الرسمي يدعو اليه المأمون وابن أبي دؤاد"، وكانت فتنة خلق القرآن هي السائدة في دولة المأمون والمعتصم والواثق. أما المتوكل فأظهر السنة وأوقف المحنة.

أحمد بن أبي بؤاد: القاضي الكبير، أبو عبد الله، أحمدبن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي، معتزلي، على أحمدبن حنبل، كان داعية الى خلق القرآن، وفي عهد المتوكل صادر أمواله وعزله عن القضاء.

✍ الكتب السابقة التي تناولت محنة الإمام أحمد بن حنبل

تناولت كتب التراجم والتاريخ والدراسات الحديثة، التي تحدثت عن الإمام أحمد بن حنبل، تناولت المحنة، فمعظم الروايات في كتب التراجم والتاريخ متشابهة، وأحيانا كانت ترد الروايات نفسها في معظم هذه الكتب، لكنها اختلفت في مستوى العرض، فمنهم من فصل فتناول المحنة في كتاب، وبعضها تحدث عن المحنة باعتبارها جزءا من حياته وسأتناول بعضا من هذه الكتب القديمة والحديثة.

---

[٢٤٥] - ختام محمود عوض القرعان: الفكر التربوي عند الإمام أحمد، رسالة ماجستي، جامعة اليرموك، الأردن كلية الشريعة والتربية الإسلامية، ١٩٩٢م، ص ٩٨-١٢٤

- **أولا: كتب التراجم**
  - ❖ الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت ٢٣٠هـ). اشار الى المحنة إشارة مقتضبة . فانتصر كلامه فيها على العبارة التالية يقول عن الإمام أحمد: «وقد كان امتحن وضرب بالسياط، أمر بضربه أبو اسحق أمير المؤمنين على أن يقول القرآن مخلوق فأبى أن يقول»
  - ❖ سيرة الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل(ت٢٩٠هـ). ذكر المحنة مفصلا أحداثها وهو من المصادر الموثقة فأفرد المحنة بأكثر من جزء من كتابه.
  - ❖ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم (ت ٢٣هـ) واتسع في كتابه عن المحنة مستقياً رواية ابنه صالح إضافة الى روايات أخرى للمحنة
  - ❖ مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي (ت ٩٧ هـ). تحدث عن المحنة بشكل موسع و من بدايتها الى نهايتها).
  - ❖ سيرأعلام النبلاء، للذهبي سرد المحنة ومفصلا لها، وقد استقى معظم مادته من رواية ابنه صالح وحنبل بن اسحق.
- **ثانيا: كتب التاريخ**
  - ❖ تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري (ت ٢١٠هـ)، ذكر كتب المأمون إلىاسحق بن ابراهيم لامتحان القضاة والمحدثين وغيرهم
  - ❖ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ). لم يتعرض للمحنة و لكنه أشار الها إشارة مقتضبة نقلا عن ابن المديني بقوله: "أحمد بن حنبل يوم المهنة "

    ويقول: «قد ذكرنا مناقب أبي عبد الله أحمد بن حنبلمستقصاة في كتاب أفردناه لها، فلذلك اقتصرنا في هذا الكتاب على ما أوردناه منها». ويقصد بذلك على حد قول المحقق مناقب الإمام أحمدبن الجوزي.
  - ❖ تاريخ دمشق، لابن عساكر (ت ٥٧١هـ). ذكر أحداث المحنة بشكل مختصر جدا. كس تاريخ الإسلام للذهبي (ت٧٤٨ هـ). سرد أحداث المحنة مفصلة مستقياً مادته من ابنه صالح ومن ابن عمه حنبل بن اسحق".
  - ❖ البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ذكر احداث المحنة، وكانت معظم رواياته عن البيهقي."

•ثالثا: الكتب القديمة التي تناولت المحنة بشكل مستقل منها:

ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل لابن عمه حنبل بن اسحق، كتب عن المحنة مفصلا أحداثها من البداية الى النهاية، مفردة إياها بكتاب.

•رابعا: الكتب المعاصرة المؤلفة في محنة الإمام ومنها

- ❖ الأئمة الأربعة، الإمام أحمد بن حنبل/ مصطفى الشكعة، توسع كثيرة في أحداث المحنة، مستقيأ مادته من كتاب الطبري، فذكر كتب المأمون التي أوردها في امتحان العلماء، ثم ذكر أربع روايات للمحنة، رواية ابنه صالح وأحمد بن الفرج، وسليمان بن عبد الله السجزي، بالإضافة الى رواية الجاحظ وهو في جانب المعتزلة، أستقي معلوماته من عدة مصادر منها تاريخ الطبري، والحلية، وطبقات الحنابلة.
- ❖ شيخ الأمة أحمد بن حنبل/ عبد العزيز سيد الأهل، توسع في أحداث المحنة واستقي مادته من كتاب الكامل لابن الأثير، والحلية، وتاريخ الطبري.
- ❖ أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، عبد الحليم الجندي تحدث عن أحداث المحنة و مطولة، لكنه لم يوثق معلوماته، ويبدو أنه أخذها من كتاب تاريخ الطبري
- ❖ أحمد بن حنبل/للإمام محمد أبو زهرة، ذكر أحداث المحنة مفصلة مع ذكر كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم كما جاءت في كتاب الطبري."

•خامسا: الكتب الحديثة التي تناولت محنة الإمام بشكل مستقل

- ❖ محنة الدين والدنيا، عبد الجواد الدومي، تحدث عن المعتزلة، كلامهم في التوحيد، معني خلق القرآن، وتحدث عن ابن أبي دؤاد والجاحظ، وأصول السنة عند الإمام، وذكر كتب المأمون مستقية مادته من تاريخ الطبري.

✍ **مفهوم المحنة:**

قبل الحديث عن الإطار العام للمحنة لا بد من الوقوف على معنى المحنة. المحنة في اللغة: مأخوذة من الفعل محن، وامتحن القول: نظر فيه وتدبره، روى عن مجاهد: «اولئك الذين امتحن الله قلوبهم». قال: «خلص الله قلوبهم»، ومحنته وامتحنته: بمنزلة خبرته واختبرته وبلوته وابتليته. وأصل المحن، الضرب بالسوط، والمحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الانسان من بليه. وفي حديث الشعبي ، المحنة بدعة، هي أن يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه ويقول له: فعلت كذا وفعلت كذا. وفي الاصطلاح: ما يمتحن الله به الانسان في معتقداته. يقوم أولياء الشيطان بتهديدهم ليتراجعوا عن مواقفهم ويثنونهم عن عقائدهم بالضرب والقتل.

✍ **الإطار العام للمحنة:**

بدأت محنة خلق القرآن عام ثمان عشرة ومائتين زمن الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد، واستمرت الى خلافة المتوكل عام اثنين وثلاثين ومائتين . وقد أعلنها المأمون عندما بعث كتابة الى اسحق بن ابراهيم بامتحان العلماء فهدد من لم يجب منهم بالقتل والتعذيب.فأجاب بعضهم وامتنع أخرون، وممن امتنع محمد بن نوح والإمام أحمد، ولكن الأجل وافي محمد بن نوح وهو في طريقه الي المأمون، وبقي الإمام أحمديواجه المحنة وقد واجهها بكل حزم وعزم وقوة، وثبات وصبر، هاضمة الجراحات، ليقول كلمة في صميم عقيدتنا "القرآن كلام الله غير مخلوق"

- **محنة الإمام أحمدأيام المأمون**

أقنعت المعتزلة المأمون بالقول بخلق القرآن، ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم، فلما ولي هو الخلافة حمل الناس على مذهب الاعتزال والقول بخلق القرآن، وفي غزوه لبلاد الروم، كتب الى نائبه ببغداد اسحق بن إبراهيم يأمره بدعوة الناس الى القول بخلق القرآن، وكان ذلك سنة ثمان عشرة ومائتين للهجرة كما أكدتها معظم كتب التراجم والتاريخ، فامتحن اسحق بن ابراهيم القضاة والمحدثين والشهود بالقرآن فمن أجاب يترك لسبيله، ومن رفض أمر المأمون بإحضارهم اليه فسألهم فأجابوا جميعا أن القرآن مخلوق. فأعادهم الى بغداد وعندما رأي المأمون نتيجة هذا الكتاب كتب مرة أخرى لامتحان من هم أكثر علماً فجاء الكتاب الثاني الى اسحق بن ابراهيم، لامتحانهم، فامتحنهم، فمن امتنع عن الإجابة بعث به الى الحبس فأجابوا جميعا ما عدا أربعة محمد بن نوح والإمام أحمد وعبد الله القواريري، والحسن بن حماد سجادة.

فأجاب القواريري وسجادة وبقي الإمام أحمد ومحمد بن نوح في الحبس. فناظر اسحق بن ابراهيم الإمام أحمد وقال له: "ما تقول في القرآن ؟ قال: كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: كلام الله ما أزيد عليها ، بعدها حمل الإمام ومحمد بن نوح وهما مقيدان الى الرحبة وبعدها غادارها الى أذنه وعند وصولهما جاء رجل مبشرة بموت المأمون"، فرد الإمام ومحمد بن نوح الى بغداد الى حبس الرقة في سفينة وعند وصولهما عانات توفي محمد بن نوح فصلي عليه الإمام، وعند وصول الإمام بغداد بقي في الحبس عند دار عمارة،.بعدها نقل الى حبس العامة فمكث هناك حتى أفرج عنه بعد نحو من ثلاثين شهرا وكان الإمام يصلي بهم وهو مقيد

- **المحنة أيام المعتصم**

ولى الخلافة سنة ثمان عشرة ومائتين. ودعي الى القول بخلق القرآن قال عنه الذهبي: «كان المعتصم من أعظم الخلفاء وأهيسبهم، لولا ما شان سؤددة بامتحان العلماء

بخلق القرآن. وفي سنة تسع عشرة حول الإمام من السجن الى دار اسحق بن ابراهيم وهو مقيد، وكان يأتيه كل يوم أحمد بن رباح وأبو شعيب الحجام يناظرانه، فبقي على هذه الحال ثلاثة أيام مثقلا بالحديد، وفي الليلة الرابعة وجه المعتصم ببغا ليحمل الإمام الى اسحق فدخل الإمام على اسحق وأراد أن يقنعه، وناظره بخلق القرآن فلم يجب الإمام، وفي الليلة الثالثة من مناظرته معه وجه المعتصم للإمام، فأدخل داره وكانت مليئة بمن يحملون السيوف والسياط، فطلب المعتصم من الإمام الجلوس فجلس وأغراه بالسلطة، وبالمجيء إليه بحشمة ومواليه على أن يقول القرآن مخلوق، فأبى الإمام أحمد، فناظروه ولم يقتنع الإمام بحججهم وكان يثبت عليهم الحجة، فطلب المعصتم من الجلادين السياط والعقابين فتخلعت يدا الإمام، والجلادون يضربونه واحدا تلو الآخر والمعتصم يقول لهم: «شدوا قطع الله ايديكم» وضرب الإمام تسعة عشر سوط، ومع أن المعتصم لان لأمر الإمام عندما رأى شبساته وتصميمه، ولكنه ضربه خوف قوله من يقول بأنه ترك مذهب المأمون. ووصف ابن شاباض التائب ضرب الإمام بقوله: لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطة لو ضربته فيلا لهدته وهناك من يشجع على ضرب الإمام بقوله: «يا أمير المؤمنين، أضرب عنقه ودمه في عنقي». رفض ابن أبي دؤاد قتله خوفا من أن يتخذه الناس اماماً فأطلقه المعتصم بحضور الناس وابن عمه.

- **محنة الإمام أيام الواثق**

ولي الخلافة سنة سبع وعشرين ومائتين فامتحن الناس بخلق القرآن، بتحسين القول من ابن أبي دؤاد، ولكنه لم يتعرض للإمام، وكان الإمام بعد براءته من الضرب يحدث ويفتي الناس، فعرف ابن أبي دؤاد من قاضي بغداد عندها امتنع الإمام عن التحديث دون منع، ولما عرف الواثق ثبات الإمام أرسل إليه: «لا تساكني بأرض» فأختفي الإمام الى أن مات الواثق.

- **محنة الإمام أيام المتوكل**

تولى المتوكل الخلافة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فرفع المحنة لحبه للسنة والإمام في هذا العهد يحدث الناس.

طلب المتوكل من نائبه في بغداد أن يبعث له الإمام فخرج الإمام، ولكن سبق الى المتوكل من ادعى أن الإمام يخبيء علوية فأمر الخليفة برجوعه فحلف الإمام أنه لا يخبيء أحدا، ومع ذلك فتشوا منزله ولم يجدوا أحد، بعث المتوكل بكتاب مع قوصرة الى الإمام أحمديثبت براءته مما نسب إليه، وبعث معه ما" القضاء حوائجه، وألح عليه فوصره أخذ المال فأخذه مع نيته في انفاقه، فانفقه مع حاجته له، وأمر المتوكل بخروج أبي عبد الله إليه فأنزل الإمام في دار ايتاخ دون علمه، فلما عرف طلب أن يكتروا له دارا ففعلوا، والمتوكل

يبعث لـه أصـنافة مـن الطعـام، والإمـام لا ينظـر اليهـا، واسـتدعى الخليفـة الإمـام إلـى القصـر وأتـوا لـه بثيـاب نفيسـة، فبكـى الإمـام ثـم نزعهـا وخـرج، وطلـب مـن ابنـه صـالح أن يبيعهـا ويتصدق بثمنهـا. وكـان يقـول: «والله لقد تمنيت المـوت فـي الأمـر الـذي كـان، وأنـي الأتمنـى الموت في هذا وذاك، إن هذه فتنة الدنيا، وكان ذاك فتنة الدين

المبحث الثاني: ثبات الإمام في مواجهة الإنحراف العقائدي ودعوته للعودة

إلى الأصـول الصـحيحة دون تحريـف أو تبـديل والـدور التربـوي لـذلك إن الثبـات فـي عقيـدة المـؤمن ذو أهميـة بالغـة، لأنـه منطلـق للفكـر والعمـل، فيسـتمد المـؤمن منـه القـوة والشجاعة لمواجهة العقائد الأخرى، فـإذا مـا كـان ثابتـة في عقيدتـه أمام مـا يبتلـى بـه فترتفـع منزلتـه فـي نظـر أصـحاب المبـدأ وغيـرهم، ويـزداد قيمـة، ويصـبح قـدوة لمـن أراد اتباعـه. وموقـف الإمـام أحمد بن حنبل يعطي صـورة عظيمـة من صـور الثبـات على المبدأ الصـحيح فاستعد من البدايـة نفسية، فكـان يـروي عن النبـي ﷺ قولـه: لـم يبـق من الـدنيا إلا بـلاء وفتنـة فيقول: فأعدوا للبلاء صبرا، كمـا أنـه كـان جازمـا في ثباتـه حتـى لـو أدى بـه الـى القتـل، فعنـدما سأله أبو بكر الأحول بقوله: إن عرضت على السيف تجيب؟ قال الإمام: لا .

فهـم الإمـام أحمـد معنـى التقيـة والإكـراه مـن البدايـة ليسـتطيع مواجهـة المحنـة، فـاتبع منهجية تربوية للدعاة وهو عدم استخدام الـرخص، يقـول لاسحق: يـا عم إذا أجـاب العـالم تقيـه والجاهـل يجهـل متـى يتبـين الحـق، وكـان الإمـام يـذاكر فـي التقيـة، فيقـول لهـم الإمـام: كيـف تصـنعون بحديث خبـاب: قد كـان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر لـه فـي الأرض، فيجعل فيهـا فيجـاء بالمنشـار فيوضـع علـى رأسـه فيجعـل نصـفين ويمشـط بأمشـاط الحديـد مـا دون لحمـه وعظمـه، فما يصده ذلك عن دينه فيأسنا منـه ، والتقيـه تجـوز للمستضـعفين الـذين يخشـون عـدم الثبـات علـى الحق، وليسوا موضـع قدوة. أمـا الأئمـة يأخـذون بـالعزيمـة محتملـين الأذي ثـابتين فـي سبيل الله، لأن النـاس تتبعهم لأنهم قدوة. وإذا كـان الأمـر بـالمعروف والنهـي عن المنكـر واجبـة، فالتقيـه تنـاقض ذلـك، فـلا يجـوز للإمـام الأخـذ بهـا مهمـا واجـه، لأن النـاس تتبعهـم فـي مسلكهم وليس في قلوبهم، فلو أجاب الإمام

تقية تفضل أكثر الناس بعده، لذا فهو يقـول: أضـل هـؤلاء كلهـم؟ اقتل نفسـي ولا أضـل هؤلاء كلهم فأسلوبه واضح رفض تـام للإجابـة تقيـة، لأن العـالم والإمـام قدوة، فـإذا مـا أجـاب يطمس الحق، ويطغـى الباطـل عليـه، ويبقـى الجاهـل علـى جهلـه، وينتشـر الفسـاد. شـعر الإمـام بمسؤوليته لأنـه إمام، فأخلص النية أمام الله والنـاس، فقوى الـدافع الايمـاني لديـه، وهـو مبـدأ مـن مباديء التربيـة الإسلامية فصدع بـالحق دون خـوف أو وجـل من السلطان، محتسـبأ ذلـك عنـد الله تعـالى، وميـز بـين التقيـة والإكـراه، وأعـذر غيـره لأنهـم أكرهـوا. فعنـدما أجـاب سـجادة والقوايري في المحنة، أعذرهما بقولـه: «أليس قد حبسـا وقيدا» قـال الله تعـالى: «إلا مـن الكـره

وقلبه مطمئن بالإيمان». ثم قال أبو عبد الله: «القيد كره والحبس كره، والضرب كره، فأما إذا لم ينل بمكروه فلا عذر له تعرض الإمام أحمد لمكروه الضرب وهي محنة في جسده فضرب بسياط المعتصم، فيأتيه بالجلادين ليضربوه ويشدوا في ضربه مع الإهانات من الجلادين ولكن الإمام يزداد ثباتة وخاصة في وقت توجهه بالدعاء عند ضربه.

فالدعاء عبادة، فهو ملجأ المؤمن، وتربية يشعر بها الإنسان أن الله هو القادر على المنح والمنع، مما يجعل نفسه مطمئنة وقوية، ففي كل ضربة سوط دعاء الى الله فيزداد شبساتا فعندما ضرب السوط الأول قال: «بسم الله» فلما ضرب الثاني، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث، قال: «القرآن كلام الله غير مخلوق» فلما ضرب الرابع قال: «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» فضرب تسعة وعشرين سوط، بالإضافة الى الاستغاثة بالله بقوله: بك استغشت يا جبار السماء،ويطلب من الله الاستمرار في الثبات بقوله:"اللهم رضينا اللهم رضينا وغيرها من الأدعية"

وقد شهد له الجلادون بثباته قال بعض الجلادين: "والله لقد ضربته ضربة لو أبرك لي بعير فضربته ذلك الضرب لنقبت عن جوفه. إنها شهادة أعدائه له بثباته فتزداد صدقه ويقينة والطبيب الذي يعالجه عندما رأى أثر الضرب في جسده وقطع لحمه بالسكين ، يشهد له بشدة قلبه وثباته وعظيم صبره وأنه ماحب نفس صادقة تتوجه الى الله بالحمد والشكر" فتحمله هذا وثباته لأنه يعد نفسه بأنه أقوى من المحن والمصائب وشكره لله دليل وثوقه به وأنه سيعطيه مزيدا من الثبات على ثباته.

والعلماء يشهدون له بثباته وتحديه، فيقول محمد بن مصعب صاحب شرطة المعتصم: "ما رأيت أحدا لم يداخل السلطان، ولا خالط الملوك كان أثبت قلبة من أحمد" فالايمان يثبته فلا يخاف ولا يهاب لا من السلطان ولا من الموت. خوفوا الإمام أحمد بالضرب والسجن، والقتل عندما قطعوا عنق رجلين أمامه، ولكن الموت حقيقة واقعة فقوله الحق لن يقصر من عمره وعدم قوله لن يطيله.

بقي عزم الإمام يزداد وإرادته تقوى يوما بعد يوم، وهو يزداد وثوقة وثباتا وهؤلاء هم أصحاب الايمان الذين لا تزعزعهم مصيبة، ولا يطأطئون رؤوسهم لها، فكلما زادت المحنة ضراوة ازداد تمسكة وشبات، فهم أصحاب فكر نير يقاتلون به كما يقاتل أعداؤهم بالسياط، مدق بوعده وعهده فصدقه الله ونصره لصدق نيته وعمله أيضا، وأخلص سرا وعلانية، فالصدق طريق من طرق الثبات لأنه يثق من أن انتصار الحق على الباطل حاصل لا محالة، فعندما سأله أبو زرعة: كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ قال: "لو وضع الصدق على جرح لبرا"

وتعرض الإمام لمحنة في نفسه فالبلاء في الجسم والنفس، قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ . . . . ﴾[سورة آل عمران: الآية ١٨٦] والعذاب النفسي لا يقل ألما من الجسدي بل هو أكبر وأعظم أثرا

ووقعة حبس الإمام أحمد في بغداد في سجن ضيق. فالسجن قمع وخنق للفكر وتضييق على النفس وألم لها، لكن الإمام أحمد بقي ثابت على معتقده على الرغم مما عاناه من الإرهاب الفكري، وثبت أمام معتقداتهم البعيدة عن روح الإسلام وتحداهم، و من تحديه قيامه بالتدريس في السجن مع إصراره على اداء صلاته، قال: و أدخلت الى بيت ... فأردت أن أتمسح للصلاة، فمددت يدي، فإذا أنا بإناء فيه ماء وطست موضوع، فتوضأت للصلاة وصليت.

وحبس الإمام بطريقة أخرى هي التزام البيت بأمر من اسحاق بقوله له: الزم بيتك ولا تخرج إلى جماعة ولا جمعة. وتتوالي العذابات النفسية للإمام في السجن، سجن المعتصم والواثق بكل لون من ألوانها في مواقف قد تستغرب البعضهم، وقد تكون للآخرين موطن اعجاب، وتقدير فمن هذه المواقف موقف قام به الجلادون بضرب عنق رجلين على مرأى من الإمام أحمدولكن على الرغم من ذلك لم يأبه ولم يلتفت الإمام إليهم، فعندما طرح سؤالا لأبي عبد الرحمن الشافعي بقوله: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسيح؟ فقال ابن أبي دؤاد: أنظروا رجلا هو ذا يقدم به لضرب العنق يناظر في الفقه؟. وظل الإمام يكابد ويعاني الامأ نفسية على الرغم من ذلك بقي دائما مهينا نفسه لها فيتشربها ويمتصها، يقول له رجل حضر له موقفا: إنا كببناك على وجهك، وطرحناك، على ظهرك ودسناك، فقال له الإمام: فما شعرت بذلك، وآتوني بسويق، فقالوا لي: اشرب وتقيأ، فقلت: لا أفطر .

لقد عذبوا الإمام نفسية، ظنا منهم أنه يتراجع عن موقفه، وتناسوا أنه بطل من أبطال الرسالة المحمدية في موقفها الجهادي الأكبر، فيتطلع الى السماء لا إلى الأرض، فالمائدة التي تأتيه من عند المتوكل لا يلتفت إليها ورد الثلج مع أنه في حاجة الى الماء، فالثبات الحقيقي في الفكر والعمل، فصبر على الجوع والعطش مترفة بنفسه واقفة كالطود لينصر سنة رسول الله ﷺ، فتجرع الصبر وصبر امتثالا لقوله تعالى:«فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل» وتمسك بكتاب الله وسنة نبيه امتثالا لما قاله ﷺ:«لقد تركت فيكم ما لم تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم مسئولون عني»" وهما المصدران الأساسيان من مصادر التربية الإسلامية، فعندما كان المعتصم يأتي بالجلادين الضرب الإمام يقول له: « ويحك، يا أحمد، ما تقول ؟ فأقول: «أعطوني شيئا من كتاب الله عز وجل، أو سنة رسوله ﷺ» بقي متمسكة بهما ولا يرضى بديلا عنهما، فإذا جيء بكلام غير كلام الله وسنة رسوله يمتنع عن

الإجابـة ويبقـى مصـرة علـى الاحتجـاج بهمـا. يقـول ابـن أبـي دؤاد: يـا أحمـد، يقـول لـك أميـر المؤمنين، مـا تقـول ؟ فـأقول لـه: أعطـوني شيئا من كتـاب الله أو سنة رسوله حتـى أقول بـه. ربي الإمام أحمدعلى الأخـلاق القويمـة، التمسك بكتـاب الله وسنة رسوله ﷺ- لأنـه من وجهـة نظره لا يقوم الإسلام إلا بالكتاب والسنة النبوية دون أدنى انحراف عن منهجهما وهذه عودة للأصول الصحيحة دون تحريف ودليل تمسكه أيضا أنـه يحـاججهم بمسألة خلق القرآن من القرآن نفسه.

إن أهل الحديث يتبعون منهج السلفي من الصحابة والتـابعين، فهم يتثبتون فـي روايـة الحديث النبوي، ويقفون مع ظاهر النص، ويبتعدون عن التأويل، وفي العصـر العباسـي وجد منهم حفاظ للحديث، ميزوا بين صحيحه ومزيفه، ونقدوا رواة الأحاديث، من أمثـال الإمـام أحمدومناظرتـه مع خصومه كانت طريقة لثباته لأنـه يبهت الخصم والند فلا يملكون القدرة والحجـة المقنعـة للـرد علـى الإمـام، والمنـاظرة هـي بمعنـى الجدال والحـوار، ولفظـة الحـوار وردت في القرآن الكريم في قولـه تعـالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [سورة الكهف: الآية ٣٤]

واجـه الإمـام المحنـة بهذا الأسلوب التربـوي. ووردت منـاظرات الإمـام مـع المعتصـم ومـع ابـن أبـي دؤاد وغيـرهم مـن المعتزلـة أيضـا، فمـن مناظراتـه مـع المعتصـم قـال الإمـام «إلى ما دعا الله ورسوله ؟ قال الخليفة: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فقـال الإمـام: أنـا أشـهد أن لا إله إلا الله، ثم بين لـه الإمـام أن وفد عبد القيس عندما جـاءوا الـى الرسـول -ﷺ- سـألهم عن الإيمان قالوا: الله ورسوله أعلم، فأجـابهم: «شـهادة أن لا إلـه إلا الله...» قـال المعتصـم: «لـولا أنـي وجدتك فـي يـد مـن كـان قبلـى، مـا عرضـت لـك . استطـاع الإمـام شـحن ذهـن المعتصـم واقناعه من البداية عندما طلب منه التكلم مبينـا لـه هدف الدعوة وغايتها التـي جـاء بهـا محمد -ﷺ- من خـلال إجابـة الخليفة نفسـه، وأعطـاه دليلا علـى الوفد الـذي جـاء الـى الرسـول صـلى الله عليه وسلم، عندها بهت ولان لأمره، وبمثل هذا الأسلوب فـي المواجهـة أزال الغشـاوة عن عينـي المعتصـم ليريـه النـور الإلهـي الـذي أراده الله للأمـة، لأنـه مقلد وتبعي ومحتفظ بوصـية أخيـه، ولـولا ابـن أبـي دواد لأطلـق سـراح الإمـام. وهنـاك كثيـر مـن المنـاظرات مـع المعتصـم ومع نميره بحضور المعتصم.

الم يلتفت الإمام أحمد لابن أبي دؤاد عندما يكلمـه، فسألـه المعتصم عن سبب امتناعـه قـال: لست أعرفـه من أهل العلم فأكلمـه، وهذا أسلوب أخر اتبعـه في مناظراتـه تجهيل الند حتـى لوعده غيره من العلمـاء، فعدم رده لـيس عجزا بـل يقينـا منـه أن نـده لـيس بعـالم. ولـه

مناظرات مع عبد الرحمن بن اسحق قال للإمام: ما تقول في القرآن ؟ قال الإمام: ما تقول في علم الله؟ فسكت عبد الرحمن وغيرها من المناظرات أيضا.

بينت هذه المناظرات بطلان هذه الأفكار، والمناظرة طريق للوصول الى الحقيقة مما يؤدي الى التمسك بالمبدأ. وفي مناظراته كأن يسأل، والسؤال ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة وهو طريقة تربوية من طرق التعلم في الإسلام، فهي طريقة لمعرفة الحقيقة، وتصل بالإنسان الى الفهم الواضح غير المزيف، وتعطي جوة مريحة للوصول الى اليقين، مبتعدا عن التلقين

أراد الإمام أن يحاججهم من جنس حجتهم فسألهم عن قوله تعالى: «بوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» قال أحدهم: خص الله بها المؤمنين، فقال الإمام: ما تقول إن كان قات؟ أو عبدة أو يهودية أو نصرانية؟ وقف المعتزلة أمام هذا السؤال. قال الإمام: إنما احتججت عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون على بظاهر القرآن. وتقبل الإمام أحمد الموعظة لتثبته في محنته وقدم الموعظة أيضا لخصمه. ليقنعهم بتفاهة أفكارهم. والموعظة أسلوب من أساليب التربية الإسلامية وهي: «النصح، والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل». وقد ورد لفظ الوعظ في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: الآية ٥٧]

«فهي طريقة لجلب العقل والعاطفة. والموعظة المؤثرة تفتح طريقها الى النفس مباشرة عن طريق الوجدان، وتهزه هزة، وتثير كوامنه لحظة من الوقت، وقد وردت الموعظة من بعض العلماء وغيرهم للإمام ومن الإمام أحمد للمعتصم

ومن مواعظ العلماء للإمام موعظة محمد بن نوح يقول: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدي بك، قد مد الخلق اعناقهم إليك، لما يكون منك فاتق الله، وأثبت لأمر الله. فكانت لها أصداء واسعة في ذهن الإمام ونفسه أيضا، مما جعله يتذكرها. وقد بين رجل في موعظته للإمام بأنه قدوة بقوله: احذر يا أحمد، أن يكون قدومك مشورماً على المسلمين، فإن الله قد رضي بك لهم وافدة، والناس إنما ينظرون الي ما تقول فيقولون، فقال أحمد:

"حسبنا الله ونعم الوكيل" فبجانب وعظه له ذكره بأنه قدوة للناس لتكون الموعظة أثبت في قلبه من مجرد كلام عابر لا تأثير له على النفس والسلوك أيضا. وقدم له أبو جعفر الانصاري موعظة ذات أسلوب مقنع بقوله: إن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، ولا بد من الموت. فاتق الله، ولا تجبهم الى شيء، فجعل أحمديبكي ويقول: ما شاء الله، ما شاء الله وأعاد عليه ما قاله، والإمام يقول: ما شاء الله، ما شاء الله. بين له أن الموت حقيقة حاصلة لا محالة فكانت استجابة الإمام وهو يقول: «ما شاء الله » دليل اعجابه بهذه المواعظ التي

لا ينساها ودليل على تأثيرها في نفسيته، وقدم له أعرابي موعظة وكانت استجابة الإمام بقوله: فقوى قلبي فاللموعظة أثرا كبيرا في ثباته على مبدئه، مما يشعرنا بأن الإنسان مهما قوي ايمانه فهو بحاجة لواعظ يقدم الموعظة له في وقتها المناسب، حتى يكون لها تأثير واضح للالتزام على المبدأ والسير في طريقه فكرا وعملا.

وتبدو مكانة الموعظة وأهميتها في موقف الضرب، فالإمام أبدى تخوفة من فتنة السياط، فقال له بعض من في الحبس: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو الا سرطان، ثم لاتدري أين يقع الباقي. فكأنه سري عنه فهي سند للإمام في المواجهة وتثبيت له على منهجه فيتقبل العذاب الجسدي والنفسي معا. وغيرها من المواعظ. أما موعظة الإمام للمعتصم في المحنة بقوله: يا أمير المؤمنين، الله الله، إن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله".. لا يكفي الله و بيني وبينك مطالبه، يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك يا أمير المؤمنين: راقب الله، فكأنه أمسك.

وضع الإمام أحمد ثلاثة أمور في هذه النصيحة. أولا: سؤال بما تستحل دمي يا أمير المؤمنين مع انني أشهد أن لا إله إلا الله، والثاني: تذكيره باليوم الآخر، وأنه سيطالبه بدمه والثالث: عليك مراقبة الله، والمراقبة شعور دائم يلازم الإنسان المؤمن بأن الله معه، لقد أتي له من أقرب باب وهو باب العاطفة الجارفة، والاقناع العقلي باستخدامه أسلوب التشبيه. ثم قدم اسلوب العقل لا يحل دم المسلم ما دام يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا أسلوب وجد وقعا في نفس المعتصم، وأنجلى ما قد ران على قلبه من صدأ نسيان اليوم الآخر، لأن الإمام أعطاه التصور الصحيح للحياة، وبين له الحق من الباطل، والنور من الضلال. امتثالا لقوله ﷺ:إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه.

واجه الإمام أحمد المحنة بنفسيته العظيمة وأخلاقه الكريمة من النقاء والطهر، وهذه طريقة من طرق ثبات الإمام أحمد في المواجهة، ومن هذه الأخلاق العفو وهو من الأخلاق الكريمة التي تعني بها التربية الإسلامية، وحث القرآن الكريم على العفو بقوله تعالى: «وإن تعفوا وتصفحوا وتنغروا فإن الله غفورحيم»، وحث الرسول ﷺ على العفو: ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا. بذل الإمام من هذا الخلق، إذا نظر في قوله تعالى: فمن عنا، وأصلح فأجره على الله

فإذا هو ما روي عن الحسن في تفسير قوله تعالى: «إذا جثت الأمم بين يدي الله تبارك وتعالى يوم القيامة نودوا: ليقم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا، قال الإمام: «فجعلت الميت في حل من ضربة إياي، وما على رجل ألا يعذب الله بسببه أحدا. لم يتردد الإمام أحمد في العفو عن المعتصم على الرغم من أنه أدمى جسده جراحات لم تلتئم فامتثل ما جاء عن رسول الله ﷺ في العفو، خائفة يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون فعفا عنه

بقوله: «هو في حل من ضربي تلبية فورية وانصياع تام لأوامر الله ﷻ حتى في الوقت الذي عذب به، فيقول عن المعتصم: «ما خرجت من دارة حتى جعلته في حل. والإمام يعتبرأن العفو لا ينقص منه شيئا بل يزده عزة وشباتة كما ورد عن الرسول ﷺ

اتبع الإمام منهج تربوبية في العفو، فاستثنى من ذلك الداعية والمبتدع، فقال: «لولا أن ابن أبي دواد داعية لأحللته فكل من ذكره في حل إلا المبتدع فالداعية والمبتدع يدخلان في الدين ما ليس أصلا به، فالداعية يدعو لمذهبه فتتبعه جماعة فيضلوا بضلالة، فهذا شره كبير ومستطير على الأمة، والمبتدع أيضا يضيف للدين مما ليس به من معتقداته وأفكاره.

نرى أن الإمام كان محقا في هذا المنهج التربوي وهو أولا العفو، ثانية لا عفو عن الداعية والمبتدع، ومع ذلك فهذه ليست درجة دنيا، فالدرجة الدنيا هي معاقبة هؤلاء، وثمة منهج آخر للعفو، قال رجل للإمام أحمد - وكان حاضرا يوم ضرب ولم يتكلم -: يا أبا عبد الله اجعلني في حل، قال الإمام: أحدث الله عز رجل توبة، ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف.

ومن عفوه ايضا أنه لا يدعو على ظالم لأن ذلك مناف للصبر فيقول: "ليس بصابر من دعا على ظالم" فطبق الإمام أحمدمبدءا من مباديء التربية الإسلامية هو اقتضاء العلم العمل فاتبع الرسول ﷺوصحابته في مواجهته للمحنة فكان ﷺ قدوة لهم في سلوكه، لذا فالإمام أحمدأصبح قدوة للناس، فاتبعته وأنتظرت ما يقوله الإمام. والقدوة مسن الأساليب التربوية لاتباع المنهج، فقد وردت لفظة القدوة في قوله تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة». فالرسول ﷺتمثل منهج الله في فكره وسلوكه. فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت: "كان خلقه القرآن " فبتمثله هذه الصفات كلها، وهذه الطاقات، فيصدقونه، هذه المبادىء الحية يرونها رأي العين، ولا يقرأونها في كتاب، يرونها في البشر فتتحرك لها نفوسهم، وتهفو لها مشاعرهم، فالرسول ﷺ قدوة في سيرته للإمام أحمدفي سلوكه وهذه غاية المنهج الإسلامي، فاقتدى بالرسول ﷺ في وقت الرخاء والشدة، ليحيي لنا السنة، فيروي لنا ابن هانيء أن الإمام اختفي عنده ثلاثة أيام ثم تحول قال الإمام:

اختفى رسول الله -ﷺ- في الغار ثلاثة أيام، ثم تحول. فلا اعتبار للفكر ما لم يتحول إلى حركة وواقع حي. واقتدى في مسألة خلق القرآن شيء لم يقله الرسول -ﷺ- ولا صحابته فاتبع أيضا الصحابة واقتدى بهم، وقال الإمسام: فنودى بصلاة الظهر، فصلينا الظهر، وقال ابن سماعة: صليت والدم يسيل من ضربك، فقال: به صلى عمر، وجرحه يشغب دماً . امتثل سنة الرسول ﷺفي نفسه وأثار التربية المحمدية في سلوكه، فأصبح قدوة للأمة. فكان القوم يحملون الأقلام والصحف منتظرين قول الإمام ليكتبوه. يقول الإمام: أضل هؤلاء كلهم؟ اقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم وهو قدوة أيضا في اختيار خلانه فاتخذ ابن أبي نوح وثبت معه على قوله في القرآن. وقدوة لولديه صالح وعبد الله فإنهما تمثلا السنة.

هذا هو الثبات الحق أمام معتزلة الدولة العباسية، فصدهم بطرقه وأساليبه، العقيدة الصحيحة البعيدة عن انحرافات المنحرفين، فصبره نهضة للسنة، في حين تنحي عن هذا الموقف، ولم يثبت كثير من علماء عصره من أمثال بشر الحافي، وقد اعترف بلسانه بثبات الإمام وصبره، عندما قيل له: لو تكلمت حين ضرب أحمدقال بشر: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء ؟ إن أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء .

المبحث الثالث: من أهم الآثار التربوية للمحنة:

لمحنة الإمام أحمد بن حنبل أثار تربوية كثيرة، وقد اقتصرنا على أهم هذه الآثار وهي:-

✍ للعلماء مسؤوليات ودور تربوي في مواجهة الباطل والتصديله ولو مدور من الحكام:

إن وقوف الإمام أحمد في المحنه بينت أن علماء الأمة هم المسؤولون عنها، فالإمام أحمدتحمل هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه، وشهد له علماء عصره بقيامه بهذه المسؤولية واعتبره بعضهم المثل الذي وصفه الرسول -ﷺ- في الحديث الشريف بقوله: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه. فقيام الإمام بمواجهة الحنة محى عنهم مقالة إن قوما امتحنوا ولم يخرج منهم أحد، وقد أعطي المحنة كل ما يملك من قوة وعاني وخرج من هذه المعاناة، قال عنه بشر بن الحارث: أدخل أحمد بن حنبل الكير فخرج ذهبة حمراء. تطلع الإمام إلى الآجلة لا العاجلة، لذا لابد أن تهون عليه نفسه في سبيل نصرة سنة المصطفى -ﷺ- لمعرفته ولإدراكه تبعات التنحي عن هذا الموقف. ومن تبعات التنحي عن موقفه التي توضح مسؤولية الإمام، ودوره في القيام بها. إنه إذا رجع عن مقالته ارتد الناس عن الإسلام، وحدثت أمور كثيرة في الدين ولذهب الإسلام. فهذه الأمور الإبتداع والإرتداد وذهاب أصل الإسلام توقع العلماء أن تحدث لولا وقوف الإمام أحمدوتحمله المحنة وعدم أخذه بالتقية كما فعل علماء عصره، لتبعة الناس، وظنوا أن ما فعله هو الحق، فيضلوا دون أن يدركوا ذلك فبين أن الإمام لا يأخذ بالرخصة فعلية بالعزيمة في موقف كهذا فالمسؤولية الكبرى تقع على العلماء لأنهم قدوة.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٤٤]

عالج الإمام هذه الأزمة الفكرية خلق القرآن بطريقته وبأسلوبه، ولم يترك مجالا للشك في نفوس المسلمين في أهمية القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، حتى اتجهت الناس إليه ليحارب هذه البدعة. أمر ابن ابي دؤاد بتعليم الصبيان في الكتاب مع القرآن كذا كذا، فقال

الناس للإمام: «نحن لا نرضي بإمارته» فمنعهم الإمام من ذلك. والإمام قدوة في رفضه للمال مما جعل الناس ينظرون للعلماء لا للحكام ولا للسيادة. فالدين نقي في ذاته ويجب أن يبقى في نفوس أهله كذلك، فاعتبر الجلوس مع أهل السلطة فتنة ورفض طلب المتوكل في أن يجعل المعتز في حجره، فتحمل الإمام المسؤولية وأعطى جهده بقوله: لقد أعطيت المجهود من نفسي فالمعتقدات وآراء العلماء لا تبقي كامنة في داخل النفس لا بد من أن تخرج من حجرها إلى نطاق الواقع حتى لا تضل الأمة. فكانت الناس تحمل الصحف تنتظر ما يقوله الإمام لكتابته فقال الإمام: أضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم، فبين لنا مسؤولية قادة الفكر في إصلاح الأمة وتوضيح الطريق أمامها فهو مسؤول أمام الله، وأمام الضمير فعاد إلى طريق السلف في فهمهم للقرآن الكريم، وأثبت أن المعتقدات والآراء الفكرية لا تحارب بالنطع ولا بالسياط بل لابد من محاربتها بالفكرة حتي لا تمحى ولا تزول. ولتحمل الإمام هذه المسؤولية قرن بأبي بكر الصديق يوم الرده، وارتفع شأن الإمام لأنه حافظ على السنة من التكدير. قال أعرابي: «لقد رفع الله ﷻ شأن أحمدبعدما امتحن وعظم عند الناس وارتفع أمره جدا.

✍ الفرقان بين الحق والباطل:

أعطى الإمام أحمد بثباته مورة واضحة في مواجهة الحق للباطل وانتصارة في النهاية بعد جهد وجهاد، وتحمل مصاعب ومشاق. فصدق في نيته لإظهار الحق، فأثبت صفات الله كما أثبتها هو لنفسه. فهو صاحب فكرة صحيحة لذا فهو لا يأبه لما يدور حوله في سبيل اثباتها والإنتصار لها والجهاد في سبيلها يقول: "إن ظهور الباطل على الحق أن تنقل القلوب من الهدى إلى الضلالة وقلوبنا بعد لازمة للحق" فشجاعته في الفكر أولا، وفي الجسد ثانية فجانب الحق يملك الإيمان وجانب الباطل يملك السلطة. فصدع بالحق متمثلا قوله ﷺ: "لا تمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه ". حرصا على بقاء الخير فالشجاعة في الفكر قضت على حدة السيف كما يقضي السيف على الرقاب. فانهزم الإبتداع، وعلموا أن ذلك هو الحق، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الحج: الآية ٥٤] فربح الحق وخسر الباطل خسارة عظيمة فلم تقم له قائمة، فرسخ في نفوس العلماء أن الإنتصار للحق والجهاد في سبيله واجب في أعناق العلماء الذين يقتدي بهم فجعلت من «أحمدبن نصر الخزاعي يمتنع عن القول بأن القرآن مخلوق والتضحية في سبيل ذلك.

✍ ترتب على القول بخلق القرآن أمور عقدية وأخرى كان لها أثر في جرح الرواة وعدالتهم بالنسبة للإمام لأنه محدث وفقيه:

كان الإمام أحمد لا يصلي خلف من قال القرآن مخلوق، فإن صلى رجل عاده وعندما سأله صالح بقوله: إذا اجتمع رجلان، أحدهما قد امتحن، والآخر لم يمتحن ثم حضرت الصلاة قال الإمام: "يتقدم الذي لم يمتحن " وغيرها من الأمور الفقهية. أما بالنسبة للحديث فامتنع عن نقل الرواية عمن أجاب وعدم الكتابة عنه.

فامتنع عن التحديث عن أبي كريب وأبي معمر، ولا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار ولا يحيى بن معين، وغيرهما ممن امتحن فأجاب

✍ إنتصار المذهب السني وانهزام الاعتزال والمناداة بالعودة إلى الأصول:

بين الإمام أن لا مجال لإعمال العقل في أمور ليس للعقل فيها مجال، فيعمل العقل في مجالاته الخاصة، فالتزم النصوص في إقناعهم سواء أكان القرآن الكريم أم السنة الشريفة إضافة إلى ما ورد عن الصحابة، فحافظ بذلك على صفاء الكتاب والسنة، ومنهج الصحابة وتمثل اقوالهم فكان يقول: "اللهم سلم سلم" والرسول ﷺ كان يرددها، فامتثل قول الرسول ﷺ: "إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غيرأن ينقص من أجورهم شيئا". وامتثل قوله ﷺ: إن بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة . فأحيا الإمام السنة، وحافظ على مذهب السلف. لمواجهة مشاكل المجتمع ومن انتشار البدع فيه: فلا يجيب إلا من قرآن أو سنة أو قول صحابي فإذا لم يجد الجواب من هذه المصادر الأساسية في التربية الإسلامية لم يجبهم، لذا قوي أصحاب الحديث فيقول عنهم: " إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس ، ويقول في محابرهم هذه سرج الإسلام، وعندما سأله أحدهم يا أبا عبدالله أين نطلب البدلاء؟ قال: إن لم يكن من أصحاب الحديث فلا أدري".

فثبوته ثبوت لأهل الحديث والسنة والحط من شأن المعتزلة، وظهر ذلك من خلال كتابه «الرد على الجهمية». وعند مجيء المتوكل أمر المحدثين بإظهار السنة وترك الكلام مع أن قضية خلق القرآن قبله في عهد الواثق اصبحت كلام سخرية واستهزاء، عندما دخل عبادة على الواثق وقال له يا أمير المؤمنين، أعظم الله أجرك في القرآن، فقال: ويلك القرآن يموت؟ قال: يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت، بالله يا أمير المؤمنين، من يصلي بالناس التروايح إذا مات القرآن ؟ فضحك الواثق، وقال: قاتلك الله أمسك .

✍ تقوية الصلة بالله والاعتزاز به وحده

ازدادت صلة الإمام أحمد بخالقه فكان لا يغضب إلا لله، ولم تظهر عليه أمارات الغضب إلا ما ينضب الله، فعندما رأى الناس يجيبون تحمر ميناه، ويذهب لينه غضبا لله. قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: كان من أصحاب رسول الله -ﷺ- من إذا أريد على شيء من دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون.

فاعتبر الإمام أن ما يصيبه من ابتلاء هو شيء ضروري، ففيه تربية وتنقية وتطهر للنفوس، لتتحمل وتصبر على السراء والضراء ليزداد إيمانا ويعفو لأنه ينتظر الأجر والثواب من الله، ففي وصيته لأولاده، اعتبر أن المحنة هي نعمة من الله واجب شكرها، ويطلب من الله العون على أداء هذا الشكر فامتثل قوله ﷺ: ما من شيء يصيب المسلم حتى الشوكة يشاكها إلا قصرمن ذنوبه، عندها يتعلق بالملأ الأعلى ويماثل الأنبياء يقول ﷺعندما سئل: أي الناس أشد بلاء قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

عن عمرو بن ميمون. قال ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه، قال: فما سمعته يقول بشيء قط، قال رسول الله - ﷺ- فلما كان ذات عشية قال: قال رسول الله - ﷺ- قال: فنكس، قال فنظرت إليه فهو قائم محلله أندار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريبا من ذلك أو شبيهة بذلك.

✍ إتقاء الشبهات:

و لقد حث الرسول ﷺعلى إتقاء الشبهات بقوله: "فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه" والإمام أحمدامتثل ذلك، فرفض أن يعالجه ابن ماسوية طبيب نصراني ومن طرف المتوكل اتقاء للشبهات.

✍ الفتنة أشد من القتل:

قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩١] إن محنة الإمام أحمد شديدة وعصبية فهي أقسى من قتله، لذا فالإمام أحمدلم يخف من القتل ولكنه خاف من فتنة السوط، فعلى المؤمن أن يع نفسه لجميع الفتن، السجن والضرب والنفي أيضا قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٣٠]

✍ محافظة الإمام أحمد على مبدأ أساسي من مبادي التربية الاسلامية وهو الحرية:

صان الإمام أحمد الحرية وحماها، وهي حرية الرأي والفكر، مع أن المأمون قد خنقها للعلماء ومنحها في دولته، فالعلماء كانت حرياتهم غير محمية في ذللك العصر، لكن الإمام حارب المعتزلة ليدفع هذا الظلم عن حريات البشر التي أعطاها لهم الله، لذا لم يتوان في أعطاء شهادة حق لعلماء عصره لاحترامه الفكرهم، فيقول عن محمد بن نوح رفيقة في المحنة: «ما رأيت أحداً على حداثة سنة وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير .

✍ ازدادت حركة الحنابلة ومنزلتهم رفعة:

بعد مجيء المتوكل ورفعه للمحنة، ارتفعت منزلتهم وساندتهم الدولة حتى بعد وفاة الإمام كما يروى ابن الجوزي فأيدت الدولة المحدثين وتركت المعتزلة الجدال والكلام وأمر المتوكل بإظهار السنة وذكر ابن الأثير حركات الحنابلة في القرن الرابع كيف كانوا يريقون الخمور، وكسر ألة الغناء وضرب المغنية، وإذا مشي الرجال مع النساء، سألوه عن الذي معه من هو؟ وغير ذلك.

✍ الثبات والصبر على المبدأ الصحيح:

فالمؤمن الحقيقي هو الذي يكون أقوى من المصائب والمحن، فيصبر ويتجلد أمامها فعزيمته لم تهن، ولكنها تزداد قوة كلما تعرضت لمزيد من البلاء والخنق. فالصبر طريق للنصر القريب.

فثبت الإمام على المبدأ الصحيح وبقي متمسكة بالكتاب والسنة فبثباته هذا أصبح قدوة للعامة والخاصة.

✍ تنقية وتطهير النفس الإنسانية

لقد عالجت المحنة نفسية الإمام أحمد بالطرق السلمية، وذلك باتباع القرآن الكريم والسنة النبوية. فانعتقت من ربقة الضعف، وتحررت من إسار الشكوى، والشهوات وارتفعت به ليعطي لنا نموذجاً من الصابرين على السراء والضراء، وقدوة للعامة والخاصة من العلماء بذلك تتجدد خلايا القلوب وتنجلي بعدما علاها الصدأ.

الخاتمة

١. إن الإمام أحمد عاش في عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية والثقافية، فنبغ في مجال علم الحديث والفقه، فشارك في مسيرة الحركة الفكرية التربوية الإسلامية فهو علم من أعلام الفكر التربوي الإسلامي أضافة إلى أنه محدث وفقية.

٢. تنوعت ثقافة الإمام أحمد مما انعكس على تصانيفه، فأعطي نتاج فكرية متنوعة معتمدة فيه على الأصول الإسلامية القرآن والسنة، مع اهتمامه بآثار الصحابة والتابعين

٣. أن الإمام أدرك أن فكر الأمة لا ينفصل عن واقعها، وتجسد ذلك في جمعة ثروة فقهية من الحديث النبوي الشريف فقام برحلاته المتعددة حفاظا على السنة النبوية من عبث العابثين ، وتمثل أيضا في مصنفاته التي جاءت لتواجه التيارات الفكرية المنحرفة ومنها تيار الترف والبذخ الذي تنوع في أصناف الشراب المحرمة فجاءت هذه المؤلفات لسد هذا الفراغ وهذه الفجوة في المجتمع.

٤. حوى الوعاء الفكري للإمام أحمد آرائه في مجال التربية الإسلامية، في آداب العالم والمتعلم فوضع لكل منهما أدابة. كما اشتمل على مناهج أراد الإمام أن تكون أساسا للتعليم الإسلامي مع بيان لخصائصه المميزة له

٥. الإمام أحمد اهتم بالتربية السلوكية وخاصة الزهد والورع وأثرهما في التربية السلوكية وما ينتاب الإنسان من الخشية والخوف من الله وهو ثمرة الإيمان الحق لتنمية الإرادة الخلقية، ليرتقي بالنفس الإنسانية.

٦. الإمام أحمد من علماء المسلمين الذين فهموا مسؤوليات العالم، فوقف سدا منيعا في مواجهة الإنحراف العقائدي الذي تجاوز بالقرآن في معانيه إلى أراء دخيلة على الإسلام، فرد الإمام أحمد هذه الآراء في ثباته في قضية خلق القرآن، في الوقت الذي تنحي عن هذا الموقف الكثيرون من العلماء، وبذلك امتاز على علماء عصره في هذا الموقفي، وخاصة في إحاطته بالسنة النبوية، فأعطي للمحنة ما لدية من طاقة فكرية وجسدية، ومنحنا صورة الثبات على المبدأ الصحيح.

٧. كشف هذا الكتاب النقاب عن الفكر التربوي الإسلامي في منتصف القرن الثاني إلى منتصفية القرن الثالث الهجري، الذي ازدهرت الحركة العلمية فيه.

٨. ضرورة الإخلاص في طلب العلم، وحث الطالب على أن يخلص النية في طلبه والا يكون همه وغايته الحصول على وظيفة أو منصب، فيجب بث هذا الشعور في نفوس الطلاب وترغيبهم في ذلك من خلال الأدلة والنصوص وسيرة علماء الأمة.

٩. طلب العلم فريضة على كل مسلم، وقد اهتم الإسلام منذ بدء نزول الوحي بالعلم وحث على طلبه، لذا فقد إهتمت والدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بتعليمه القرآن الكريم ثم الحديث النبوي الشريف، واللغة والأدب، وقد بذل الإمام أحمد جهودا كبيرة في طلب العلم استغرقت مدة طويلة من حياته تصل إلى أربع وعشرين سنة قضاها في طلب العلم والتنقل من مدينة لأخرى ومن دولة لأخرى طلبا للعلم نتجول داخل العراق وأخذ عن مشاهير العلماء بها، ثم رحل إلى الحجاز واليمن وغيرها بقصد طلب العلم بناء على رغبة جامحة، وعشق كبير للعلم والعلماء.

١٠. لقد تحمل الإمام أحمد بن حنبل في سبيل طلب العلم كثيرا، وعانى اكثر من صعوبة التنقل لعدم وجود ما يكتري به دابة لركوبها أثناء السفر، فقد كان يعيش عيشة الكفاف وفي بعض الأوقات بعيش أقل من الكفاف، فإذا أنقطعت به المئونة أكرى نفسه للحمالين مقابل ما يستعين به خلال تلك الرحلات، وقد لوحظ عليه آثار الإرهاق من تلك الأسفار وعندما قيل له ذلك ، قال : «ما كسبته من علم في تلك الأسفار لا تساوي المشقة معه شيئا، فهو أكبر منها ».

١١. حرص الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على طاعة والدته منذ الصغر، والعمل علي تحقيق رغبتها ، فقد امتنع عن بعض رحلاته لطلب العلم ، بسبب شعوره بعدم رغبة والدته ، وكانت والدته حريصة عليه أشد الحرص -كما هي عادة الأبوين دائما فعندما كانت تراه يريد الخروج مبكرا لطلب العلم - قبل صلاة الفجر - تاخذ ملابسه وتقول له حتى يصبح الناس أو حتى يؤذن، وهذا يعكس مدى جو الاحترام والعطف والحنان التي كانت تعيشه أسرة الإمام أحمد بن حنبل، ومدى ما يكنه لوالدته من احترام وتقدير وطاعة ، وهذا مما يدعوا إليه ديننا الإسلامي في البر بالوالدين.

١٢. إمتاز الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على أقرانه وزملائه في الدراسة، بالنبوغ والتفوق وما ذلك إلا بسبب حبه للعلم «بعد توفيق الله »، وبذله قصارى جهده لطلبه حيث لم يكن لشاغل مهما كان أن يشغله عنه - سوي رغبة والدته - وقد كان يتلقى العلم بجد واضح وعقل متفتح، وذهن صاف، ورغبة أكيدة وحرص شديد، فكانت " النتيجة التفوق على زملائه. النتيجة التفوق على زملائه . حفظ العلم لا يكون إلا بتدوينه، أما حفظه في الصدر فإنه يعرضه للضياع، والنسيان، لذا فقد حرص الإمام أحمد بن حنبل علي تدوين العلم ، حتى يستطيع الرجوع إلى ما دونه عند الحاجة إلى ذلك، وكان ينهى طلابه وأبناءه عن التدوين -كتابة العلم - بخط دقيق لأن ذلك من أسباب ضياع العلم، فعندما يرجع طالب العلم إلى ما كتبه لا يستطيع قراءته، أو قراءة بعض فقراته فيؤدي ذلك إلى ضياع العلم وقد كان الإمام أحمد صاحب عبارة

مشهورة، تدل على مدى عنايته واهتمامه بالعلم والتدوين طيلة حياته حيث يقول (مع المحبرة إلى المقبرة).

١٣. كان الإمام أحمد بن حنبل ينهى طلابه عن كتابة بعض فتاواه، خشية اختلاطها بالحديث النبوي الشريف لأنه يرى أن تلك الفتوى، إنما تصدرمن إنسان غير معصوم، فلربما غير تلك الفتوى، أو رأى من خلال إطلاعه ان تلك الفتوى غير صحيحة وعدل عنها فإن وجودها قد يسبب تشويشا، وخلافا، واضطرابا لدى العامة .. أما ما عدا ذلك من أحاديث وغيرها فقد كان هو يمليها على طلابه حتى يكتبوها.

١٤. ما امتاز به الإمام أحمد من قدرة على الحفظ، وتمتعه بذاكرة جيدة، فقد كان يحفظ حسب ما يقول بعض أصحابه - ألف ألف حديث، وبعد وفاته بلغت كتبه عشرين حملا.

١٥. عم الرخاء والازدهار الاقتصادي ارجاء الدولة الإسلامية في العصر الأول من الخلافة العباسية وخاصة في عهد الرشيد، ولكن هذا الازدهار لم يكن ليصرف العلماء عن المسئولية العظمى التي تحملوها، ولم يشغلوا أنفسهم بذلك الازدهار، وإنما إنصرفوا إلى طلب العلم ، وتعليمه لأبناء المسلمين، وكانت حياتهم حياة كفاف وزهد في الدنيا ومتاعها الزائل.

١٦. كما اشتهر عصر الإمام أحمد بن حنبل بما يسمى النهضة العلمية، أو الانفجار المعرفي فقد اهتم خلفاء بني العباس بالعلم ونشره أيا اهتمام وانشئت الدور المخصصة للعلم والترجمة مثل «بيت الحكمة في بغداد» وترجمت كثير من الكتب من اللغات الهندية واليونانية، الفارسية، والروسية إلى اللغة العربية، وبذلك تنوعت المعارف وتعددت وأصبح لكل علم من تلك العلوم مرتادوه والمهتمون به، كما ظهرت في ذلك العصر بعض المذاهب الدينية ومنها الجهمية حيث برزت مكانتها، وسيطر أصحابها حتى على الخلفاء ومن أشهر ما نادوا به وادخلوه في الدين قولهم «بان القران مخلوق» تلك الفرقة التي أحدثت كثيرا من الاضطهاد والتعذيب لبعض العلماء، وجعلت كثيرا منهم يقولون بها إما تقية لشدة خوفهم من الخلفاء أوغير ذلك...

١٧. تحمل الإمام أحمد كثيرا من التعذيب والسجن والضرب في سبيل تصديه لهذه الفرقة الضالة ورفضه أن يقول ما تقول به الجهمية من أن القرآن مخلوق، وتعرض للسجن والضرب المبرح في سبيل ذلك، ولكنه تحمله راضية، في سبيل الدفاع عن الإسلام ورد الأباطيل التي روج لها أصحاب هذا المذهب الهدام ومن تبعهم وناصرهم من الخلفاء فاستخدموا قوة السلطان لإجبار الناس على القول بها ، ولكن الإمام أحمد تحمل كل ما لقيه في سبيل ذلك وكان يقول السجن كره، القيد كره، الضرب كره والوعيد كره»ولكن هذا الكره كان محببة لدى الإمام أحمد، لأنه كان لله وفي الله.

١٨. اهتمام الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بنشر العلم، وتعليمه، فبعد أن بلغ في العلم شأنا عظيما ودرجة عالية، وبلغ الأربعين من عمره، جلس لإلقاء دروسه في جامع بغداد وكان يحضر دروسه ما يزيد على خمسة آلاف، بينما كان قرابة خمسمائة طالب يكتبون عنه. كما كان له درس آخر في المنزل لأسرته، وبعض طلابه.

١٩. كان للإمام أحمد مبدا تربوي وهو التدرج في تعليم طلاب العلم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، حتى لا يسبب ذلك لهم كراهة العلم والنفور منه. وهو يرى أن على طالب العلم أن يبدأ بتعلم القرآن الكريم كاملا، فإذا لم يستطع يتعلم بعضه حتى يستطيع أن يؤدي به الصلاة ويعينه على الاستمرار في تلاوة القرآن.

٢٠. كان الإمام أحمد ينادي بإلزامية التعليم، لأن العلم نور، وهو الذي يهدي إلى طريق الحق والصواب، متمسكا بالحديث «ويل للعالم من الجاهل ، حيث لم يعلمه» فإن التهديد في هذا الحديث يشير إلى ضرورة تعليم الجاهل حتى لا يعاقب العالم على تركه الجاهل دون تعليم، فلو أن الأمر مباح او للاستحسان لما تضمن الوعيد الشديد للعالم الذي لا يقوم بواجبه في تعليم الجاهل .

٢١. يعتبر المعلم الركيزة الأساسية في العملية التعليمية، وعمله عظيم ومسئوليته كبيرة، لذا يرى الإمام أحمد بن حنبل أن على المعلم أن يتصف بصفات تحصيلية مهمة بأن يكون غزير العلم ، واسع الاطلاع، لا يكتفي مؤهل علمي يحصل عليه، بل لا بد من البحث والاطلاع على كل ما هو جديد ومفيد، كما أن على المعلم أن يتصف بالأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة، وكل ما هو خير، ويجب عليه أداء عمله على أكمل وجه، وبأفضل أسلوب، وأن يكون دائم النصح والإرشاد لطلابه لكل ما فيه خير لهم، ويحذرهم من كل ما يسبب لهم المكروه، أو يبعدهم عن عقيدتهم الإسلامية الصحيحة.

٢٢. على المعلم الاستمرار في البحث والتنقيب في الكتب والمراجع، وأن يكون دائم الاطلاع على كل ما هو جديد في مجال تخصصه بصفة خاصة، وفي سائر العلوم بصفة عامة وأن لا يعتمد علي مؤهله العلمي فقط، لأن المعرفة الإنسانية في تطور مستمر.

٢٣. يعتبر المعلم القدرة الحسنة لتلاميذه، لذا عليه أن يكون ذا سلوك حسن، واخلاق فاضلة وصفات حميدة، وألا يتصف بالغضب والانفعال السريع، وأن يكون عادلا بين تلاميذه يعاملهم معاملة حسنة، يهتم بأحوالهم وكل ما يفيدهم كما يهتم بمظهره وحسن ملابسه ويعتني بشعره ويكون لباسه ساترا غير شفاف.

٢٤. القرآن الكريم المصدر الأساسي للشريعة الإسلامية، فيجب على المعلم أن يتقن تلاوته وأن يستمر فيها بتخصيص ورد منه لكل يوم، ولأهمية اللغة العربية فهي لغة القرآن

الكريم - لذا على المعلم أن يحافظ عليها ويكون تخاطبه مع طلابه بها ولا يقبل منهم غير ذلك.

٢٥. كما أن طالب العلم احد الركائز الأساسية للعملية التعليمية لذا يجب عليه أن يتصف بصفات وأخلاق فاضلة، وأن يكون حريصا على العلم، شديد الإحترام لمعلميه.

٢٦. حث الإسلام على طلب العلم كل مسلم ومسلمة وذلك يشمل النساء لأن دورهن عظيم في المجتمع فالمرأة المتعلمة تستطيع تربية أولادها التربية الإسلامية الصحيحة، كما أن من المهام التي تقوم بها المرأة المتعلمة المساهمة في تعليم بنات المجتمع وعلاج المسلمات في المجتمع حيث تعمل طبيبة أو ممرضة، وغير ذلك مما يتناسب مع طبيعة المرأة ويوافق الشريعة الإسلامية.

٢٧. على طالب العلم إحترام معلمه وتقدير الدور الذي يقوم به، لأن احترام المعلم احترام للعلم وفيه اعتراف بأهمية ما يقوم به المعلم في سبيل نشر العلم ، ونهضة الأمة.يجب على المجتمع افراد و مسئولين احترام المعلم ، وتقدير جهوده التي يبذلها في تعليم أبنائهم ، كما أن على المسئولين عن التعليم الاهتمام بالمعلم وتكريمه، بإقامة أسبوع لتكريم المعلم مثلا توزع فيه شهادات تقدير للمعلمين البارزين، ليكون ذلك إشعاراً منهم للمجتمع بأهمية دور المعلم ، واثره الكبير، في النهوض بالأمة وتقدمها ، وليكون حافزة للمعلمين المقصرين في بذل المزيد من الجهد والارتقاء إلى الأفضل حتى يحصلوا على التكريم المناسب.

٢٨. ان يحرص المعلم على التطبيق العملي لدروسه، واستخدام الوسائل المعينة المناسبة لكل درس والحرص أشد الحرص على تطبيق: شعائر الإسلام امام التلاميذ ، ومن ثم مطالبتهم بأدائها أمامه، حتى يتأكد من أجادتهم لها وإتقانها.

٢٩. على المسئولين عن التعليم عامة والمعلمين بصفة خاصة، الاهتمام بمادتي الإملاء والخط فهما الركيزتان الأساسيتان لنجاح الطالب في تعليمه، فيخصص التدريسها من لديه الكفاءة وحسن الخط، وان يتابع المعلم تلاميذه في ذلك بدقة حتى يصلوا فيهما إلى درجة عالية من الإجادة والإتقان.

٣٠. على طالب العلم الاهتمام بوالديه وطاعتهما لأن الله ﷻ امرنا بطاعة الوالدين والبر بهما وقد وردت كثر من الآيات الكريمة تأمرنا بطاعة الوالدين وحسن معاملتهما وخاصة في الكبر ، فقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يمتنع عن السفر لطلب العلم عندما يرى أن ذلك لا يوافق رغبة والدته.

٣١. كما أن على طالب العلم الجد والاجتهاد في طلب العلم، وأن يتحمل المصاعب والمشاق التي تقابله في سبيل ذلك، وأن يكون شديد الحرص على طلب المزيد من

العلم، وأن يستخدم العلم فيما هو مفيد له من دينه ودنياه، وأن يبتعد عن الكسل والخمول، لأن ذلك سبب في إخفاق الطالب وعدم نجاحه.

٣٢. يجب على طالب العلم أن لا يقنع من العلم باليسير بل عليه الاستمرار في طلب العلم حتى حصوله على الدرجات العلمية العالية، وأن يجعل طلبه للعلم خالصا لوجه الله حتى تتحقق له السعادة في الدنيا، والأجر والثواب من الله ﷻ وعليه بعد حصوله على المؤهل العلمي الاستمرار في القراءة والاطلاع على كل ما هو جديد في مجال العلوم.

٣٣. على المعلم أن يحرص على بث الشعور بأهمية العلم في نفوس طلابه، من الاهتمام بالعلم والاهتمام بكل ما يتصل بالعلم من كتب وأوراق، وعدم إهمالها أورميها في أماكن لا يتناسب مع أهمية ما تحمله من علم.

٣٤. ضرب لنا الرسول عليه وسلم مثلا عن الجليس الصالح والجليس السوء حيث شبه الجليس الصالح بحامل المسك إما أن تشتري منه أو يحذيك أو تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحة كريهة ، لذلك على طالب العلم أن بحسن اختيار الأصدقاء، وأن يكونوا ممن يتصفون بالدين والأخلاق الإسلامية والابتعاد عن رفقاء السوء.

٣٥. على المعلمين الاستفادة من الأساليب التربوية التي كان يتبعها سلفنا الصالح في تعلميهم لطلابهم ومن تلك الأساليب، المناظرة، الأسئلة، والحوار، الكتابة، القراءة لأن هذه الأساليب هي التي تناسب مجتمعنا الإسلامي وتتفق مع أخلاقنا الإسلامية. فقد نشأت وأوجدت في بيئتنا وهي ملائمة لتعليم أبنائنا، مع إدخال بعض التعديلات التي تناسب طلاب العلم اليوم، لأنهم يختلفون كثيرا عن طلاب العلم السابقين الذين كانوا يطلبون العلم إبتغاء وجه الله، والحصول على فائدة علمية، وتعمق في الدين لذلك كان إقبالهم على العلم وحرصهم على طلبه مهما كلفهم ذلك من جهد وعناء. أما طلاب العلم اليوم فالأغلبية منهم يطلبون العلم لنيل الشهادة العلمية فقط دون الاهتمام بالعلم أو الحرص عليه.

٣٦. ضرورة تولي المعلم تأديب طلابه، إضافة إلى تعليمهم، فيجب على المعلم أن يؤدب طلابه، ويهذب سلوكهم، ويوجههم إلى السلوك الحسن، ويتابعهم على ذلك وينبههم باستمرار على الخطا في سلوكهم وأخلاقهم طوال فترة التعليم

٣٧. الاهتمام بالمزيد من البحث والتنقيب في تراثنا الإسلامي الخالد، كما يجب إظهارما يحتويه هذا التراث من مباديء وقيم تربوية تتفق مع شريعتنا، وعاداتنا وتقاليدنا الإسلامية، ففي تجارب علماء المسلمين السابقين خير عون لنا في مسيرتنا التربوية الحاضرة، لذا يجب علينا تطبيق ما اتبعوه من مباديء وأساليب تربوية، وعدم

الاعتماد على ما يمليه علينا الغرب من نظريات وأساليب لا يتفق كثير منها مع عقيدتنا وأخلاقنا الإسلامية.

٣٨. الاهتمام بمادتي الإملاء والخط فهما أساسيتان في عملية التعليم، وبدونهما يفقد التعليم أهميته، لذا على المسئولين عن التعليم بصفة عامة وعلي المدرسين بصفة خاصة الاهتمام بتدريس هاتين المادتين وأن لا يكلف بتدريسهما إلا من يتقنهما، ويمكن أن يفيد الطلاب بهما ، حيث يلاحظ الباحث سوء الخط وضعف الإملاء عند كثير من طلاب العلم اليوم.

٣٩. تنمية الشعور بالانتماء للدين الإسلامي الحنيف والولاء لوطننا الغالي، الذي يبذل المسئولون فيه كل ما يستطيعون في سبيل نهوضه، وتقدمه، وتقدم الدولة مشكورة كل ما يحقق رفاهية المواطن ولكن نجد مع الأسف الشديد بعض من يعمل على إتلاف الممتلكات العامة من حدائق وأعمدة إنارة وغيرها، وهذه لم توجد إلا لراحتنا ومن أجلنا، فمن مصلحة من إذا إتلافها، وتشويهها ؟؟؟.

٤٠. على أولياء الأمورالاهتمام بتربية أولادهم وسنن رعايتهم خارج المدرسة، وعدم الاكتفاء بما تقوم به المدرسة، فالمدرسة لا تستطيع تحمل المسئولية وحدها، خاصة إذا كان المجتمع يهدم ما تبنيه المدرسة لذا فواجب الآباء الاهتمام بمتابعة أبنائهم وإرشادهم وتوجيههم خارج المدرسة.

٤١. احترام المعلم احترام للعلم، فيجب على المسئولين عن التعليم في بلادنا الغالية الاهتمام بالمعلم وذلك بإقامة أسبوع لتكريم المعلم، تشارك فيه وسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وصحافة تقديرا للجهد الذي يبذله المعلم، يشابه ذلك الأسبوع ما يقام من اسابيع، للمساجد والشجرة والنظافة والمرور ... ويتم في هذا الأسبوع إقامة حفل مصغر في كل إدارة تعليمية يتم فيه تكريم المعلمين المبرزين ، تقديرا لجهودهم وحثا " لزملائهم على الارتقاء بمستواهم إلى ما هو مأمول حتى ينالوا التكريم.

٤٢. الحرص على زيادة مقرر الحفظ من سور القرآن على التلاميذ في الصف الأول والثاني والثالث حتى يتم حفظ أكبر قدر ممكن من القرآن الكريم، حيث إن كثيرا من علماء المسلمين حفظوا القرآن قبل بلوغ العاشرة من أعمارهم.

٤٣. التقليل من المواد الدراسية والكتب المقررة على تلاميذ الصفوف الدنيا من المرحلة الابتدائية والتركيز وخاصة في الصف الأول - علي مادة القرآن الكريم - والقراءة والكتابة وبعض المباديء البسيطة في الحساب حتى يتسنى للتلميذ في هذه المرحلة إجادة وحفظ أكبر قدر من القرآن الكريم، وإجادة القراءة والكتابة وإتقانهما لأنهما من أهم أسباب التعليم الجيد، والاهتمام بحسن الخط وإتقانه.

٤٤. تنمية حب العلم والمحافظة على الكتب وعدم العبث بها، واستخدامها الإستخدام الأمثل وحسن ترتيبها وتنظيمها - إذا وجدت لدى الطالب مكتبة في المنزل - السهولة الرجوع إليها.

٤٥. تنمية حب القراءة والاطلاع لدى الطلاب ابتداء من المرحلة الابتدائية بتخصيص حصص في الجدول الدراسي الاسبوعي لزيارة المكتبة، والاستفادة منها، بحيث تتاح الفرصة لكل طالب بالاطلاع على الكتب التي يريدها، ويطالب كل طالب في نهاية كل فصل دراسي بتقديم بحث مصر يشتمل على بعض الموضوعات والكتب التي اطلع عليها خلال ذلك الفصل الدراسي ، أو عمل تلخيص مبسط لما قرأه، ويفضل أن تقدم جوائز الصاحب أفضل بحث او تلخيص في نهاية كل فصل، مع تخصيص درجة في حدود عشر درجات تضاف لمن يتقدم بحث أو تلخيص في نهاية الفصل تشجيعا له على جهوده، وحافزا لبقية زملائه للمشاركة وزيادة الفاعلية ، وتضاف تلك الدرجات الى مجموع درجات الطالب تحت عنوان - قراءة واطلاع - أو قراءة حرة .... ويرى أن في ذلك تشجيعا للطلاب على إرتياد المكتبات، والتعود على القراءة، حتى تصبح تلك القراءة عادة لديهم لا يستطيعون تركها ، وبذلك يتحقق الهدف النبيل الذي من اجله اوجدت المكتبات في المدارس ، حيث أنها لم توضع لمجرد ديكور او تكميل اثاث، وإنما وضعت للاستفادة منها.

٤٦. تخصيص جائزة فصلية لكل معلم يرتاد المكتبة، ويقدم بحثا عن موضوع من المواضيع التي تهم التربية، ويمكن الاستفادة منه، وفي ذلك أيضا تشجيع للمدرسين على إرتياد المكتبات والاطلاع

٤٧. النظافة من الإيمان، لذا من واجب رجال التربية تعويد التلاميذ على التمسك بالآداب العامة، منذ بداية حياتهم - في المنزل ثم في المدرسة - بالمحافظة على النظافة، نظافة ملابسهم، نظافة أجسامهم، نظافة، كتبهم ودفاترهم، نظافة فصولهم، نظافة مدرستهم نظافة شوارعهم وبالتالي نظافة مدينتهم، لأن ديننا الإسلامي يحب النظافة، ويحرص على تربية أبنائه عليها، لذا فعلى المدرسة بالتعاون مع المنزل ، تعويد التلاميذ على المحافظة على النظافة لأن النظافة تؤدي إلى الصحة ، وتقضي على مسببات الأمراض ، فتكون بيئتنا صحية خالية من التلوث، وحدائقنا جميلة نظيفة من بقايا الأطعمة ، والنفايات ، وهذا بالتالي يؤدي إلى مجتمع سليم خال من الأمراض - بإذن الله - ويعكس مدى الوعي والتقدم والحضارة لدينا، وتعويد التلاميذ على النظافة، لا يكون بكلمات مجردة أوعبارات منمقة، وإنما بالتطبيق العملي والحرص الشديد عليه ومعاقبة المخالف معاقبة تكون ردعا له، ومانعة لغيره من الوقوع فيها مستقبلا، ولا تستطيع المدرسة وحدها القيام بتلك المسئولية، بل لا بد من تعاون الأسرة في ذلك

وكذلك تعاون أفراد المجتمع لأن أي اختلال أو قصور من أحد هؤلاء الأطراف قصور في أداء الدور المنوط به، ويؤدي إلى إختلال في العمل، وبالتالي يؤدي إلى الفشل في تحقيق الهدف المنشود من العملية التربوية في المدرسة والمجتمع.

وفي الختام أحمد الله وأشكره على عونه وتوفيقه، راجيا أن يكون عملي هذا خالصا لوجه الكريم ، كما أسأله ﷻ التوفيق والسداد والإخلاص في جميع الأعمال وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المصادروالمراجع

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف
- جمعان أحمد صالح الدبسي: الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤١٥هـ.
- ختام محمد عوض القرعان: الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل رسالة ماجستير، جامعة اليرموك الأردن،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١٩٩٢م.
- البخاري، محمد بن اسماعيل (١٩٤ - ٢٥٦هـ) «صحيح البخاري» بيروت دار الفكر،١٩٨٨م.
- مسلم، بن حجاج «٢٠٤-٢٦١هـ » (صحيح مسلم) ، بيروت ، دار الفكر بدون تاريخ.
- أبو داؤد، سليمان بن الأشعث «٢٠٢- ٢٧٥هـ » (سنن أبي داوود) بيروت دار الفكر، ١٣٩٣هـ
- ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (سنن ابن ماجه) بيروت، دار إحياء الكتب العربية، الجزء الأول، ١٣٧٢هـ
- الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة) الرياض مكتبة المعرف، الطبعة الرابعة،١٩٨٨م.
- النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (رياض الصالحين) تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمديوسف الدقاق، دمشق، دار المأمون للتراث الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.
- ابن حنبل، أحمد (الصلاة وما يلزم فيها) القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح، الطبعة الأولى، ١٣٤٧ هـ
- ابن حنبل، أحمد (كتاب الورع) القاهرة ، مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ
-) ابن حنبل، أحمد (الرد على الزنادقة والجهمية) القاهرة، المطبعة السلفية ١٣٩٣هـ

- ابن حنبل، أحمد (كتاب السنة) تحقيق الشيخ عبد الله حس آل الشيخ – مكة المكرمة، المطبعة السلفية، ١٣٤٩هـ
- ابن حنبل، أحمد (المسند) شرح وفهرسة أحمدمحمد شاكر، القاهرة دار المعارف بمصر، ١٣٥٦هـ
- ابن حنبل، أحمد (مسائل الإمام أحمد بن حنبل) رواية ابنه عبد الله، تحقيق ودراسة علي سليمان المهنا، المدينة المنورة، مكتبة الدار، الطبعة الأولى ١٩٨٦م
- ابن حنبل، أحمد (أحكام النساء) تحقيق عبد القادر أحمدعطا، بيروت دارالكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن الجوزي (مناقب الإمام أحمد بن حنبل) دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.
- ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (طبقات الحنابلة) القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٥٠ هـ
- ابن بدران، عبدالقادر الدمشقي (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل) تصحيح وتقديم د عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
- ابن حجر، أحمد العسقلاني (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) مراجعة قصي محي الدين الخطيب، القاهرة دار البيان، الطبعة الثانية- ١٩٨٨م.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (وفيات الأعيان)، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.
- ابن سعد، محمد بن سعد (الطبقات الكبرى) بيروت، دار بيروت ودار الصادر مجلد (٧)، ١٩٥٨م
- ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن عماد الحنبلي (شدرات الذهب في أخبار من ذهب) بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، الجزء الثاني (د.ت).
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (جامع بيان العلم وفضله)، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (الإستيعاب في معرفة الأصحاب) حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣١٨هـ

- ابن قتيبية، عبد الله بن مسلم (أدب الكاتب) تحقيق محي الدين عبد الحميد جدة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (البداية والنهاية) بيروت، دار الفكر ١٣٥٨هـ
- ابو الحسن علي الحسني الندوي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام الكويت دار القلم، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩م
- أبو زهرة، محمد ابن حنبل حياته وعصره، دار الفكر العربي،١٩٤٧م.
- الأصبهاني، أبو نعيم، أحمدبن عبدالله (حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء) مصر، مكتبة الخانجي والسعادة، ١٩٨٣م.
- د/ ابراهيم ناصر (التربية وثقافة المجتمع) عمان، بيروت، دار الفرقان والرسالة، الطبعة الأولي ، ١٩٨٦م.
- د/ابراهيم ناصر (مقدمة في التربية عمان، جمعية أعمال المطابع التعاونية الطبعة السادسة، ١٩٨٦م
- أحمد أمين (ضحى الإسلام)، القاهرة، النهضة المصرية ،١٣٥٥هـ
- أحمد محمد جمال (محاضرات في الثقافة الإسلامية القاهرة) - مطبوعة الشعب الطبعة الثالثة ١٩٧٥م.
- أميرعلي سيد (مختصر تاريخ العرب) بيروت، دار العلم للملايين ١٩٦١م
- البغدادي، أبي بكر أحمدبن علي الخطيب، (تاريخ بغداد) بيروت دارالكتاب العربي، ١٣٦١هـ
- التركي، د.عبد الله عبد المحسن (أصول مذهب الإمام أحمدبن حنبل) الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م.
- جابر عبد الحميد وأحمد خير كاظم (مناهج البحث في التربية وعلم النفس) القاهرة - دار النهضة العربية - الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م.
- الجزائري، أبو بكر (العلم والعلماء) جدة ، دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- الجندي، عبد الحميد (الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧٠م.
- د/حسن ابراهيم (تاريخ الاسلام) القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثامنة ، ١٩٧٦م.
- د/ حسن ابراهيم عبدالعال (فن التعليم عند ابن جماعة) مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٥م.

- الحقيل ، د. سليمان عبدالرحمن (الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية، الرياض، مطابع الشبل، الطبعة الخامسة ١٩٩٢م.
- الحموي، ياقوت (معجم البلدان) تحقيق، فريد عبدالعزيز النجدي، بيروت دار الكتب العلمية، الجزء الرابع، الطبعة الأولى (د.ت).
- د/ الدامرداش، عبدالحميد سرحان (المناهج المعاصرة) الكويت، مكتبة الفلاح الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.
- الدقر، عبدالغني (أحمد بن حنبل إمام أهل السنة دمشق) ، دار العلم الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- الدومي، أحمدعبدالجواد : (أحمد بن حنبل بين محنة الدين والدنيا) بيروت المكتبة العصرية ،، ١٩٧٢م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (سير اعلام النبلاء) تحقيق شعيب الأرنؤوط - بيروت، مؤسسة الرسالة الجزء الثامن الطبعة العاشرة ،١٤١٠هـ
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (سير اعلام النبلاء) تحقيق شعيب الأرنؤوط بيروت، مؤسسة الرسالة، الجزء التاسع الطبعة التاسعة ١٤٠٩ هـ
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ترجمة الإمام أحمد بن حنبل) مكة المكرمة، مكتبة ابن حجر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- الذهبي، محمد حسين ، (التفسير والمفسرون) القاهرة ، مكتبة وهبة الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
- الزجاج، ابراهيم بن السري: (اعراب القرآن) تحقيق ودراسة ابراهيم الابياري، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، ١٩٦٣م.
- الزرنوجي، برهان الدين (تعليم المتعلم في طريق التعلم) تحقيق صلاح الخيمي ونذير حمدان، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الأولى (د.ت).
- سيد الأهل، عبدالعزيز (شيخ الأمة الإمام أحمد بن حنبل) بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م.
- السيوطي، جلال الدين (تاريخ الخلفاء) المطبعة المنيرية، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ

- السيوطي، جلال الدين (تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك) مصر د.عبد الحميد أحمد حنفي، الجزء الثالث (د.ت).
- الشرباصي، أحمد (الأئمة الأربعة) بيروت، دار الجيل) (د.ت).
- الطبري،ابو جعفر، محمد بن جرير (تاريخ الطبري) روائع التراث العربي (د.ت).
- العجلوني، اسماعيل بن محمد (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) حلب، مكتبة التراث، الطبعة الأولى (دت).
- الغزالي (إحياء علوم الدين القاهرة - المكتب التجاري (د.ت)
- الفيروز أبادي، محمد الدين محمد بن يعقوب (القاموس المحيط) بيروت دار الجيل (د،ت)
- فيليب. فينكي، (فلسفة التربية) ترجمة د/ محمد لبيب النجمي) القاهرة نيويورك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٨٢م.
- كردي، محمد علي (أمراء البيان) بيروت ١٩٦٩م.
- كمال دسوقي (الإجتماع ودراسة المجتمع) القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧١م
- الكيلاني، د. ماجد عرسان (تطور مفهوم النظرية التربوية في الإسلام)
- المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
- د. محروس سيد مرسي (التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية) مصر، دار المعارف، الطبعة الأولى،١٩٨٨م
- مدور، جميل نخلة (حضارة الإسلام في دار السلام) القاهرة - المطبعة الأميرية، ١٩٣٦م
- المسعودي (مروج الذهب) القاهرة - المكتبة التجارية،١٣٨٤هـ
- النحلاوي، عبد الرحمن (أصول التربية الإسلامية وأساليبها) دمشق دارالفكر الطبعة الأولى، ١٩٧٩م
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الملقب بعز الدين، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٨٣م، ط٤.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، صححه هلموت ريتر، ط٣.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، البخاري بحاشية السندي، دار احياء الكتب العربية.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذى الجامع الصحيح)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر: بيروت،١٩٨٣م ط٢
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة
- التهانوي، محمد علي الفاروقي (توفي في القرن الثاني عشر الهجري) كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢
- ابن تيمية، الزهد والورع والعبادة، تحقيق حماد سلامة و محمد عويضة مكتبة المنار: الأردن، ١٩٨٧م، ط ١
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
- البيان والتبين، تحقيق عبد السلام محمد هاورن. دار الجيل، ودار الفكر بيروت، (د، ت)، (د، ط)
- ابن الجوزي، عبد الرحمن أبو الفرج ،صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي، دار المعرفة: بيروت، ١٩٨٥م، ط٣.
- ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمدبن حنبل، دار الآفاق الجديدة: بيروت ١٩٧٧ ط ٢.
- ابن أبي حاتم، أبو محمد بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، دار الأمم بيروت ١٩٥٢م، ط ١.
- ابن أبي حاتم، أداب الشافعي ومناقبه، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية: بيروت، (د، ت)، (د، ط)
- ابن أبي حاتم، محمد بن حبان بن أحمدالتميمي البستي، كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتركين، تحقيق محمود إبراهيم زايد دار الوعي: حلب ١٣٩٦ هـ، ط ١.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمدبن علي ،تهذيب التهذيب، دار الفكر:١٩٨٤م
- ابن حنبل، أحمد بن محمد ،الأشربة، تحقيق صبحي جاسم، مطبعة العاني بغداد.

- ابـن حنبـل، الـرد علـى الجهميـة والـرد علـى الزنـادقـة، منشـور تحـت عنـوان عقائد أهل السلف للأئمـة، أحمد بـن حنبـل والبخـاري، وابن قتيبـة، وعثمـان الـدار مـي تحقيـق علـي سـامي النشـار وعمـار جمعـي الطـالبي، منشـأة المعارف الإسكندرية١٩٧١م.
- ابن حنبل، الزهد، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلـول، دار الكتـاب العربـي بيروت، ١٩٨٩م..
- ابن حنبل، السنة، رواية عبد الله بن أحمدبن حنبل، تحقيق أبـو هـاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٥م
- ابن حنبل، المسند وبهامشـة منتخب كنـز العمـال فـي سنن الأقـوال والأفعـال دار صـادر: بيروت.
- ابن حنبل، المسند، وضع فهارسـه أحمد محمد شـاكر، دار المعـارف: مصـر ١٩٥٨
- ابن حنبل، فضـائل الصحابة، تحقيق وصـي الدين بن محمد عبـاس، مؤسسـة الرسالة بيروت، ١٩٨٣م، ط ١.
- ابن حنبل، كتـاب الـورع، تحقيـق زينـب ابـراهيم القـاروط، دار الكتـب العلميـة بيروت، ١٩٨٣م، ط ١.
- ابن حنبل، حنبل بن اسحق ، ذكـر محنـة الإمـام أحمد بـن حنبـل تحقيـق محمد نفش، ١٩٧٧م، ط ١
- الخطيـب البغـدادي، أبـو بكـر أحمـد بـن علـي بـن ثابـت، تـاريخ بغـداد، دار الكتاب العربي: بيروت.
- الخطيـب البغـدادي، تقييـد العلـم، تحقيـق يوسـف العـش، دار احيـاء السـنة النبوية ١٩٨٤م، ط ٢.
- الخطيب البغدادي، الجـامع لأخـلاق الـراوي وآداب السـامع، تحقيـق محمـود الطحان، مكتبة المعارف: الرياض، ١٩٨٣م.
- الخطيـب البغـدادي، الرحلـة فـي طلـب الحـديث، تحقيـق نـور الـدين عتـر (د، ن) (د، م)، ١٩٧٥، ط ا
- ابـن خلكـان،أبـو العبـاس شـمس الـدين أحمـدبن محمـد بـن أبـي بكـر، وفيـات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صـادر: بيروت
- ابن خيـاط، أبـو عمـرو خليفـة، الطبقـات تحقيـق سـهيل زكـار، مطـابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي: دمشق،١٩٦٦م

- الدارمي، عثمان بن سعيد، الرد على الجهمية، خرج أحاديثه بدر البدر الدار السلفية:الكويت،١٩٨٥م
- ابو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود، ضبط أحاديثه محمد محي الدين عبد الحميد، دار احياء السنة النبوية.
- الداوودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية: بيروت،١٩٨٣م، ط ١.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمدبن عثمان ، تاريخ الإسلام، ترجمة الإمام أحمد، دار الوعي: حلب.
- السبكي،تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبري، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي مطبعة عبسي البابي الحلبى: ١٩٦٤م
- ابن سحنون،محمد ، كتاب أداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب وتعليق محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية: تونس،-١٩٧٢م.
- ابن سعد،الطبقات الكبري، دار بيروت: بيروت، ١٩٨٠م
- ابن السعدي، محمد الحنبلي، الجوهر المحصل فى مناقب الإمام أحمد بن حنبل تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة غريب: القاهرة.
- السكوني،أبو علي عمر،عيون المناظرات، تحقيق سعدغراب، منشورات الجامعة التونسية:١٩٧٦ م
- ابن الشطي، محمد جميل بن عمر البغدادي، مختصرطبقات الحنابلة دراسة فوازالزمرلي، دار الكتاب العربي: بيروت،١٩٨٦م، ط١
- الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمدبن علي الأنصاري الشافعي (القرن العاشر)، الطبقات الكبرى المسماة بلواقع الأنوار في طبقات الأخيار مطبعة مصطفى البابى الحلبي: مصر، ١٩٤٥م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل تحقيق، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة: بيروت،١٩٨٠م
- صالح بن أحمد بن حنبل، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، فؤاد عبد المنعم دار الدعوة الإسكندرية .
- الطبري، أبو جعفرمحمد بن جرير،تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف: مصر.

- ابن عبدالبرالقرطبي، أبو عمر يوسف، جامع بيان العلم وفضله، دار الفكر: بيروت.
- عبد القاهر التميمي البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة: بيروت.
- العجلي، أحمد بن عبدالله بن صالح أبو الحسن، تاريخ الثقات، خرج أحاديثه،عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٩م، ط١.
- العراقي، أبو الفضل زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، طرح التثريب في شرح التقريب، دار احياء التراث العربي
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق عبد الغني الدقر، دار الفكر: دمشق.
- العليمي، أبواليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد، المنهج الأحمدفي تراجم أصحاب الإمام أحمد، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني: القاهرة، ١٩٩٣م، ط١.
- ابن العماد،أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهيب، دار احياء التراث: بيروت.
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمدبن محمد بن عمر بن محمد، طبقات الشافعية، تعليق عبد العليم خان، عالم الكتب: بيروت، ط ١.

مراجع أخرى

- ابراهيم سلمان الكردي، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ١٩٨٩، ط ٢.
- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة.
- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٧٩م، ط ١١.
- أحمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، مكتبة النهضة المصرية: (د، م)، ١٩٨٠، ط٧.
- أحمد عبد الجواد الدومي، أحمد بن حنبلبين محنة الدين والدنيا، المكتبة العصرية: بيروت.
- أحمد مختارالعبادي في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٧١م.

- التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية: عمان، ١٩٨٩م.
- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الأول، دار الأندلس: بيروت.
- حسين محمد سليمان، الدولة الإسلامية في العصر العباسي والعلاقات السياسية مع الأمويين والفاطميين، دار عالم الكتب: الرياض.
- راجح عبد الحميد الكردي، الإتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة، دار عمار: الأردن، ١٩٨٩م
- سعدي حسين علي جبر، فقه الإمام أبي ثور، دار الفرقان: عمار ومؤسسةالرسالة: بيروت، ١٩٨٣م.
- السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.
- شفيق محمد زيعور، الفكر التربوي عند العلموي، دار اقرأ بيروت،١٩٨٩م.
- صالح أحمدالعلي، تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٣م.
- طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات علاج المعهد العالمي للفكرالإسلامي: الولايات المتحدة هيرندن- فيرجينيا ١٩٨٩م.
- عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت.
- عبد الله بن عبد المحسن التركي، أصول مذهب الإمام أحمد، مكتبة الرياض الحديثة الرياض.
- عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، دار اقرأ بيروت.
- عبد البديع عبد العزيزعمرالخولي،الفكر التربوي في الأندلس، دار الفكر العربي: (د، م)، ١٩٨٠م، ط ٢.
- عبد الحليم الجندي، أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، دار المعارف: القاهرة.

- عبد الرحمن صالح عبد الله وناصر خوالدة ومحمد عبد الله الصمادي مدخل الى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، دار الفرقان: الأردن ١٩٩١م.
- عبد الرحمن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق جدة،١٩٨٢م.
- عبد الرحمن عثمان حجازي، المذهب التربوي عند ابن سحنون، مؤسسة الرسالة: بيروت.
- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر؛ دمشق، ١٩٨٢م، ط ٢.
- علي الجندي ومحمد صالح سمك ومحمد أبو الفضل إبراهيم، أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، مكتبة الأنجلو: مصر، ١٩٩٠م، ط ١.
- علي الحسني الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم الكويت، ١٩٧٧م.
- علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي: (د، م)، ١٩٨٠م.
- عمر محمد التومي الشيباني، تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية المنشأة العامة: ليبيا،١٩٨٢م، ط ١.
- فاروق عمر فوزي،الفكر العربي في مجابهة الشعوبية (عصر الخلافة العربية
  الإسلامية)، دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد، ١٩٨٨م، ط١.
- فيليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور، تاريخ العرب، دار غندور بيروت.
- ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان، ١٩٧٨م.
- محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) المكتبة التجارية الكبرى: مصر، ١٩٧٠م،
- محمد أبو زهرة، أحمد بن حنبل حياته وعصره- آراؤه وفقهه - دار الفكر العربي.

- محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، تعريب وتحقيق/عبد الصبور شاهين ومراجعة، السيد محمد بدوي، مؤسسة الرسالة بيروت،١٩٨٥م، ط٦.
- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية في النظرية، دار الشروق: بيروت والقاهرة ١٩٨٠م، ط٤.
- محمد القطرى، الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي دار الفكر العربي: القاهرة.
- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، مكتب التربية العربي لدول الخليج: الرياض،١٩٨٨م
- محمد يوسف غندور،الشيبانيون في العصر العباسي الأول، عالم الكتب بيروت،١٩٨٩م
- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي بيروت ١٩٨٧م، ط٣.
- محمود عبد الرزاق سشفشق ومنير عطا الله سليمان، تاريخ التربية: دراسة تاريخية، ثقافية، اجتماعية، دار القلم: الكويت، (د، ت)، ط ٢.
- مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة: الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتاب اللبناني بيروت،١٩٨٤م.
- ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ط ١.
- منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الإجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ترجمة،سامي الصقار، دار المريخ الرياض،١٩٨١م
- يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءا من فتنة عثمان، دار الفكر: دمشق، ١٩٨٠م، ط ٢.
- تاريخ عصر الخلافة العباسية، مراجعة محمد أبو الفرج العش، دار الفكر دمشق،١٩٨٢م، ط١.